مجلة الباحث

في العلوم الإنسانية و الاجتماعية

دورية فصلية أكاديمية محكّمة تُعنى بالدراسات والبحوث في العلوم الإنسانية والاجتماعية

في هذا العدد:

- المقاومة الشعبية بوادي سوف وأثرها على العلاقات مع الجنوب التونسي1854–1882.
  د.علي غنابزية (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي)
- . النظام السياسي عند التوارق و التوسع الفرنسي في أقصى الجنوب
  أ.كديده محمد مبارك (المركز الجامعي تمنراست)
- المكتبات في الأندلس ودورها في الحياة العلمية
  أ.عبد الكريم فايزي(جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي)
- بن ناصر بن شهرة والشريف بوشوشة أنموذجان بارزان لوحدة القضية الجزائرية والروح الوطنية
  أ.حسين تواتي (جامعة تلمسان)
- الاحتلال الفرنسي ودوره في إنقراض الحيوانات البرية المفترسة في الجزائر : الأسود والفهود
  أ.سليمة بودخانة (جامعة عنابة)
- تحليل لمفهوم سيكولوجية البدانة
  أ.كريمة مقاوسي (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي)
- المقاربات النظرية في معالجة مشكلات التنمية المستدامة
  أ.يوسف بالنور (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي)
- التكيف المدرسي وعلاقته ببعض اضطرابات السلوك المرتبطة بالتعلم (دراسة تحليلية).
  أ.اسماء لشهب(جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي)
- المساندة الاجتماعية و علاقتها بجودة الحياة لدى كبار السن
  أ.عمامرة سميرة(جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي)،أ.مامون عبد الكريم (جامعة البليدة2)

العدد الرابع (4) / صفر 1436هـ - ديسمبر2014

ISSN 2170-0370

جامعة الشهيد حمّه لخضر بالوادي
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

جامعة الشهيد حمّه لخضر - الوادي
Université Echahid Hamma Lakhdar - El-Oued

مجلة الباحث

في العلوم الإنسانية و الاجتماعية

دورية أكاديمية فصلية محكّمة تُعنى بالدراسات والبحوث في العلوم الإنسانية والاجتماعية

العدد الرابع (4) صفر 1436هـ / ديسمبر 2014

توجه جميع المراسلات الى:
رئيس تحرير مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية
كلية العلوم الاجتماعية والانسانية- جامعة الوادي، طريق الشط 39000- الوادي/ الجزائر
Tél/fax: 032210731 /B.P 789
Courriel : elbaheth@univ-eloued.dz

ISSN 2170-0370

ادارة المجلة

المدير الشرفي

أ.د/ عمر فرحاتي
مدير جامعة الشهيد حمّه لخضر بالوادي

مدير المجلة

د/ عبد الرحمان تركي
عميد كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

رئيس التحرير

د/ رضوان شافو
نائب رئيس قسم العلوم الانسانية لما بعد التدرج والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

اعضاء هيئة التحرير

د/ سلاف مشري

أ.معاذ عمراني

أ.اسمهان جبالي

بريد المجلّة الإلكتروني

elbaheth@univ-eloued.dz

*** ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبة ولا يعبر عن رأي المجلة.**
*** يخضع ترتيب الموضوعات بالمجلة لاعتبارات فنية لا ترتبط برتبة الباحث ولا بمكانته العلمية.**

الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د/ بوبكر لشهب	(جامعة الوادي)	د/ قمعون عاشوري	(جامعة الوادي)
أ.د/ الطاهر سعدالله	(جامعة الوادي)	د/ علي غنابزية	(جامعة الوادي)
أ.د/ ابراهيم رحماني	(جامعة الوادي)	د/ جمال بلفردي	(جامعة الوادي)
أ.د/ اسماعيل العيس	(جامعة الوادي)	د/ السعيد شلالقة	(جامعة الوادي)
أ.د/ علي آجقو	(جامعة بسكرة)	د/ شوقي ممادي	(جامعة الوادي)
أ.د/ تلمساني بن يوسف	(جامعة خميس مليانة)	د/ لامية بوبيدي	(جامعة الوادي)
أ.د/ الشايب قدادرة	(جامعة قالمة)	د/ لزهر ضيف	(جامعة الوادي)
د/ عبد الفتاح ابي ميلود	(جامعة ورقلة)	د/ بوبكر منصور	(جامعة الوادي)
د/ محمد السعيد عقيب	(جامعة الوادي)	د/ الطاهر بالنوي	(جامعة الوادي)
د/ محمد الطاهر طعبلي	(جامعة الجزائر2)	د/ عبد الكامل عطية	(جامعة الوادي)
د/ محمد رشدي جراية	(جامعة الوادي)	د/ موسى بن موسى	(جامعة الوادي)

شروط و قواعد النشر بمجلّة الباحث
في العلوم الإنسانية و الاجتماعية

- المجلّة متفتّحة على جميع البحوث في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المؤلّفة باللغات الثلاث العربية و الفرنسية و الإنجليزية.
- أن يكون الباحث حاصلا على درجة الماجستير على الأقل، أو مسجّلا في الدكتوراه، ويُرفق مشروع مقاله ببيان سيرته الذاتية وصورة فوتوغرافية شخصيّة.
- يُعبّر المقال عن رأي صاحبه الذي يتحمّل المسؤولية المدنية المترتّبة عنه، ولا يُعبّر بالضرورة عن رأي المجلّة.
- ألاّ يكون المقال تلخيصا لمذكرة أو أطروحة جامعية.
- أن يكون مشروع المقال أصيلا وجديدا لم يعرض ولم ينشر سابقا.
- يتألّف مجموع المقال من 4000 إلى 8000 كلمة، على ألاّ يتجاوز بجميع مكوناته العشرين صفحة
- يُزوّد المؤلّف مقاله بملخصين أوّلهما بلغة المقال والثاني بلغة أخرى من المذكورة أعلاه، وعلى أن يكون أحدهما بالعربية، وألاّ يتجاوز الملخّص 100 كلمة.
- ويُزوّد المقال كذلك بخمسة كلمات مفتاحية بلغة المقال، وبترجمتها إلى العربية إن كان المقال بلغة أجنبية.
- أن لا يقل عدد صفحات البحث عن 10 صفحات ولا يزيد عن 25 صفحة مكتوبة بخط Traditional Arabic مقاس 14 وتباعد 1سم. وتكتب الهوامش بطريقة عادية في نهاية البحث، وبمقاس 10 وتباعد 1سم
- تخضع جميع المشاريع المقترحة لفحص علمي دقيق من قبل هيئة خبراء استشارية وقرارها غير قابل للنقض، ولا يمكن إجراء أي خطوة لنشر المقال قبل صدور قرار إيجابي.
- يتحمّل مؤلّف المقال مسؤولية إجراء كافّة التعديلات المطلوبة من هيئة الخبراء أو من فريق التحرير وذلك للسماح بنشر المقال.
- تتمّ مراسلات تأهيل المقال للنشر بين المجلّة والمؤلّف بالبريد الإلكتروني.
- يُلغى المشروع في حال عدم ردّ المؤلّف في أجل 30 يوما من تاريخ آخر مراسلة إلكترونية له من المجلّة
- لا تنشر المجلّة إلاّ المقال الذي تكتمل فيه جميع الشروط، ولفريق التحرير الحقّ في تأجيل نشره إلى عدد لاحق عند الضرورة.
- لا ترد الدراسات والبحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- لا يترتّب أي تعويض مادّي للمؤلّف في حال نشر المجلّة لمقاله.

ترسل جميع البحوث والدراسات إلى العنوان الإلكتروني للمجلة: elbaheth@univ-eloued.dz

كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين :

بعد التغيرات الإدارية الجديدة على مستوى جامعتنا، واخص بالذكر تعين الاستاذ الدكتور عمر فرحاتي مديراً لجامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي،والذي اعطى نفَساً جديدا للحركة العلمية والثقافية بالجامعة ينمُّ على وعيٍ وبصيرة بما ينتظره من تحديات علمية وتطلعات مستقبلية بهدف ترقية وتطوير جامعة الوادي وجعلها في مصاف الجامعات الوطنية التي تحتل المراتب الاولى، وانطلاقا من هذا النَّفس الجديد أعاد السيّد مدير الجامعة بعث مختلف المجلات العلمية التي كانت معطلة بفعل تفاعل عدة عوامل مالية وادارية، حاملا على عاتقه مسؤولية تفعيل النشاط الفكري والعلمي داخل الجامعة وخارجها.

وبخطى ثابتة ها هو العدد الرابع من مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية يرى النور من جديد وفي حلة جديدة، وبمواضيع متنوعة، وبطاقمه الجديد،الذي سيسعى جاهداً الى تنوير كل الباحثين والمهتمين بمختلف الدراسات والبحوث الاكاديمية المواكبة للتطورات والتحديات المعاصرة الوطنية والدولية وبما يخدم المجتمع والمعرفة الانسانية.

ولا يسعني في هذا العدد أن أتوجه بالشكر الجزيل لمن كانوا سبباً في وضع اللَّبنة الاولى لهذا الاصدار العلمي، سائلا الله عز وجل لهم السداد والتوفيق، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم،كما اشكر الدكتور عبد الرحمان تركي عميد كلية العلوم الاجتماعية والانسانية على الثِّقة التي وضعها فينا من أجل رئاسة تحرير هذه المجلة متمنِّياً السيّر قُدُماً الى الامام بجعل مجلة الباحث تحتل مكانة علمية مرموقة بين المجلات العلمية المحكمة الوطنية والدولية.

واستكمالا لهذا الجهد العلمي فإن أسرة تحرير المجلة تدعوا كافة الاساتذة والباحثين في العلوم الانسانية والاجتماعية والاسلامية الى المساهمة ببحوثهم ودراساتهم العلمية خدمة للمجتمع والجامعة،وحفاظاً على استمرارية اصدار الاعداد اللاحقة لمجلة الباحث.

والله ولي التوفيق

رئيس التحرير

د. رضـــوان شافو

قائمة المحتويات

الموضوع **رقم الصفحة**

- كلمة العدد 05
- المقاومة الشعبية بوادي سوف وأثرها على العلاقات مع الجنوب التونسي1854-1882..... 08
  د.علي غنابزية (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي)
- . النظام السياسي عند التوارق و التوسع الفرنسي في أقصى الجنوب..... 18
  أ.كديده محمد مبارك (المركز الجامعي تمنراست)
- المكتبات في الأندلس ودورها في الحياة العلمية..... 27
  عبد الكريم فايزي(جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي)
- بن ناصر بن شهرة والشريف بوشوشة أنموذجان بارزان لوحدة القضية الجزائرية والروح الوطنية..... 37
  أ.حسين توابتي (جامعة تلمسان)
- الاحتلال الفرنسي ودوره في إنقراض الحيوانات البرية المفترسة في الجزائر : الأسود والفهود..... 45
  أ.سليمة بودخانة (جامعة عنابة)
- شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم..... 53
  خالد العمري(جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي)
- دور مواقع التواصل الاجتماعي في الحملات الانتخابية بالجزائر..... 64
  عبو فوزية (جامعة مستغانم)
- المساندة الاجتماعية و علاقتها بجودة الحياة لدى كبار السن..... 72
  أ.عمامرة سميرة،أ.مامون عبد الكريم (جامعة البليدة2)
- المتقاعد في سوسيولوجيا الحياة اليومية..... 84
  أ.حمادي منوبية (جامعة ورقلة)
- تحليل لمفهوم سيكولوجية البدانة..... 98
  أ.كريمة مقاوسي (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي)
- المقاربات النظرية في معالجة مشكلات التنمية المستدامة..... 113
  أ.يوسف بالنور (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي)
- التكيف المدرسي وعلاقته ببعض اضطرابات السلوك المرتبطة بالتعلم (دراسة تحليلية)..... 125
  أ.اسماء لشهب(جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي)
- محددات التمكين النفسي ومستواه لدى أفراد الحماية المدنية (دراسة ميدانية بالمديرية العامة لولاية سكيكدة)..... 139
  أ.لعور عاشور (جامعة سكيكدة)
- دور التنشئة الأسرية في الارتقاء بمستوى الثقة بالنفس لدى الأبناء..... 155
  أ.احمد فرحات،أ.الجموعي مومن بكوش (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي)

واقع الاختبارات التحصيلية المعتمدة في المنظومة التربوية الوطنية (دراسة تحليلية لمجموعة من الاختبارات المعتمدة في ثانويات الوادي).....164

أ.اسعادي فارس،أ.عزي ايمان(جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي)

المقاومة الشعبية بوادي سوف وأثرها على العلاقات مع الجنوب التونسي 1882-1854

د.علي غنابزية
جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الملخص

هذا المقال حول منطقة وادي سوف التي تعتبر إقليما استراتيجيا في تاريخ المقاومة الشعبية المسلحة في الصحراء الجزائرية الجنوبية الشرقية ، ولها مساهمة في مقاومة الاستعمار الفرنسي، ووقفت حاجزا ضد توسعه، وربطت علاقات هامة بين قادة المقاومة في الجزائر وتونس، عبر وادي سوف ومنطقة الجريد التونسي، لأن سوف هي معبر التنسيق والاتصال والإمداد بالمال والسلاح، واستمر نشاطها إلى وقوع تونس تحت الحماية الفرنسية 1881، ويومها استقرت الإدارة الفرنسية بوادي سوف التي خفت صوتها إلى حين اندلاع الثورة التحريرية.

Résumé:

Cet article parle de la région de Oued Souf qui est considérée comme une zone stratégique dans l'histoire de la résistance populaire armée au Sahara algérienne sud-est, elle a une participation à la résistance contre la colonisation française, se tenait une barrière contre son expansion et elle a fait des relations importantes entre les dirigeants de la résistance en Algérie et en Tunisie, à travers Oued Souf et la région de Djérid tunisienne, parce que Souf est le traversé de la coordination, de la communication et du renfort de l'argent et la munition. Son activité s'est duré jusqu'à ce que la Tunisie soit soumise sous la protection française en 1881. L'administration française s'est installée à ce moment là à Oued Souf dont la voix s'est baissée jusqu'à le déclenchement de la révolution de la libération.

مقدمة:

مثلت منطقة وادي سوف ملجأ للمقاومة الشعبية في الجنوب الشرقي منذ وطئت أقدام الفرنسيين الإقليم سنة 1954، إذ التجأ إليها العديد من المقاومين ولاسيما ابن ناصر بن شهرة، ومحمد بن عبد الله ، ومحمد التومي بوشوشة، ومحي الدين بن الأمير عبد القادر، وكانت دوافعهم مختلفة، وأبرزها طلب الدعم المادي والبشري، فضلا عن طلب الأمان، واسترجاع الأنفاس، لكسب القوة ومواصلة الكفاح، وربما يتسارع أولئك القادة ويتوغلون في الجنوب التونسي، للمزيد من الأمان وكانت زاوية نفطة العزوزية مأوى لهم، وهذا ما جعل السلطات الفرنسية تضج منهم، وتحاول صدهم عن ذلك المأوى، ولكن بداية السبعينات كانت حدا فاصلا لهذا المأوى، لأن السلطات الفرنسية تمكنت من محاصرة فلول المقاومة، وبدأت في التخطيط لاحتلال تونس والذي تم سنة 1881، وهذا مكنها من التوغل في الجنوب الشرقي، ولكن إزعاج المقاومة للقادة المحليين من أعوان الاستعمار، عجل في اندفاع جحافل القوات الفرنسية نحو تلك المناطق، وتمت السيطرة على وادي سوف وما جاورها من المناطق الصحراوية سنة 1882.

ويطرح هذا البحث إشكالية جوهرية، حول الأسباب والعوامل التي أخرت الاحتلال النهائي لوادي سوف وبقية المناطق المجاورة لمدة ثلاثة عقود؟ وهل كان للمقاومة الشعبية دخل في تأخير هذا الاحتلال؟ وما هو تأثير المقاومة الشعبية على وادي سوف، والجنوب الشرقي، وبلاد الجريد التونسية؟ وما علاقة التوسع الفرنسي في الصحراء وأثره على المقاومة الشعبية، والعلاقات الشعبية الجزائرية مع الأيالة التونسية؟

1) احتلال الفرنسيين لبسكرة (1844):

أسند الأمير عبد القادر مقاطعة الزيبان والصحراء الشرقية إلى محمد الصغير بن عبد الرحمان المدعو (أحمد بلحاج)، فقام بنشاط حربي واسع بالتصدي للقوات الفرنسية ، وقام بدور سياسي واهتم بتدعيم سلطة الأمير في الناحية الشرقية، كما راسل الباي التونسي، وسعى لربط الصلات والعلاقات الحسنة بين الأمير وبايات تونس (1)، لأن مقاطعته متاخمة

لتونس، وكانت سوف تمثل الحدود الجنوبية الشرقية مع تونس. وبالرغم من الجهود الجبارة التي بذلها فإنه لم يستطع وقف تقدم القوات الفرنسية، وبمساعدة بن قانة دخلت إلى بسكرة في 4 مارس 1844.(2) واحتلتها، وبعد حين أصدر الدوق دومال أمرا تنظيميا عاما يوم 23 ماي 1844 ، تم بمقتضاه تعيين الرائد توماس قائدا أعلى لدائرة بسكرة وتحت إدارته أربعة مسئولين من الأهالي يعملون في نطاق محدد بمنطقة الزيبان ومنهم شيخ العرب بوعزيز بن قانة الذي عيّن في منصب خليفة في الصحراء.(3)

بعد سقوط بسكرة قاتل محمد الصغير بن عبد الرحمان، لكنه اضطر في الأخير أن يغادر البلاد متخذا من منطقة سوف ملجأ له،(4) ولكنه لم يتوقف عن المقاومة تحت لواء الأمير حتى بعد استسلام هذا الأخير عام 1847، حيث كان بالحاج يجوب المناطق المتاخمة للزيبان، وهي سوف والجريد التونسي. وعندما وقعت أحداث واحة الزعاطشة أواخر عام 1849،(5) وصلت أصداؤها إلى وادي سوف والجريد،(6) وحينئذ غادرت سوف مجموعة من المقاومين لنجدة إخوانهم المحاصرين،(7) ولا يستبعد التنسيق بين السوافة وبين محمد الصغير بن عبد الرحمان الذي كان يومها في نفطة التونسية، وقدم لنجدة الشيخ بوزيان شيخ واحة الزعاطشة، والذي كان تابعا فيما سبق لسلطة الأمير عبد القادر.(8)

إلا أن نتائج الأحداث كانت مأساوية وانتهت بإحكام الفرنسيين قبضتهم على منطقة الزيبان مع نهاية النصف الثاني من القرن التاسع عشر لتواصل توغلها نحو الجنوب في المناطق المتاخمة للزيبان ومنها منطقة وادي ريغ ووادي سوف.

2) ظهور مقاومة الشريف محمد بن عبد الله ونتائجها (1852 –1854):

كانت مناطق الجنوب الصحراوي الجزائري حلبة للصراع وميدانا ملائما للثائرين وخاصة الشريف محمد بن عبد الله الذي لقي في وقت مبكر مؤازرة من الثوار المحليين وذلك مكنه من الهيمنة على خط يشمل عدة مدن وقرى ابتداء من الاغواط إلى ورقلة وأخيرا تقرت وسوف، ولم تستطع القوات الفرنسية أن تواصل توغلها نحو الحدود الجنوبية الشرقية المتاخمة لتونس عبر " وادي سوف " إلا بعد تطويق المنطقة المجاورة والهيمنة على الاغواط وورقلة وتحييد وادي ميزاب واحتلال تقرت.

ا) احتلال الاغواط:

بدأت مهاجمة الشريف محمد بن عبد الله لها في أوائل عام 1852 وذلك دفع الفرنسيين إلى إرسال جيش بقيادة بيليسيه بداية من شهر أكتوبر، إلا أن الشريف استطاع الدخول إلى الاغواط في شهر نوفمبر بمساعدة بن ناصر بن شهرة، واستمر القتال على أشده وانتهى بمعركة عنيفة بين الطرفين في 4 ديسمبر 1852 أجبرت الشريف وأعوانه على الانسحاب، واستولى الفرنسيون على الاغواط،(9) ووضعوا بها حامية عسكرية دائمة واتخذوها قاعدة حربية لتوسعاتهم نحو الجنوب.(10)

ب) احتلال وادي ميزاب (1853/04/19):

كما أبرموا اتفاقا مع أهل ميزاب في 19 أفريل 1853 يتعهدون فيه بدفع ضريبة سنوية قدرها 45 فرنك والاعتراف بحمايتهم وعدم التدخل في شؤونهم الداخلية، بشرط أن يتعهدوا بعدم فتح أبوابهم لأعداء الفرنسيين والغرض من ذلك تحييد أهل ميزاب وابعادهم عن مساعدة الثوار أمثال الشريف محمد بن عبد الله وابن ناصر بن شهرة.(11)

ج) احتلال ورقلة(1853):

كانت ورقلة موقعا هاما للشريف محمد بن عبد الله وصديقه بن شهرة، فقد جند لها الفرنسيون قوات كبيرة قدمت من البيض في 3 نوفمبر 1853 والتحمت بقوات المقاومين في نقوسة والرويسات وانتهت بهزيمة الشريف ورفاقه، وسيطر الفرنسيون على ورقلة في أواخر عام 1853.(12)

ولم يبق للفرنسيين يومئذ إلا احتلال القلعة الحصينة وهي إمارة بني جلاب " تقرت " التي وضع الفرنسيون أمامها كل ثقلهم العسكري، لأنها تأوي المقاومة وتحتضنها.

وقد وصل في شهر مارس 1853 طابور فرنسي إلى مدينة بسكرة تحت قيادة العقيد ديفو قائد مقاطعة باتنة، والذي توجه صوب تقرت من أجل غزوها،(13) وقد اكتفت تلك القوات بإجراء مناورات بضواحي المدينة محاولة إثارة الفزع في حياة سكان، وتحذير سلمان من مغبة إصراره وتعنته ورفضه موالاة الفرنسيين.(14) ومن جهته قام سلمان بتحصين مدينته، واستنفر سكان تقرت، وقرى وادي ريغ وأهل سوف، وراسل شريف ورقلة محمد بن عبد الله،(15) وذهب إلى أبعد من ذلك حيث طلب المساعدة والمدد من الباي التونسي، الذي لم يستجب لطلبه، واكتفى بإهدائه ستة بنادق.(16)

وبعد انسحاب القوات الفرنسية عن تقرت بدأت قوات المقاومة الشعبية تتجمع فيه، إذ وصلها الثائر محمد بن عبد الله (شريف ورقلة) في صيف 1853، لأن مدينته احتلت من طرف الفرنسيين.

أما الثائر بن ناصر بن شهرة (ولد 1804) الذي ينتمي إلى قبيلة الأرباع ومن أتباع الطريقة القادرية بالأغواط، والذي بدأ مقاومته للفرنسيين منذ عام 1851 واتصل بالشريف محمد بن عبد الله بورقلة وتعاون معه، واستطاع في سنة 1852 أن يسيطر على بلدة قصر الحيران قرب الأغواط واتخذها مركزا لمقاومته، ولما غزا الفرنسيون ورقلة، كان من المدافعين في جيش محمد بن عبد الله، وأصيب بجروح بليغة، وفي نهاية 1853 انسحب نحو تقرت للعلاج، وكان تحت رعاية الشيخ سلمان بن جلاب (17) ، وبعد أيام من الاستشفاء غادر بن شهرة المنطقة نحو الجريد التونسي عبر وادي سوف.(18) وفي تلك الأثناء ازداد الإصرار الفرنسي لاحتلال منطقتي تقرت وسوف والذي تم الإعداد له بكل قوة وصرامة.

د) احتلال تقرت (5 / 12 / 1854):

كان حاكم تقرت عام 1854 هو الشيخ سلمان الجلابي الذي رفض التعاون مع الفرنسيين و فتح باب مدينته للمقاومين خاصة الشريف محمد بن عبد الله و بن ناصر بن شهرة، وكان تصرفه هذا عاملا قويا حفز الفرنسيين ودفعهم بقوة إلى احتلال تقرت، التي توجهت إليها قوات ضخمة آتية من بوسعادة بقيادة العقيد ديفو والقائد جيري قادما بقواته من الأغواط،(19) كما تعززت القوات الفرنسية بكتائب وطوابير عسكرية أخرى، والتحمت هذه القوات مع جيش سلمان والشريف محمد بن عبد الله، وجيش النجدة الذي قدم من "وادي سوف" تلبية لنداء سلمان لهم، وكانت المعركة في نواحي المقارين في المكان المعروف ببورخيص،(20) في يوم 29 نوفمبر 1854 ، وانتهت المعركة بانتصار الفرنسيين والتجاء سلمان الجلابي والشريف محمد بن عبد الله إلى تقرت والاعتصام بها، وخضعت المدينة لحصار فرنسي شديد، بينما انسحب المقاومون من أهل سوف إلى الوادي، وفي يوم 2 ديسمبر 1854 غادر الشيخ سلمان والشريف محمد بن عبد الله تقرت، التي سقطت في يد الفرنسيين يوم 5 ديسمبر 1854، لما دخلها العقيد ديفو قائد ناحية باتنة،(21) معلنا عن سقوط "مشيخة بني جلاب" التي حكمت تقرت أكثر من أربعة قرون.

هـ) احتلال وادي سوف(1854/12/14):

بعد إحتلال الجيش الفرنسي لإمارة بني جلاب "تقرت" سهُل عليهم مواصلة زحفهم نحو" وادي سوف".

ويومئذ ترك العقيد "ديفو" بعض قواته بمدينة تقرت للمحافظة على الأمن، وقاد بقية القوات القادمة من باتنة والأغواط وبوسعادة وإتجه نحو وادي سوف،(22) في 10 ديسمبر 1854 وكان مضطرا لسلوك طريق رملي صعب، وبعد معاناة مع الطبيعة، وبعض المناوشات في القرى المحيطة بالمنطقة، فان الصدام على أبواب المنطقة كان عنيفا بين الطرفين، فقد استمات سكان سوف وبذلوا أقصى ما عندهم من جهد وهذا ما أشار إليه صاحب الصروف بقوله: " ثم بعد أن نزلت

تلك المحلة بتقرت وأخضعت أهلها ارتحلت متوجهة إلى سوف لتخبر أهلها وبعد قتال بين الطرفين أياما عديدة في النخيل والسيوف(23) تغلبت المحلة على سوف."(24) وحسب المصادر الفرنسية، فإن العقيد ديفو قضى مدة سبعة أيام بسوف.(25) قضاها في الصراع مع المقاومين، ولكن القوات الأهلية عجزت في رد الزحف الفرنسي، فاستجابت للمفاوضات التي مكنت هذه القوات من التقدم نحو مركز سوف، مدينة الوادي، في حدود 14 ديسمبر 1854، ثم رجعت إلى تقرت يوم 22 ديسمبر 1854، لتقوم بتنظيم الإقليم وضبط شؤونه الإدارية بالاشتراك مع منطقة وادي سوف، فبادر العقيد ديفو بتعيين "علي باي " بن فرحات بن سعيد " قايد " على تقرت وسوف باسم فرنسا منذ 26 ديسمبر 1854.(26)

وعند رجوع القوات الفرنسية لم تترك في سوف أي اثر لها من القوات العسكرية لتحافظ على احتلالها، وذلك جعل المنطقة محل صراع مرير ومقاومة متواصلة دامت قرابة 30 سنة، ولم تتمكن السلطات الفرنسية من الاستقرار النهائي بسوف إلا في منتصف الثمانينات عندما طوقت تلك المقاومات، وقضت على زعمائها.(27)

3) المقاومة الشعبية بوادي سوف ورد الفعل الفرنسي:

أ) المقاومة الشعبية بوادي سوف والصحراء الشرقية: شهدت وادي سوف ـ بعد احتلالها ـ أوضاعا صعبة، وتفاقمت الاضطرابات، وبدأت تحركات المقاومين،(28) تنتشر في اطرافها، والبلدان الصحراوية المتاخمة لها، ونذكر من المقاومين :

ـ سي النعيمي: من أولاد سيدي الشيخ، اختلف مع أخيه سي حمزة الموالي للفرنسيين، فانظم سي النعيمي إلى الشريف محمد بن عبد الله وبن شهرة عام 1853، وشارك معهم في المقاومة.

ـ محمد بو علاق اليعقوبي: الثائر تونسي وهو رئيس أولاد يعقوب المتمردين على السلطة التونسية.

ـ الطيب بن عمران الشعنبي: كان يسكن وادي سوف، وقد جمع 264 من المحاربين من طرود سوف وشعانبة الوادي وعسكر بهم في جنوب ورقلة في فيفري 1864 لغزو تلك الجهات ثم التجأ كغيره من المقاومين إلى تونس.(30) عام 1868، وارتبط بالثوار في زاوية نفطة العزوزية.

ـ بن ناصر بن شهرة ومحمد بن عبد الله: عندما قدما من تونس، وجددا المقاومة، وشاركا في ثورة أولاد سيدي الشيخ في 1864، ولكن بسبب الاختلاف في وجهات النظر اعتزلهم محمد بن عبد الله وانسحب إلى تونس لعدة سنوات.(29) بينما واصل بن شهرة في المقاومة،(31) بعدة جبهات في وسط الصحراء وفي أطرافها المتاخمة للحدود الجنوبية والشرقية. وكانت تربطه علاقة مع الطيب بن عمران الشعنبي، الذي كان مشهورا بجرأته وقوته.

ـ مقاومة محمد التومي بوشوشة: بدأ حركته الثورية سنة 1869 عندما اتصل به بن ناصر بن شهرة، وشرعا في تنسيق الجهود، واستطاعا ما بين سنتي 1870 – 1871 أن يهيمنا على عدة مناطق في الصحراء بعد هزيمة الحكام المحليين الموالين للاستعمار، وتم تنصيب آغوات (قياد) من الثوار انفسهم. ففي مارس 1870 استولى بوشوشة على المنيعة وألقى القبض على القايد جعفر وسجنه، واستولى على عين صالح في ماي 1870، وتواصلت تحركاته في ضواحي متليلي الميزابية وورقلة،(32) وتقرت وسوف وخاصة بعد انطلاق ثورة المقراني التي ارتبطت بمقاومة الجنوب ارتباطا وثيقا، وأهم العمليات التي أنجزها بوشوشة:

1. الاستيلاء على ورقلة في 5 مارس 1871 وعين عليها بن ناصر بن شهرة آغا وبقي بها إلى سبتمبر 1871، وكانت ورقلة قبل ذلك تابعة لآغوية علي باي الذي كان آنذاك في حاسي الناقة،(33) فاتصل جماعة من شعانبة الوادي ببشوشة

يومئذ وذكروا له أفعال علي باي وظلمه وطلبوا منه أن يغتنم الفرصة ليستولي على أموال علي باي وعياله وكل زمالته التي أودعها ببلدة "قمار" بوادي سوف.(34)

2. هجوم بشوشة على قمار يوم 8 مارس 1871،(35) بجيش قوامه 900 مقاتل،(36) إلا أن عائلة علي باي وجدت المساندة والحماية من زاوية قمار التجانية، وبعد مفاوضات مع أعيان الوادي رجع بشوشة وسلمت زمالة علي باي،(6) ولكن آغويته لم تسلم من سطوة بشوشة .

3. فاستولى بوشوشة على تقرت في 13 ماي 1871 وعين بوشمال بن قوبي آغا،(37) ويعتبر سقوطها نهاية حتمية لحكم "علي باي"ودخول منطقة سوف التابعة لتقرت تحت حكم بشوشة.

ولم يكد يوم 13 جويلية 1871 ينقضي حتى صار بشوشة المتحكم في الصحراء الجنوبية من نفطة الى تقرت بمؤازرة القوى الشعبية المختلفة.(38)

ـ مقاومة محي الدين بن الأمير عبد القادر: ظهر في الجبهة الشرقية الأمير محي الدين(بن الأمير عبد القادر الذي قدم من بلاد الشام إلى تونس في شهر اكتوبر 1870 ، واستقبل بحفاوة من طرف السلطات التونسية، وكرم يوم 18 نوفمبر 1870، فاغتنم ذلك الوضع ووجه مأتي رسالة إلى زعماء الجزائر يدعوهم فيها إلى الاستعداد لمحاربة فرنسا معه عند قدومه اليهم من تونس،(39) ولكنه غادر تونس إلى مالطة ومنها إلى طرابلس التي انطلق منها عائدا إلى الجنوب الجزائري فاتصل بالمقاومين ومنهم بن ناصر بن شهرة وإبراهيم بن عبد الله واتجهوا جميعا إلى وادي سوف.(40) وشرع محي الدين في تنظيم كفاحه إذ التف حوله عدد من اللاجئين الجزائريين والمنفيين الذين كانت زاوية نفطة الرحمانية مركزا لهم.(41) ولكن السلطات التونسية بدأت تمارس الضغط على محي الدين ،فالتجأ إلى جنوب الجزائر،(42) ودخل في صراع مع أعوان فرنسا وخاصة حاكم تقرت وسوف علي باي في بداية عام 1871.(43)

ولما انطلقت ثورة المقراني حاول محي الدين التعاون والتنسيق مع الثورة، فلم يتمكن من ذلك بسبب صعوبة التوغل نحو الداخل فاتجه إلى الجهة الشرقية فنزل بنقرين في 9 مارس 1871، لكنه لم يتمكن من الاستيلاء على تبسة، وحينئذ انتهت الحرب بين ألمانيا وفرنسا فرجعت القوات الفرنسية إلى الجزائر لقمع المقاومات الشعبية التي عمت البلاد فأدرك محي الدين أن المقاومة صارت غير مجدية،(44) فغادر البلاد إلى سورية في شهر جويلية 1871.(45)

ب) رد الفعل الفرنسي على المقاومة بالجنوب الشرقي الجزائري:

عندما بدأت المقاومة الشعبية تجتاح الجنوب الشرقي في بداية 1871 عهد الفرنسيون إلى حكامهم المحليين أمر مواجهتها في 12 أفريل 1871، إذ أوكلت ذلك إلى علي باي ومحمد الصغير بن قانة(46). لكنهم أبدوا عجزهم، فتأكد الاستعمار أن هؤلاء الأعوان لا يحققون للجيش الاستعماري التوسع ولا الاستقرار، فتم إعداد جيش فرنسي لهذه المهمة بقيادة الجنرال – لاكروا فوبوا – " LACROIS VAUBOIS " الذي أعد خطة لمواجهة المقاومة الضارية،(47) وبدأت عملية الاجتياح الاستعمارية من ورقلة التي انتزعها من أنصار بوشوشة يوم 2 جانفي 1872، ثم زحف على تقرت وسيطر عليها، ثم لاحق قوات الثوار والتحم جيشه معها يوم 9 جانفي 1872 واستولى على معظم زمالة بوشوشة بما فيها من حيوانات وأمتعة.(48) ثم اتجه نحو وادي سوف وأخضعها للسلطة الفرنسية.(49) وعيّن عليها حاكما من جنود الصبايحية يدعى العربي المملوك.(50)

4) اثر المقاومة الشعبية علي العلاقات مع تونس:

رغم كل التدابير التي اتخذتها فرنسا للحد من قوة المقاومة، إلا أن جذوة الجهاد اشتعلت أكثر ولاسيما في المنطقة الممتدة من عين صالح إلى ورقلة وتقرت ووادي سوف، وتبسة ونقرين بالشرق وبلاد الجريد ونفطة بتونس، ولقيد التأييد الأولي من تونس

. الدعم التونسي للمقاومة الشعبية: لقد ساعد الموقع الجغرافي لوادي سوف والامتداد الرملي الشاسع والمناخ القاسي الذي تميزت به، على عزل هذه المنطقة مؤقتا، وجعلها الملاذ الآمن الذي يأوي إليه المقاومون الشعبيون بعد انتهاء معاركهم فيستقرون من أجل استرجاع الأنفاس وتجديد روح المقاومة والإعداد للمعركة الجديدة. فضلا عن ارتباطها الوثيق ببلاد الجريد التونسية، وقربها الشديد من الحدود، جعل فلول المقاومة تجد راحتها واستقرارها في نفطة وبلاد نفزاوة، التي تتواجد أطراف من المرازيق وأولاد يعقوب، وسكان قبلي، والتجأ إليها بعض المقاومين كمحمد بن عبد الله وغيره.(51)

كما كانت زاوية نفطة الرحمانية (العزوزية)(52) مركزا للمقاومين، وقد التجأ إليها سلطان تقرت السابق سلمان بن جلاب، وإبراهيم بن عبد الله مقدم القادرية بورقلة، ومحمد العشابي البسكري الذي التجأ إلى نفزاوة منذ مدة طويلة، ومحمد بن أحمد الصغير بن الخليفة السابق للأمير عبد القادر بالزيبان، ومحمد بوعلاق رئيس أولاد يعقوب الثائرين التونسيين، والشيخ الميزوني مقدم زاوية الكاف الذي وضع تحت تصرف محي الدين كاتبا يساعده في تحرير الرسائل والنداءات،(53) وأولاد البطل الشعاني السوفي بوطيب بن عمران.(54)

وبعد انكسار مقاومة المقراني انسحب أخوه بومزراق نحو الجنوب ثم توجه نحو تونس عبر تقرت وسوف ونفطة وتوزر،(55) بمعية ابن ناصر بن شهرة في شهر جانفي 1872،(56) وكان بومزراق يقود عائلته عددهم حوالي 150 شخصا، ودخلوا إلى الجريد التونسي واستقروا هناك.(57)

ويعتبر منتصف عام 1871 مرحلة حاسمة في تاريخ تونس، التي كانت تعاني من أزمة مالية حادة، وصارت تحت وصاية اللجنة المالية العالمية، (58)، وصارت سيادتها منقوصة، وتلقت ضغوط أجنبية ولاسيما من فرنسا، التي كانت عينها على البلاد، ويومئذ شعرت حكومة محمد الصادق باي بخطر حركة محي الدين بن الأمير عبد القادر على البلاد التونسية، وتأثير ذلك على العلاقات التونسية الفرنسية، فطلبت من كل ولاتها توقيف محي الدين وجماعته وسجنهم وإرسالهم إلى تونس، غير أن محي الدين أدرك ذلك فالتجأ إلى جنوب الجزائر.(59)

. المخطط الفرنسي للقضاء على المقاومة الشعبية: إن تواجد الفرنسيين في جنوب الجزائر، ولاسيما وادي سوف المتاخمة للحدود التونسية، جعلهم يسعون لرسم المخطط الاستعماري، ففي أواخر الخمسينات أراد الجنرال "راندون" (60) ضبط الحدود الشرقية للمنطقة، فتم إنجاز خريطة سنة 1857 ولكن الحدود النهائية للعرق الشرقي الكبير لم تحدد لها معالم ثابتة، وإنما خضعت للتغير باستمرار خصوصا ما بين 1867 – 1870، إذ بقيت الحدود غير واضحة ما بين سوف وجنوب شط الجريد.

وانتهت فترة السبعينات من القرن التاسع عشر بتصفية فلول المقاومة الشعبية المسلحة بالجنوب، والاستمرار في تهيئة الظروف للاستقرار الفرنسي في الجنوب الجزائري قريبا من الحدود التونسية ، وتعتبر منطقة سوف من أهم المواقع التي يمكن استغلالها لتأمين ظهر الفرنسيين في شمال تونس.(61)

وتمكنت فرنسا من اختلاق ذريعة للتدخل في شؤون تونس، باستغلال الصراع الذي حدث بين قبائل الخمير في الشمال الغربي لتونس مع بعض الجزائريين فتدخلت فرنسا لردع المعتدين، بجيش قوامه ثلاثين ألف جندي،(62) عبر الحدود يوم 24 أفريل 1881 واحتل مدينة الكاف،(63) ثم تقدم داخل التراب التونسي نحو الوسط والجنوب، وأنزل ثمانية ألاف جندي في بنزرت، واتجهوا كذلك نحو العاصمة، وتم فرض الحماية على تونس يوم 12 ماي 1881.(64)

وفي شهر جوان 1881 اندلعت الثورة الشعبية في شرق البلاد التونسية وجنوبها بقيادة علي بن خليفة،وامتدت من القيروان إلى صفاقس، وتمكن الثوار بسهولة من السيطرة على كل الإقليم الجنوبي بما يشتمل عليه من سواحل تمتد حتى حدود طرابلس. فرد الفرنسيون بقوة، عن طريق الأسطول الفرنسي الذي ضرب صفاقس وقابس بقوة، كما تم إعداد ثلاث طوابير فرنسية اتخذت من سوسة قاعدة لها ثم أخذت في الزحف نحو الجنوب وتمكنت من إخماد المقاومة وأخضعت الإقليم لحكمها العسكري.(65)

والجدير بالذكر أن الضابط ديبورتر ") " 66DEPORTER) شارك في احتلال تونس سنة 1881،(67) ثم انتدب لسوف فقام بوضع أسس أول مكتب عربي بالمنطقة، وتم اختيار منطقة الدبيلة،(68) القريبة من الحدود التونسية، فكانت المركز الأول للاستقرار الفرنسي بوادي سوف.

كما تم تأسيس برج صغير للحراسة بقي ثابتا بالدبيلة، واستمر إلى سنة 1887 رغم تناقص عدد أفراده يومئذ.(69) والجدير بالذكر أن الإدارة الفرنسية بدأت عملية استقرارها بقوة في مدينة الوادي عاصمة الإقليم خلال سنة 1882.(70) حتى تبقى المقاومة مطوقة، وترتبط العلاقات بين الحاكم العام بالجزائر وسلطات الحماية الفرنسية في تونس.

الخاتمة:

تعتبر المقاومة الشعبية في الجزائر أحد المفاخر في التاريخ الوطني، للدفاع عن البلاد، ومواجهة المستعمر، والتعبير عن الرفض الشعبي للاحتلال، رغم قلة الامكانيات المادية، وما يمكن الوقوف عليه من أوجه المقاومة الشعبية بوادي سوف، وأثرها على العلاقات السياسية مع الجنوب التونسي:

ـ كشفت هذه الدراسة عن معاناة الفرنسيين من التوغل في أراضي الجنوب الجزائر، ولم تستطع ولوج أراضيها إلا بعد نحو عشر سنوات، منذ احتلال بسكرة 1844، وغزو تقرت ووادي سوف سنة 1954. ولم تتمكن من الاستقرار النهائي الا بعد ثلاثة عقود، لأن المقاومة كانت عنيفة، وصارت البلاد تشتعل نارا من عين صالح إلى وادي سوف، وعرفت جهود كبار المقاومين من أمثال محمد بن عبد الله، وبن ناصر بن شهرة، ومحمد التومي بوشوشة، ومحي الدين بن الأمير عبد القادر، وعاني أعوان الاستعمار من ضربات المقاومة، وعجزوا عن التصدي لها بمفردهم، وتطلب استقدام القوات الفرنسية من الوسط والشمال.

ـ كانت تونس ملاذا أمنا، ومأوى كريما، تجمعت فيه الأطراف العديدة، وبعد تلقي قسط من الراحة، تنطلق إلى الجنوب، وتضرب في أعماق العدو، الذي فقد حامياته، وسيطرت المقاومة على المنطقة، وعينت القياد، وأمسكت بزمام الأمور، ولكن الضعف الذي عانت منه تونس بسبب فقدان سيادتها، جعلها تتخلى عن عونها للمقاومة حتى تحافظ على علاقاتها مع فرنسا المتنفذة في المنطقة.

ـ إن الاحتلال الفرنسي للجنوب الجزائري، تم وفق مراحل وجهود معتبرة بذلها الفرنسيون، وامتازوا بطول النفس في مواصلة الزحف نحو معاقل المقاومة، والسعي لتجفيف منابع القوة فيها، ومحاصرتها من الجنوب بزحف القوات الفرنسية، ومن الجنوب التونسي من طرف نظام الباي الذي تخلى عن بلده، وهذا لا يجعله حريصا على المقاومة، التي تصدت لها القوات الفرنسية بقوة عند احتلال تونس 1881.

ـ إن منطقة وادي سوف، برزت كمنطقة إستراتيجية في الجنوب الجزائري، وببسط النفوذ الفرنسي عليها، مكن من مراقبة أي حركة، وجعل المقاومة تحسب ألف حساب لخطواتها المستقبلية، لأن القوات الفرنسية صارت متواجدة بحاميتها، وثكنتها التي شرعت في تشييدها بمركز وادي سوف في مدينة الوادي.

ويظهر مما سبق أهمية هذه المنطقة الصحراوية في ربط العلاقات، وإيواء المقاومة، والمساهمة في المقاومة الوطنية للاستعمار الفرنسي، ويبقى تاريخها صفحة ناصعة في الحفاظ على الجزائر والدفاع عنها من كل الغزاة والمتربصين من الأعداء.

الهوامش:

1) يحي بوعزيز : كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 57.

2) أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1992، ج1، ص.284

3) إبراهيم مياسي : من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، لجزائر، 1999، ص ص 70-71.

4) إبراهيم العوامر: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1977، ص 247. يحي بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار البعث، ط1، قسنطينة، 1980، ص 49.

5) يحي بوعزيز ، كفاح الجزائر، ص 56 .

6) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 357.

7) إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 85.

8) يحي بوعزيز ، كفاح الجزائر، ص 56 .

9) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 358-359.

10) ج ايفر : الأغواط – في – دائرة المعارف الإسلامية – دار الشروق، القاهرة، 1933، المجلد الثالث، ص 576.

11) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 359-360.

12) يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، ص 127.

13) SOUAD SELAMI : TOUGGOURT ESQUISSE HISTORIQUE ,LES IMPRIMERIES DU SUD ,OUARGLA, 1998 ,P 65.

14) الحاج محمد الصغير دبابي – "حقائق من تاريخ بني جلاب بوادي ريغ" – مدونة الملتقى التاريخي الثالث لفترة حكم بني جلاب بوادي ريغ، 1998. الجمعية التاريخية الوفاء للشهيد بتقرت، الآمال للطباعة الوادي- الجزائر، 1999، ص 43.

15) SOUAD SELAMI, OP. CI T , P 65.

16) محمد الصغير دبابي، المرجع السابق، ص ص 43-44.

17) بن نعمية عبد المجيد " مواقف شيوخ بني جلاب في تقرت من الاحتلال الفرنسي 1830 – 1854 " مدونة الملتقى التاريخي الثالث لفترة حكم بني جلاب بمنطقة وادي ريغ. المرجع السابق. (1998). ص 125.

18) يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، ص 178.

19) نفسه، ص 128.

20) عبد الحميد ابراهيم قادري: التعريف بوادي ريغ، منشورات جمعية لبوفاء للشهيد بتقرت، الأمال للطباعة والنشر، الوادي – الجزائر، 1999، ص 19.

. SOUAD SELAMI – OP . CIT . P 66

(21MONOGRAPHIE D'UNE REGION SAHARIENNE, –1985. PARIS, P 47.
ANDRE VOISIN – LE SOUF

(22IBID – P 47.

23) السيوف: هي الكثبان الرملية.

24) إبراهيم العوامر – المرجع السابق. ص 24.

- (25COMMANDANT COUVET – NOTES SUR LE SOUF ET LES SOUAFA – BULLETIN DE LA SOCIETE DE GEOGRAPHIE D'ALGER. 1934, P 50.

26) 47ANDRE VOISIN – OP . CIT. . P .

27) علي غنابزية : " مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 13هـ/19م، رسالة ماجستير، تحت إشراف الدكتور عمر بن خروف، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001. ص 40.

28) إبراهيم العوامر – المرجع السابق – ص 250.

29) يحي بوعزيز – ثورات الجزائر – ص 128.

30) .48ANDRE VOISIN – OP . CIT . P

31) يحي بوعزيز – ثورات الجزائر – ص 179.

32) نفسه، ص 185.

33) نفسه، ص ص 180-185.

34) إبراهيم العوامر – المرجع السابق – ص 253.

35) EN ALGERIE – 1871LUIS RINN – HISTOIRE DE L'INSURRECTION DE 1891ALGER. 486. P .43) ANDRE VOISIN – OP . CIT . P 36.

37) إبراهيم العوامر – المرجع السابق – ص 253.

38) .612LUIS RINN . OP . CIT P

39) يحي بوعزيز – كفاح الجزائر – ص 250.

40) عبد الجليل التميمي – بحوث ووثائق في التاريخ المغربي. الجزائر وتونس وليبيا 1816 – 1871 – ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني. تونس. ط 2.الجزائر. 1985. ص 253.

41) يحي بوعزيز – كفاح الجزائر – المرجع السابق. ص 252.

42) عبد الجليل التميمي – المرجع السابق – ص ص 30 – 31.

43) يحي بوعزيز – كفاح الجزائر – المرجع السابق. ص 275.

44) عبد الجليل التميمي – المرجع السابق – ص 31.

45) أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت 1998، ج 5، ص 560.

46) عبد الحميد قادري – المرجع السابق – ص 20.

47) .50C .CAUVET. OP- CIT. P

48) ،يحي بوعزيز – ثورات الجزائر – ص 180.

49) ابراهيم العوامر – المرجع السابق. ص 257.

50) .50C .CAUVET. OP- CIT. P

51) أنظر: محمد المرزوقي: صراع مع الحماية، دار الكتب الشرقية، تونس، 1973، ص ص 243-245.

52) مصطفى بن عزوز: ولد بالبرج قرب طولقة بالزاب، وهو ابن مؤسس الطريقة العزوزية (محمد بن عزوز) وهي فرع من الرحمانية. وقد هاجر إلى تونس اثناء احتلال فرنسا لبسكرة، واستقر في نفطة حيث أسس بها زاويته المذكورة، وكانت له مكانة دينية وسياسية لدى السلطات التونسية. وقد فتح زاويته للمقاومين الجزائريين، وتوفي سنة 1866. انظر : محمد محفوظ – تراجم المؤلفين التونسيين – دار الغرب الإسلامي. ط1.بيروت. 1984. ج 3. ص ص 379 – 381. . أبو القاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثقافي – ج 4، ص ص 146 – 153.

53) يحي بوعزيز – كفاح الجزائر – المرجع السابق. ص 252.

54) يحي بوعزيز : "ثورة ابن ناصر بن شهرة 1850 – 1875 " – في – من أبطال المقاومة الشعبية بالجنوب – مدونة الملتقى الوطني الثالث للمقاومة الشعبية للاحتلال الفرنسي بالجنوب. الاغواط 23 إلى 25 ماي 1998. وزارة المجاهدين. ولاية الاغواط. ص 33.

55) الطاهر اوصديق: ثورة 1871 ، ترجمة جباح مسعود. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1989. ص 146. أبو القاسم سعد الله – أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر – ج 3. ص 103.

56) يحي بوعزيز، ثورة 1871، المرجع السابق، ص 308.

57) الزبير سيف الإسلام : ثورة المقراني ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص .55

58) محمد الهادي الشريف: تاريخ تونس، ترجمة محمد الشاوش– محمدعجينة، دار سراس للنشر، تونس، 2001، ص 97.

59) عبد الجليل التميمي ، المرجع السابق، ص ص 30 – 31.

60) راندون: هو الحاكم العام للجزائر (1851 – 1858) ويعرف عهده " بعهد استكمال الاحتلال " انظر : أبو القاسم سعد الله – الحركة الوطنية – ج 1. ص .371

61) علي غنابزية، المرجع السابق، ص .52

62) حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس، الدار التونسية للنشر. ط 4. تونس. 1968. ص .213

63) جلال يحي : المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ج 3، ص .320

64) حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ص 213 – 214.

65) جلال يحي – المرجع السابق. ص 321–331.

66) كان هذا الضابط ينتمي للمكتب العربي ببسكرة، وتقدم نحو تونس بقدر الحاجة، وكان على اتصال بمصلحة الاستخبارات بالجريد.

67) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 4، المرجع السابق، ص .50

68) الدبيلة: بلدة تقع في الناحية الشمالية الشرقية لوادي سوف، وتبعد عن الحدود التونسية بحوالي 62 كلم، وعن سوف بحوالي 20 كلم.

(69C. CAUVET . OP . CIT . P 51.

70) GAID ZOBEIDI SI HOCINE – HISTOIRE SUCCINCT DE L'ADMINISTRATION DU SOUF DANS LES DEUX DERNIERES SIECLES AVANT L'ARIVEE DES FRANÇAIS - .1952 DIRECTION DE MOUDJAHIDINE – EL-OUED

النظام السياسي عند التوارق و التوسع الفرنسي في أقصى الجنوب .

أ. كديده محمد مبارك
المركز الجامعي تمنراست

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الملخص :

يتحدث البحث عن الظروف التي حالت دون تمكن الإحتلال الفرنسي من التوسع في مناطق أقصى الجنوب الشرقي الجزائري بسهولة و مقاومته لمدة سنوات ، و خاصة النظام السياسي لدى قبائل التوارق في كل من مناطق آجر و الهقار، و دورها في كبح الكشوفات الجغرافية نحو عمق الصحراء الجزائرية التي حاولت توفير معلومات عن هذه المناطق خاصة مع نهاية القرن التاسع عشر ، مبرزا مميزات هذا النظام السياسي و كيف تعامل معه الإحتلال الفرنسي .

Résumé:

l'exposé parle trouver les circonstances qui ont empêché de permettre de l'expansion de l'occupation française dans l'extrême sud –est algérienne facilement et de résister, et en particulier le système politique avec les tribus Touareg dans toutes les régions du Adjjer et du Hoggar , et son rôle dans la lutte contre les découvertes géographiques environ désert profond de l'Algérie, qui a tenté de fournir des informations sur ces zones , surtout avec la fin du XIXe siècle , en soulignant les caractéristiques de ce système politique et comment faire face à l'occupation française.

خاض الإحتلال الفرنسي مخاضا عسيرا قبل أن يتمكن من بسط سيطرته العسكرية على كامل القطر الجزائري و الذي كان يظن أنه بإمكانه إخضاعه في بضعة أيام أو أشهر ، فواجهته مقاومات شعبية قاتلته و أرهقته في الكثير من المواقع حتى تحولت الأيام و الأشهر إلى سنوات ، و لكنه أدرك صعوبة الأمر و خطأ الحسابات التي وضعت في المرحلة الأولى و منها حاول التخفيف من الأعباء و الخسائر في الأموال و الأرواح جراء عملية التوسع في مناطق الجنوب الجزائرية كإستراتيجية جديدة يبني عليها مخطط التوسع ، و من ضمن المناطق التي كان الإحتلال يستهدفها مناطق التوارق في كل من الهقار و آجر و التي كانت تعيش وفق نمط إجتماعي و سياسي كان يجهله الإحتلال الفرنسي مما صعب عليه المأمورية نوعا ما ، فما هي الجوانب الخفية للنظام السائد في هاتين الرقعتين الجغرافيتين الواقعتين في أقصى الجنوب؟ و كيف تمت عملية غزو هذه المناطق ؟.

إن مشروع إحتلال مناطق أقصى الجنوب الجزائري من قبل فرنسا مر بعدة مراحل قبل الغزو العسكري كما حدث في شمال الجزائر فإن كان جنرالات فرنسا يظنون أنه بعد سقوط حكم الداي سيتمكنون من غزو الجزائر بكاملها في فترة وجيزة لا تتعدى أسابيع معدودة ، ولكن هذا لم يحدث إذ سرعان ما إكتشف الشعب الجزائري زيف الإدعاء الفرنسي حول أهداف حملته الآنف ذكرها ، و نظرا لما لقيته قوات الإحتلال من المقاومات الشعبية فإنها تبنت خطة تمكنها من التوسع في باقي المناطق بطريقة توفر الجهد و الأرواح في صفوف جنودها فلهذا الغرض أرسلت بعثات إستكشافية لكشف خبايا هذه المناطق.

و فيما يخص مواطن التوارق و المناطق المجاورة لها فقد كان الإهتمام الفرنسي بها مبكرا قبل غزو الجزائر وكان هدفها إستكشاف الطرق التجارية و أسرار الحواضر الكبرى في الصحراء فعلى سبيل المثال لا الحصر بعثة رينيه كاييه (RENE CAILLE) في سنة 1824 و الذي عاد إلى فرنسا في 27 سبتمبر 1828 حيث كان هذا الشخص أول فرنسي يتوغل في قلب الصحراء و يقدم معلومات حول جغرافيتها مجتمعاتها و خاصة التوارق رغم قلة هذه المعلومات ،إلا أن هذه الكشوفات في هذه الفترة أخذت طابع التنافس بين فرنسا و بريطانيا بشكل غير معلن إلا أنها مكنت الأوربيين من جمع معلومات أولية عن طبيعة حياة السكان بمختلف مجالاتها في هذا الحيز الجغرافي.( )

و كانت أول بعثة مكلفة رسميا من طرف سلطات الإحتلال الفرنسي واضحة الأهداف حيث كانت تهدف لإستكشاف مواطن التوارق يقودها الكولونيل فلاتيرز (C.FLATTERS)الذي قام برحلتين بعد أ، منح الإعتماد الرسمي لرحلته

بتاريخ 07 نوفمبر 1879 وبعد أن حددت أهداف البعثة و الإطار البشري الذي تضمه ، و توجهت رحلته التي تهدف لإكتشاف خبايا مناطق التوارق في رحلتها الأولى نحو آزجر (جانفي- ماي 1880) و التي وصلت تيماسنين بتاريخ 29مارس من نفس السنة و تمر على واد تكات و واد سامن و إغرغرن و تباتي و تقيم معسكرها عند بحيرة منخور في 17 أفريل ، ولما عزمت البعثة على مواصلة تقدمها إلى الشرق بعدما إنتظرت قدوم قادة التوارق طويلا و بدأت مؤونتها تنفذ و لكن قبيلة إمنغاستن لم تسمح لهم بالتحرك لعدم حيازتهم على تصريح من زعماء التوارق يخولهم التنقل و على إثر ذلك بقيت البعثة في إنتظار الزعيم خنوخن، و حدد فلاتيرز تاريخ 20أفريل كآخر أجل للمغادرة و هو ما فعله إذ تمكن من الفرار هو وبعثته ليلا ما يعني فشل الحملة في تحقيق هدفها و هو الإتصال بزعماء التوارق و لكنها حققت في المقابل نجاحا نسبيا حيث تمكنت من جمع معلومات تيبوغرافية دقيقة تفيد مشروع السكة الحديدية المزمع إقامته ذو الأهداف التجارية يصل إلى غدامس و هو ما يشكل تهديدا لمصالح التوارق في أزجر.

والحقيقة أن ما كان ينقص الإحتلال الفرنسي معلومات مستفيضة حول مناطق التوارق فعدد من الضباط الفرنسيين تمكنوا من وصف حياة السكان من مختلف زوياها في عدة مناطق من الصحراء الجزائرية جنوب الأطلس الصحراوي و توقفت أبحاثهم في المناطق المحيطة بوادي ريغ أو مناطق وادي ميزاب كالتي قام بها ترومليTRUMELET)سنة 1863 أو قبلها كافينياك (CAVAIGNAC) سنة 1847 و رغم تأكيد الفرنسيين على أهمية المعلومات التي توفرها التقارير و البعثات التي يقودها هؤلاء العسكريين في خدمة الإحتلال الفرنسي و رغم أن بعضها أخذ طابع الخدمة الأهداف التجارية لفرنسا و رغم أنها سبقت حملة فلاترز و رغم دور التوارق في التجارة مع المناطق الشمالية من إفريقيا جنوب الصحراء إلا أن بعض التقارير في هذه الفترة لم تتضمن الكثير من المعلومات عن هذه الفئة لم تتعدى وصف المظهر الخارجي و هو ما يفسر الرغبة الرسمية في كشف خبايا عالمهم و توجيه الأضواء الأبحاث ما سينجم عنه الكثير من الدراسات الأنتربولوجية التي تعنى بدراسة مجتمع التوارق.

و بعد فشل رحلة فلاترز الأولى في أزجر توجهت الثانية نحو موطن التوارق الثاني في الجزائر صوب منطقة الهقار(أكتوبر 1880-فيفري1881) بعد أن قرر في إجتماع في جوان1880 تحديد الإطار الجغرافي و الإطار البشري و حاول التواصل مع قيادة التوارق في هقار التي كان على رأسها الأمانوكال أهيتاغل ما يشكل جس للنبض و يشرح فيه بعض أهداف حملته العلمية.

حلت البعثة بتاريخ 12 جانفي 1881 بمنطقة أمقيد و واصلت التقدم إلى أن نصبت معسكرها عند بئر لقرامة و هنا تمت بينها و بين فرقة من التوارق إنتهت بمقتل قائد البعثة فلاتيرز و حراسه و تقهقرت البعثة و تشتت تحت ضربات توارق الهقار و رغم ما قيل في هذا الموضوع من مبالغات تحاول أن تضخم المنتصر أو تحاول أن تصور فلاتيرز في صورة الضحية إلا أ، أبرز ما يمكن إستخلاصه هو أن الفرنسيين لم يتمكنوا من إختراق مواطن التوارق على الأقل من الإستكشافي تمهيدا للغزو العسكري، و إن كانت الصبغة العسكرية ليست بالبعيدة عنها نظرا لطبيعة قائدها و رتبته العسكرية و الوفد العسكري المرافق لها ،فقد فشلت في أزجر و تمكنت من الفرار و كذلك في هقار التي إنتهت فيها و قضي عليها و على قائدها ،و إستفاد الفرنسيون من وصايا فلاتيرز و تعليماته و أخطاءه و خاصة تعليماته التي أوصى بها بعد فشل حملته الأولى نحو أزجر و خاصة ضرورة تشديد الحراسة و رفع عدد الجنود المرافقين للبعثة حيث إنطلقت بعثة فورو لامي (FOUREAU LAMY)ما بين 1897و 1898 التي كانت تهدف للوصول إلى تشاد لدعم الإحتلال في مناطقها و جمع المعلومات عن المناطق التي لم تكن قوات الإحتلال الفرنسي قد تمكنت من غزوها بعد في الصحراء وقد نجحت في ذلك بعد تجنبها الإحتكاك بالتوارق عن طريق دفع حقوق المرور في أزجر و تجنب الصدام مع كيل أهقار و هو ما يعطي و هو ما أعطى معلومات جديدة للإحتلال

أوعزت للقائد العسكري لابيرين(LAPPERINE)إنشاء فرقة عسكرية من المهاري الصحراوية تساهم في التوسع العسكري في الصحراء ، ما يعني بداية تغيير الإستراتيجية الفرنسية في الصحراء و طريقة تعاملها مع هذه المناطق نتيجة المعلومات التي خلصت إليها بعثاتها الإستكشافية .

النظام السياسي عند توارق الهقار و آجر:

يختلف النظام السياسي الذي كان سائدا عند التوارق في كل من مناطق الهقار و آجر عن النظام السياسي الذي كان في باقي مناطق الجنوب الجزائري من حيث التنظيم و النمط السياسي و كيفية تناقل المنصب ، و ان كانت مرجعية القبيلة و العرش هي التي تسود كامل الجزائر و نفس الشيء يمكن أن يقال عن هذه المناطق الآنف ذكرها ففيما تختلف يا ترى عن الأنظمة الأخرى؟

و لعل ما يبرز الصعوبات التي واجهت الإحتلال الفرنسي الذي راجع حساباته بعدما واجه مقاومات شعبية عديدة مفكرا في طريقة تمكنه من التوسع بأقل الجهود و الضحايا هي جهله في البداية بكل المعلومات التي تخص مجتمعات أقصى الجنوب الجزائري لكنهم شرعان ما جمعوا معلومات مستفيضة عنها ، فلاحظوا أنها لا تختلف كثيرا عن باقي الأنظمة الإجتماعية و السياسية في المناطق الأخرى من الجزائر كثيرا إذ مازالت تعتمد في جوهرها على نظام الجماعة حين وصفها "بروسلار" في كتابه رحلتي فلاتيرز إلى بلاد توارق آجر و الهقار (Les deux missions Flatters au pays des Touareg Azdjer et Hoggar)أن لديها نظاما ديموقراطيا يناقش فيه فيه الجماعة و أمامها كل القضايا. ( )

و قبل الخوض في تفاصيل احتكاك الفرنسيين بالنظام السياسي نعود إلى توضيح بعض المصطلحات حيث يعتلي أعلى هرم السلطة عند التوارق أمنوكال و ليس أمين العقال التي يحاول بعض الكتاب و الصحفيين تسويقه و فرضه على أساس أنه مصطلح صحيح و أن هذا الرجل كما يدل عليه المصطلح حسبهم أمين عام للعقال و هذا ليس بصحيح فلا علاقة لمصطلح أمين بلهجة التوارق و حتى من حيث المقصد السياسي الذي يبدوا معاصرا للمصطلح و لم يكن متداولا عندهم و لا في تعاملاتهم ، و ان كانت تفسيرات هذا المصطلح فسرت خطأ من طرف بعض الباحثين و وقوعهم في هذا الأمر أنما مرده إلى التفسيرات التي حاولوا صياغتها نسبة إلى اللغة العربية و ليس بالعودة إلى لهجة التوارق ، بينما الأوربيون أخطأوا على منحا آخر ليس من الناحية المصطلحية و انما من ناحية تفسير دور هذا الشخص المهم في نظام القبيلة و الذين اعتقدوا أنه مالك الأرض و هذا استنادا إلى بعض الأدوار التي يقوم بها فظنوا هم أنه كذلك انطلاقا من تفسيرات لربما تكون مستندة إلى تفسيرات مبنية على الخلفيات السياسية التي كانوا يعرفونها و ليس استنادا إلى الخصوصيات السياسية المحلية ذات البعد الثقافي و العمق المحلي المختلف عن ما كانوا يعرفون.

و السياق الصحيح لمعنى أمنوكال هو ما طرحه مرموري : «... أمنوكال نتاج كلمتين "مسيس – ن- أكال بمعنى سيد البلد أو سيد الأرض و أدت الضرورة اللغوية إلى تطور الكلمتين و تحولها إلى أمنوكال لتصبح مفردة مستقلة ، و هناك من يرى أيضا أن هذه الكلمة ناتجة عن تركيب كلمتي أمغار الذي يعني رئيس أو زعيم و التي تطلق في الأصل على رئيس القبيلة بكلمة أكال و الإقتران الذي يؤدي إلى أمغار-ن-أكال أو رئيس البلد ثم حذف النصف الثاني من الكلمة الأولى و تحول الحرف الأول من الكلمة الثانية من (أ) أو (و) لتسهيل ارتباط الكلمتين الذي يتم بأداة الوصل و الملكية (ن) لتتحول في النهاية إلى أم-ن-وكال...» ، و شخصيا أميل إلى الطرح الثاني فكلا الطرحين مؤصل تأصيلا جيدا .

و ما تجدر الإشارة إليه أن أمنوكال يتم انتخابه من قبل رؤساء مجموع القبائل المشكلة للعصبية و يتم اختيار أحد المرشحين الذين يملكون هذا الحق من الخط الأمومي و منه اكتسبت الأم أهمية كبيرة عند التوارق ، فالمرأة يمكن أن تمنح لأبنائها حق الزعامة بالوراثة و هذا مميز لقبائل التوارق إضافة إلى مجموعة من المميزات التي تجعل من الشخص يعتلي هذا المنصب متفوقا

على منافسيه الذين يملكون حق الترشح عن طريق الوراثة من الخط الأمومي أيضا، منها الصفات السياسية و الأخلاقية و الجسمانية و يملك أمنوكال مجموعة من الصلاحيات السياسية و الإقتصادية و القضائية و الإجتماعية تمكنه من غدارة شؤون القبيلة و ذلك بمساعدة مجلس مكون من الشيوخ و الأعيان يستشيرهم و يناقش معهم كل القضايا

إستراتيجية الإحتلال الفرنسي في الهقار و آجر:

لقد كان لنظام الإحتلال الفرنسي مخطط محكم للإحتلال في المناطق الصحراوية فقد تعاملت بذكاء مع القوى المؤثرة فيها و لم تكن مناطق التوارق بمعزل عن هذه السياسات ففي الوقت الذي كان الفرنسيون يرغبون في إستكشاف مناطقهم إستعملت فرنسا أسلوب القوة و التخلي جزئيا عن الأسلوب الديبلوماسي لأنها كانت تخرق الإتفاقات حال ما تشعر بالقوة و إمكانية السيطرة على الأوضاع في تلك المنطقة أو كان هدفها في بعض الأحيان تجنيب فئة أو تحيين الصراع معها لحين الفراغ من أخرى أو لفك أواصر التعاون المحتمل ضدها.

و منه فإن الإحتلال الفرنسي سيمزج بين أسلوب القوة و المهادنة في تعامله مع المقاومة في كل من منطقة الهقار و أزجر، فقد أظهر الإحتلال تغييرا في الإستراتيجية حين جهز بعثة فلامون (FLAMAND) التي تحركت بتاريخ 28 نوفمبر 1899 بإتجاه عين صالح و هدفها إحتلال المناطق المتبقية من مناطق التيديكلت و الهقار و تمكنت القوة الفرنسية من هزيمة المقاومة الشعبية في عين صالح نظرا لعدم تكافؤ ميزان القوى بين الطرفين خاصة نوعية الأسلحة ، وهي مقدمة لإحتلال الهقار حيث أقام لابيرين قاعدة عسكرية لقيادته نظرا لأهمية موقعها الإستراتيجي و خاصة بالنسبة لسكانها التي تعتبر من أهم أسواقها التموينية.

و تحركت بعدها حملة الضابط كوتنيس (COTNEST)صوب هقار لإحتلالها و يعبر الفرنسيون على إصرارهم هذا حين يقولون : "...بلدنا السيد في الشمال و الجنوب و على حافتي الصحراء ،لكن في الوسط توجد منطقة يمكن القول أنها غير معروفة ، تعود فيها السيادة إلى مجموعة من الرجال الذين يمنعون و بغيرة المرور بداخلها لا يمكن أن تستمر هذه الحالة ..." إن هذا الكلام يدل على إصرار الفرنسيين على إحتلال مناطق الهقار بالقوة من جهة ، و يدل على شح المعلومات عنها و عن وضع و عدد قواتها من جهة ثانية ، ورغم ما أورده البعض من أسباب للغزو إلا أن و جهة النظر هذه تعتبر قريبة جدا إلى الصحة حيث و من كل ما سبق نستنتج أن الفرنسيين كانوا يستعدون لغزو الهقار و ما ينقصهم هو الذريعة فقط.

أقدم القائد كوتنيس على رأس فرقة من المهاري على إختراق مناطق الهقار بإستعمال القوة من أمقيد إلى إدلس إلى تازروك إلى تين تارابين و أخيرا في تيت أين وقعت أبرز المعارك بتاريخ 07 ماي 1902 هزم فيها كيل أهقار و شكلت هذه المعركة منعرجا حاسما في الأحداث و أزالت خوف الفرنسيين من هقار التي كانت منيعة و غامضة في نظرهم و تأكدوا من فاعلية فرقة المهاري التي أنشأوها حيث أصبح بإمكان الفرنسيين القيام بدوريات بفضل الفرقة الآنف ذكرها تقوم بإستعمال القوة و السلب و النهب و أبرزها في نفس السنة و التي مكنت الفرنسيين من معلومات جد هامة عن مرتفعات الهقار التي لم تعد حصينة في وجههم و إستعراض القوة .

و نفس الشيء يمكن أن يقال عن أزجر حيث لم يعترض سكانها فرقة القائد العسكري بان(PEIN)حين جاءت لحماية عثة فورو لامي (FOUREAU LAMY)الآنف ذكرها و في سنة 1903إنطلقت دورية من عين صالح بقيادة الملازم باسي (BASSET)التي قامن بعدة إعتداءات و نهب و سلب ، و تلتها بعض الحملات كان هدفها المزيد من الإكتشافات و إستعراض للقوة ، و أيضا دورية النقيب توشارد (TOUCHARD)ما بين 1904-1905 التي كان هدفها الوصول إلى جانت و إقامة علاقات مع قيادات أزجر و تمكنك بعثته من الغوص في المنطقة و العودة بالكثير من المعلومات كما حدث في هقار و تأكد الفرنسيون أنهم لن يتمكنوا من إخضاع هذه المناطق إلا بإستعمال القوة و هذا دليل آخر على أن هناك

العديد من العوامل المشتركة بين أزجر و هقار جعلت فرنسا تغير من أسلوبها في كلا المنطقتين رغم إختلاف بعض المعطيات الزمكانية في كلا المنطقتين إلا أن العلاقة كانت مترابطة فما إن سقطت هقار حتى بدأت التحرشات الفرنسية في كلا المنطقتين .

تأثير النظام القبلي عند التوارق على تطور الأحداث في هقار و أزجر:

كما أسلفنا تم إختراق مناطق توارق هقار بعد 1902و أزجر قبلها بسنوات و بالضبط في 1880 إلا أن أهم المميزات المشتركة بين المنطقتين المدروستين و المقاومة الشعبية فيهما هي النظام القبلي الذي تسير وفقه و الذي كان له التأثير في سير و تطور الأحداث فيها.

و إن كان الإحتلال الفرنسي أدرك أهمية رجال الدين و المشايخ و تأثيرهم في الصحراء كما أشرنا آنفا و أدرك أهمية البحث و الترجمة لخدمة مصالح الإحتلال و تمكينه من السيطرة على المناطق التي يحتلها ، وبما أنه شجع و أصر على إكتشاف كل حيثيات مجتمع المناطق المدروسة من خلال العدد الكبير من بعثاته الإستكشافية التي أتينا على ذكر بعضها و لم نأت على ذكر البعض الآخر توحي لنا أهمية نتائج بحوثها و إستغلالها في التوسع في هذه المناطق بأقل الأضرار و قد كان من أبرز المجالات المدروسة نظام الحكم في هذه المناطق و هو النظام القبلي الذي نجد على رأسه زعيما يسمى عند التوارق أمانوكال ،فقد أخذ الفرنسيون في حسبانهم السلطة التقليدية التي يتمتع بها الزعيم عند التوارق في مناطق نفوذه و مثال ذلك أنه حين عزم على الإحتكاك بهم بعث أسماعيل بوضربة كونه مسلم من أصل جزائري في رحلة إلى غات مر خلال بمناطق أزجر و التي وصلها في سبتمبر 1858 و تعرض للتهديد بالقتل لولا تدخل الزعيم أخنوخن في فترة كان الأمانوكال هو محمد أق ختيته، و حين عاد بوضربة كان قد جمع معلومات هامة جدا خاصة عن العلاقات السياسية و مميزات السلطة التقليدية ما يعني أن الفرنسيين كانوا يدركون أهمية معرفة مواطن التأثير في هذا النظام ، و حتى الخلافات السياسية سيحاول الإحتلال الفرنسي إستغلالها لتدعيم الخلافات التي تخدم مصالحه من دون شككما سيحدث في هقار و هي قضية سنتحدث عنها في أوانها لاحقا.

و كان الإحتلال يسعى للإتصال بقيادات التوارق و التي تمثل أعلى الهرم الإجتماعي سواء في أزجر أو في هقار ما يعني أنه كان يدرك أهميتها من جهة و يريد جس نبضها من جهة أخرى، ففي أزجر أدركت فرنسا ضرورة إحترام القواعد التقليدية و لذا وقعت على إتفاقية مع قيادات أزجر بتاريخ 22 نوفمبر 1862 تقر بموجبها فرنسا بدفع ضريبة المرور و تأمين القوافل التجارية المارة عبر المنطقة و العديد من البنود التي تعترف بسيادة كيل أزجر على أراضيهم

إضافة إلى هذا كان الإحتلال حذرا في التعامل مع قيادة التوارق حيث أدرك حساسية العلاقات معها مبكرا و خاصة لما إكتشف أنه لا يمكنه التحرك أو المرور عبر مناطقهم دون إذن منهم أو رخصة مما كان السبب الرئيسي في فشل مهمة فلاتيرز نحو أزجر التي إضطرت للتراجع و الفرار و العودة أدراجها رغم ما قيل أنها لم تكن موجهة أصلا إلى هذه المنطقة.

و أكد توارق أزجر أنهم لن يسمحوا بمرور خط سكة حديدي في مناطقهم و الذي من شأنه أن يهدد مصالحهم التجارية و مواردهم المالية المتمثل في رسوم الحماية و المرور بل أبدوا إستماتهم في سبيل منع قيام هذا المشروع ، وقد كان الفرنسيون يفهمون جيدا كيفية التعامل مع النظام القبلي في الجهتين أزجر و هقار و لا أدل على هذا أكثر من كلام القائد العسكري لابيرين..."(LAPPERINE):عند التوارق مازال نفوذ الطبقات النبيلة كبيرا جدا ،إذن علينا في كل مرة تتاح لنا فيه الفرصة ، أن نحتفظ بتنظيمهم الإقطاعي البدائي أثناء الخضوع لنغيره شيأ فشيأ لأنه من الأسهل تغيير تنظيم موجود... من أن نخلق تنظيما جديدا، خاصة عندما يتعلق الأمر بإدارة ناس مازلنا قليلي الوثائق على عاداتهم و تقاليدهم و هذا ما حقق نجاحا كبيرا في أهقار ،لكن مع الأزجريين ليس الأمر كذلك..."، إنه كلامه يدل على الحنكة الكبيرة التي كان يتعامل بها الفرنسيون

مع النظام التقليدي الذي نعتوه بالبدائي و أيضا يمكن أن نستنتج من كلامه عزم الفرنسيين على الإبقاء على هذا النظام لأنه يسهل عليهم مهمة السيطرة

و إن كانت الأمور قد إستعصت على الفرنسيين من أجل إخضاع زعماء توارق أزجر حيث رفض الأمنوكال إنقدازن أق أبكدا و السلطان الشيخ أمود الإتصال بالفرنسيين مهما كانت غايته عكس هقار الذي نجحت فيه الخطة الفرنسية حين راحت فرنسا تحاول إستغلال تداعيات مقتل فلاتيرز لتتخذها معيارا مزعوما لتصنف على أساسها لعدو من الصديق و وجدت ضالتها في شخص موسى أق مستان( )و الحقيقة أن الخطة الفرنسية في هقار إستندت على عاملين هما :

الأول: إستغلال عامل التأثير المباشر الذي يلعبه سوق توات و تيديكلت على هقار كونها المصدر التمويني الأول لها و بما أن السيطرة الفرنسية تمت على هذه الأقاليم و خاصة تيديكلت التي وقعت تحت سيطرتها و أقامت بها مركزا لقيادة قواتها بكل هذه الناحية سيكون لها –أي قواتها–تدخلات في كل الأقاليم المحيطة نظرا للموقع الإستراتيجي.

الثاني: إستغلال النزاع الواقع بين أتسي أق ملال و موسى أق مستان حول من يخلف أهيتاغل أق محمد بيسكا و رغم أن موسى كان أقل المرشحين حظا و الأولوية كانت لـ: أتسي إلا أن الفرنسيين و عن طريق المعلومات التي تحصلوا عليها من جواسيسهم ما كانوا ليضيعوا فرصة خلق إضطراب سياسي في هقار كان سيضعفها حتما و تدخلت في الأمور و حسمت الأمور لصالح موسى الذي إستطاع الفرنسيون فرضه بحكم الأمر الواقع و نصب أمنوكال رغم أن أتسي لم يعجز و لم يمت ، وكما سيطرت في تيديكلت على الأمور وفق نظرية فرق تسد و التسابق نحو المصالح و إستغلال رجال الدين فإنها لم تغير كثيرا من إستراتيجيتها هذه في هقار فقد بعثوا الحاج بيلو لإستعمال نفوذه و الدعاية للحكم الفرنسي و الدعوة للإلتفاف حول موسى لخدمة مصالحهم.

وبالفعل طبق الإحتلال مخططه حيث قامت بضغط إقتصادي حيث كانت تمنع سوق توات على معارضي موسى، و أيضا تعليق كل الإتصالات مع السلطة التقليدية في هقار لأنها كانت وراء مقتل فلاتيرز "ليكن في علم الجميع أننا لا نريد أن تكون لنا أدنى علاقات مستقبلا مع أمنوكال الهقار الحالي(أتسي) و مع أعيانهم الذين كانت لهم مساهمة في إغتيال مهمة فلاتيرز..." و هو ما يبرز أن الإحتلال فرض نفسه طرفا مؤثرا في الصراع في هقار مهما كانت الذرائع التي يحاول أن يخفي وراءها مخططاته.

و أيضا في أزجر حاولت أن تجعل من موسى أق مستان الذي في عين صالح معاهدة الإستسلام في جانفي 1904مع رئيس ملحق عين صالح ميتوا (METOIS)وسيلة لجعل قيادة أزجر تمضي هي الأخرى معاهدة حين حل هو و صديقه الحاج بيلو و قد إستقبلهم الأمنوكال إنقدازن و الشيخ أمود و عدد من النبلاء و أيضا أمنوكال نا–هقار أتسي و هي المهمة التي لم ينجح فيها موسى ، إلا أن الإحتلال واصل إستعمال القوة تارة و الديبلوماسية تارة أخرى في أزجر لتفكيك و إضعاف النظام القبلي فيها الذي وصفه بالفدرالية.

و دائما في أزجر لم ينجح مخطط زرع بذور الصراع الداخلي فإن كانت ساعدت موسى على عزل أتسي فإنها لم تنجح في صناعة هكذا سيناريوا في أزجر فحتى إبراهيم أق بكدة الذي أذاق الفرنسيين الهزائم تلو الأخرى و بعد أن أنتهت مقاومته تقديرا منه لميزان القوى الذي لم يعد في صالحها و الذي وقع مع الفرنسيين معاهدة الخضوع و عين قائدا على قبيلته لا غير و ليس أمنوكال لأنه ما كان ليخالف التقاليد مع وجود أمنوكال شرعي هو أبوبكر لقوي، وهذا لا يعني أن فرنسا توقفت عن التلاعب بالنظام القبلي ففي سنة 1920 عينت موسى أق مستان قائدا على جانت بعد رحيل الشيخ أمود وإذا تمعنا جيدا في تطورات الأحداث نجد أن الإحتلال تمكن من الإستيلاء على أهم صلاحيات السلطة التقليدية التي أصبحت مجرد هيكل

مفرغ من محتواه و حولت شخصية أمنوكال من شخصية الزعيم صاحب السلطة المؤثرة و المطلقة التي لا تناقش إلى مجرد قائد يعين و على حساب مقاسه

و منه نلاحظ أن النظام القبلي تأثير في تطور الأحداث فقد ادرك الإحتلال أن هذا النظام يشكل حصانة و مناعة لهذه المناطق و لكن عرف كيف يستغل عيوبه و قدمه ليجعل منه وسيلة إختراق و إخضاع لها و ما يمكن قوله أن هذا الموضوع مزال بحاجة لمزيد من البحث و التنقيب و لا يمكن بأي حال من الأحوال الإحاطة بكل جوانبه في هذه الأسطر المعدودة و المحدودة إلا أنها تمثل نظرة على صفحة من صفحات تاريخ الجزائر .

الملاحق:

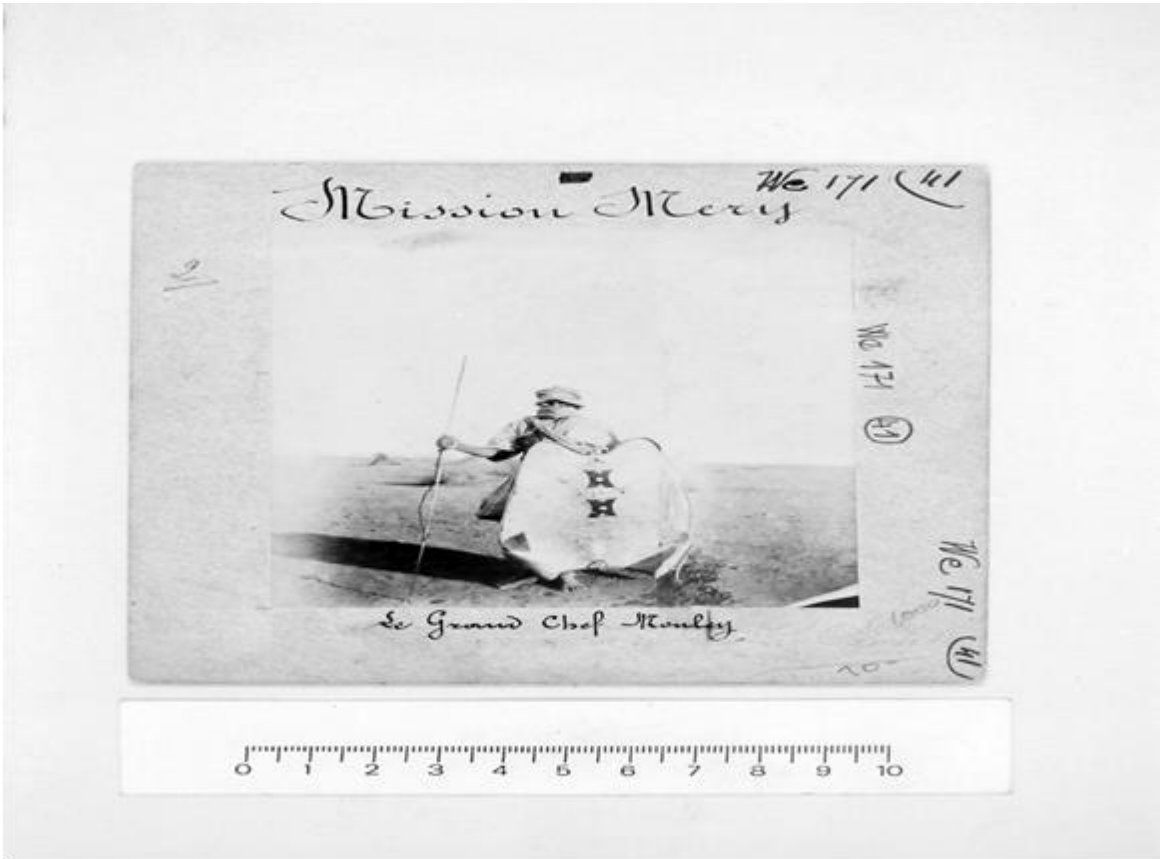

Source :G.Camu, Photos de la mission Gaston Méry dans le Sahara algenien en 1893, Galica.bnf.fr

الهوامش:

( )حسن مرموري ، التوارق بين السلطة التقليدية و الإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين ، المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزار ، 2010،ص213-231

-Henri Brosselard ,Les Deux Missions Flatters au Pays des Touaregs Azdjer et Hoggar, Librairie Fume,2emeed Paris,1889,p5-3.

-مرموري ، المرجع السابق ،ص232-236.

-voir- C.TRUMELET,Les Français dans Le Désert –journal d'une Expidition au Limites du Sahara Algerien,Librairie Garnier Frére ,Paris,1863.

-voir-Félex Jacquot,Expédition du Général Cavaignac dans le Sahara Algerien en Avril et Mai 1847,Lebrairie Gide et J.Baudry , Paris,1849.

-PAUL SOLLEILLET, «Voyage de PAUL SOLLEILLET d'Alger à L'Oasis d'In Salah », Rapport present à la chambre de commerce d'Alger,1875,p4-3.

- Ibid , p90.

-Brosselard,Op cit,p208-206.

Ibid,p208-206.

-مرموري ،المرجع السابق، ص238-242 .

-نفسه ،ص238-242 .

Brosselard ,Op cit ,p) (254 .

- أنظر دراستنا : قراءة في وثائق عن الإحتلال و المقاومة في الهقار في نصوص و وثائق مرموري، المرجع السابق، ص 173 -.

- مرموري ، المرجع السابق ، ص170-173.

- انظر دراستنا : المقاومة الشعبية في الهقار و آجر قواسم مشتركة و علاقات متداخلة.

-للمزيد من الفهم و التعمق في الفهم عد إلى : مرموري ، المرجع السابق ، ص174- 184 .

2 -أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900،دار الغرب الإسلامي ،ط1،بيروت ،1992 ،ج1 ، ص359-363.

1-إبراهيم مياسي ،توسع الإستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1912، المتحف الوطني للمجاهد ،الجزائر،1996،ص110.

-مرموري ، المرجع السابق،ص329 .

-نفسه، ص330 .

22 -أحمد مريوش ، "التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري و ردود فعل سكان الهوقار1916"،مجلة المصادر،العدد 11 ،2005،ص130-131.

-مرموري ، المرجع السابق، ص333-334 .

-ابو القاسم سعد الله،الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،2000،ص531-544 .

-مرموري ، المرجع السابق،ص220-222 .

-نفسه ،ص244،375 .

-مرموري ، المرجع السابق ،ص244،375 .

-نفسه ،ص370 .

( )عبد الحميد زوزو ، نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر المعاصر1830-1900، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،2007، ص139-141

-زوزو ، المرجع السابق،ص139-141 .

- مرموري ، المرجع السابق، ص410-420،411-421.

المكتبات في الأندلس ودورها في الحياة العلمية

أ. عبد الكريم فايزي

جامعة الشهيد حمّه لخضر بالوادي

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخّص:

ساهم التقدم العلمي والفكري بجميع صوره في ازدهار حضارة الأندلس ازدهاراً كبيراً، وكان من عوامل ذلك العناية بالكتب تأليفاً ونسخاً وقراءةً، وإنشاء المكتبات، وقد ارتبط ظهور المكتبات في الأندلس ارتباطاً وثيقاً بحركة الإنتاج الفكري بها من حيث الكثرة والتنوع، وارتبطت هذه الحركة بدورها بالحياة العقلية والفكرية في البلاد وتطورها السريع في شتى مجالات العلم والمعرفة، ويعتبر نشاط المكتبة مظهراً من مظاهر الحركية والفعل الثقافي، ذلك أنها تسهم في رواج العلوم والمعارف، جديدها وقديمها، تراثها وآخر مكتشفاتها، لدى المهتمين من العلماء والمتعلمين، والدارسين وطلاب العلم، وحتى من غيرهم من مختلف طبقات المجتمع، لذلك احتلت المكتبات مكانة كبيرة لدى الأندلسيين.

Abstract :

Libraries in Andalusia and its role in the scientific life .

The scientific and intellectual progress in all its forms has contributed to the prosperity of the Andalusian civilization, and it was factors the proliferation of books by write, copy and read, and the creation of libraries.

the emergence of libraries in Andalusia was closely linked to the movement of intellectual production, This movement, in turn, associated with mental and intellectual life, there to transform the mental and intellectual life, it causes the rapid development of countries in various fields science and knowledge, This has also led to the popularity of science and knowledge, new and old, educated and interested in science, and researchers and students, and even other different categories of society, so that libraries occupy a very important place to the Andalusian.

مقدمة:

ازدهرت حضارة الأندلس ازدهاراً عظيماً، وقد واكب ذلك التطور وساهم فيه التقدم العلمي والفكري بجميع صوره، وكان من عوامل ذلك العناية بالكتب تأليفاً ونسخاً وقراءةً، وكان شغف أهل الأندلس بحب اقتناء الكتب كبيراً حتى أصبحت هذه العملية ظاهرة في حد ذاتها، أسهمت بشكل بارز في تنشيط الحركة العلمية والفكرية في البلاد، هذه العوامل وغيرها مما يشابهها كانت وراء نشأة المكتبات في الأندلس، وهي التي هيَّأت البيئة الملائمة لتطورها وازدهارها فيما بعد.

وقد ارتبط ظهور المكتبات في الأندلس ارتباطاً وثيقاً بحركة الإنتاج الفكري بها من حيث الكثرة والتنوع، وارتبطت هذه الحركة بدورها بالحياة العقلية والفكرية في البلاد وتطورها السريع في شتى مجالات العلم والمعرفة.

فالمكتبات مهما كان نوعها، فإن أساسها الكتب والمؤلَّفات والمصنَّفات، المتباينة الموضوعات، والمختلفة الأنماط، والمتباعدة الأعداد من حيث الكثرة أو القلَّة، والمكتبة هنا تعتبر الوعاء الحاضن والمكان الحافظ لهذه الإنتاجات الفكرية، التي هي جهد المؤلِّفين والعلماء في البحث والدراسة والخبرة والتجربة، ويعتبر هذا كله إنعكاس طبيعي لمدى تقدم الحياة العقلية والعلمية، وحتى السياسية والإجتماعية والإقتصادية السائدة في ذلك الوقت.

ويعتبر نشاط المكتبة مظهراً من مظاهر الحركِّية والفعل الثقافي، ذلك أنها تسهم في رواج العلوم والمعارف، جديدها وقديمها، تراثها وآخر مكتشفاتها، لدى المهتمين من العلماء والمتعلمين، والدارسين وطلاب العلم، وحتى من غيرهم من مختلف طبقات المجتمع، لذلك احتلت المكتبات مكانة كبيرة لدى الأندلسيين، خاصة وأن هوايتهم كانت جمع الكتب، حتى صارت عملية الجمع علامة فارقة من علامات السمو والوجاهة.

أولاً: نشأة المكتبات في الأندلس:

لقد كان لظاهرة جمع الكتب واقتنائها عند الأندلسيين دورٌ كبيرٌ في توسيع دائرة الكتابة والتأليف، فأحدثت بذلك زيادة متنامية في حركة نسخ الكتب وتداولها وبيعها، وقد ساعد ذلك على نشر التعليم، حتى أصبح أغلب سكان الأندلس يتقنون

القراءة والكتابة، وقد أدت كل تلك العوامل إلى إنشاء المكتبات، وخاصة في قرطبة التي أصبحت أكثر بلاد الأندلس كتباً، وغدى أهلها أشد الناس مبادرة إلى إنشاء المكتبات(1 .).

وكان للمكتبات في الأندلس مجموعة من الأقسام منها: قسم للتأليف، وآخر للترجمة، وقسم آخر للتدقيق والمراجعة، وقسم للنسخ، وقسم للزخرفة والتذهيب والتجليد، وللمكتبات عموماً أغراض تربوية وتعليمية وعلمية، وحضارية واجتماعية ومعرفية وتثقيفية(2 .).

أما الهيكل الوظيفي للمكتبة والذي يُقصد به فئات العاملين فكانت على النحو الآتي:

- فئة مؤلِّفي الكتب: وتشمل العلماء المتخصصِّين في مختلف فروع المعرفة، والمترجمين الذين يقومون بترجمة مختلف الكتب من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية.
- فئة منتجي الكتب: كالنسَّاخين، والمراجعين، والمجلِّدين، والمذهِّبين، والرسامين، والمزخرفين.
- فئة العمال: الذين يقومون بمختلف الأعمال الأخرى مثل: عمليات الأمن، والنظافة، وتنظيم الفراش وأثاث المكتبة، وغيرها من الأعمال(3 .).

وقد كثرت المكتبات في الأندلس، وكانت تتاح فيها استعارة الكتب للجميع، ولا أدل على ذلك من الخبر الذي أورده "إبن حيان الأندلسي" (ت 745هـ / 1344م)، إذ كان يعيب على مشتري الكتب، ويقول: "الله يرزقك عقلًا تعيش به، أنا أيُّ كتاب أردته استعرته من خزائن الأوقاف – أي مكتبات المساجد – وقضيتُ حاجتي"(4.).

وعن جانب مصادر تمويل المكتبة، فقد كان إيجابيًّا، وأن التنافس العلمي والأدبي ساهم بطريقة غير مباشرة في تمويل المكتبات، وأوَّل هذه المصادر أصحاب المكتبات أنفسهم، فالخلفاء والأمراء والوزراء، وعليَّة القوم من الميسورين والأغنياء وكبار العلماء، كانوا ينشؤون مكتبات خاصة بهم ويقومون بتمويلها من مالهم الخاص، والمصدر الثاني هو الأحباس أو الأوقاف(5) التي تعمل على صرف أجور العاملين، وجلب كل ما تحتاجه المكتبة من مستلزمات، والمصدر الثالث هو الهبات والإعانات، حيث كان أهل الخير يجودون بأموالهم تشجيعاً وعوناً لهذه المكتبات(6.).

ثانياً: أنواع المكتبات:

عندما أخذت الحركة العلمية والمعرفية في البلاد الأندلسية بالنمو والتوسع والإنتشار، زاد عدد المكتبات بها، فظهرت بأشكال وأنواع عديدة، تبعاً للجو السائد، والزخم الثقافي المتنامي، وقد ظهرت في الأندلس الأنواع الآتية من المكتبات:

أ- مكتبات المساجد أو الجوامع:

يعتبر هذا النوع من المكتبات أوَّل الأنواع نشأة، ليس في الأندلس وحدها بل في سائر أرجاء البلاد الإسلامية، فقد جرت العادة – ولا تزال – أن يودع بعض الناس في المساجد عدداً من نسخ القرآن الكريم وبعض الكتب الدينية، لفائدة المصلِّين وروَّاد هذه المساجد، ومن المعروف أن المسلمين اتخذوا من المساجد أماكن للدراسة والتدريس، لنشر الدين والعلم، لذلك كان كل مسجدٍ تقريباً يحتوي على مكتبة.

وتعتبر مكتبات المساجد هي النواة التي قامت على أساسها كل أنواع المكتبات الأخرى، فكانت هناك مكتبة في كل مسجد، واحتوت هذه المكتبات على كل أنواع الكتب دينية وثقافية، وقد كان من عادة العلماء أن يوقفوا كتبهم على المساجد؛ ليضمنوا حفظها وإتاحتها للطلاب والدارسين(7)، فخلال مدة إقامة المسلمين الطويلة في الأندلس وُجد العديد من المكتبات الملحقة بالمساجد والتي يستخدمها الناس الذين ليس لديهم مكتبات خاصة، فقد كان من عادة العلماء أن يوقفوا كتبهم على المساجد لضمان حفظها وجعلها مُتاحة للطلاب الدارسين، وكانت هذه المكتبات تمتلئ بالكتب القيِّمة ذات الخط الجميل والتجليد الرائع، والمصاحف وكتب الفقه وعلم الكلام(8.).

ومن أشهر مكتبات المساجد في الأندلس، مكتبة جامع قرطبة، ومكتبة جامع إشبيلية، ومكتبة جامع طليطلة، وقد كان لحلقات الدرس والبحث التي تُعقد في جامع طليطلة شهرتها وأهميتها ومكانتها، التي جذبت إليها المعلمين والمتعليمن والمهتمين من كل مكان(9 .(

ب- المكتبات العامة:

كان هذا النوع من المكتبات موجوداً ومنتشراً في بعض أنحاء الأندلس، وكان يُسمح بدخول هذه المكتبات للطلبة والمهتمين بالإطلاع والتثقيف، أي أنه كان يحق للجمهور العام استخدامها والإستفادة من مقتنياتها، وتشير العديد من الدراسات أنه كان في الأندلس أيام الخلافة سبعون مكتبة عمومية عدا عن المكتبات الخاصة(10)، وأنه كان في قرطبة وحدها عشرون مكتبة (11)، أي أن أكثر المكتبات العامة عدداً كان موجوداً في قرطبة حاضرة البلاد، وهذا أمر منطقي، إذ جرت العادة – ولا تزال – أن تكون العاصمة في أي قطر هي مركز الثقل العلمي والنشاط الثقافي.

وذكر بعض الباحثين أن الحكام في الأندلس أنشأوا في كل حيٍّ داراً للكتب وزوَّدوها بمئات الألوف من الكتب، في مختلف فروع المعرفة، وكانت مجموعاتها ما بين عشرة آلاف ومائة ألف مجلَّد(12)، وجعلوها في متناول الجميع، ومن الأمثلة على تلك المكتبات مكتبة إشبِيلية العامة أيام الراضي بن المعتمد(13.(

ج- المكتبات الخاصة:

تُعدُّ المكتبات الخاصة أكثر أنواع المكتبات التي ظهرت في الأندلس، ويُقصد بها المكتبات التي تخصُّ أفراد معينين، أنشأوها على نفقتهم الخاصة، لفائدتهم ومصلحتهم الشخصية، وقد ظهرت هذه المكتبات في الأندلس في وقت مبكر(14)، وساعد على ظهورها وانتشارها بصورة كبيرة بين الناس "إنتشار استعمال الورق ورخص ثمنه، وهبوط أثمان الكتب، نتيجة لرخص المواد التي تُصنع منها، ولرخص أجور النسخ والتجليد"(15.(

ومن العوامل التي ساعدت على ظهور وانتشار المكتبات الخاصة بالأندلس أيضاً الأجواء الفكرية والسياسية التي كانت سائدة آنذاك، حيث كانت البلاد تزخر برقي حضاري، خاصة بالمدن الكبرى مثل قرطبة وإشبيلية وطليطلة ومالقة وغيرها، علاوة على تشجيع الحكام للعلم والتوسع في ذلك على نطاق واسع، و كان حكام الأندلس أنفسهم مثالاً يُحتذى في حب الكتب وجمعها والإهتمام بها(16.(

وحملت إلينا المصادر أسماء عددٍ كبيرٍ من أصحاب هذه المكتبات(17)، منهم على سبيل المثال القاضي "عبد الرحمن بن فطيس"(18) الذي عُرف عنه شغفه الشديد بكتب العلم، والسعي إلى اقتنائها، وأنشأ لذلك مكتبة خاصة "وقد جمع من الكتب في أنواع العلم ما لم يجمعه أحد من أهل عصره بالأندلس ... وبلغ من كثرة كتبه أن أهل قرطبة اجتمعوا – بعد وفاته – لبيع كتبه مدة عام كامل في مسجده"(19.(

وقد تفشَّت ظاهرة جمع الكتب في الأندلس حتى شملت مختلف طبقات المجتمع الأندلسي، خاصة الأعيان والوجهاء والميسورين منهم، وغدت المنافسة جادة بين هؤلاء، وأصبحت عملية اقتناء الكتب علامة مميزة من علامات الرفعة والسؤدد، لا يستغني الرجل منهم عن تأسيس مكتبة في بيته، حتى وإن لم يكن على قدر مناسب من المعرفة، وصار ذلك عندهم "من آلات التعيين والرياسة، حتى أن الرئيس منهم، والذي لا تكون عنده معرفة، يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب، والكتاب الفلاني ليس عند أحد غيره، والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصَّله وظفر به"(20.(

وقد حظي الكثير من علماء الأندلس بمكانة رفيعة بين أفراد المجتمع، وبعلمهم احتلوا منزلة سامية بين السلطان والرعيَّة على حد سواء، لهذا فقد تطلع البعض ممن من لم يتمكن من التعلم واكتساب المعرفة، إلى التشبه بأولئك العلماء، ومسايرتهم في

بعض مظاهر سلوكهم، منها الإهتمام بالكتب والعناية بها وجمعها، فأقبلوا يزيّنون منازلهم بخزائن الكتب، لينالوا من وراء ذلك مكانةً وجاهاً بين الناس، وليُقال أنهم من ذوي المعرفة، أو على الأقل من محبي العلم(21.(

ونجد وصفاً شاهداً على ذلك ما ذكره "المقري" على لسان "أبي يحي الحضرمي" الرحالة وجامع الكتب الشهير، والذي غشى سوق الكتب في قرطبة لشراء أحد الكتب، حيث جرى العُرف على أن يتم بيع الكتب بالمزاد العلني بوساطة خبير مثمّن كما أشار إلى ذلك "ياقوت الحموي" بقوله "أن الكتب كان يُنادى عليها بالمزاودة"(22)، وجاء على لسان الحضرمي: "أقمتُ مرة بقرطبة ولازمت سوق كتبها مدة، أترقَّب فيه وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء، إلى أن وقع وهو بخط فصيح وتسفير – أي تجليد – مليح، ففرحت به أشد الفرح، وجعلت أزيد في ثمنه، فيرجع إليَّ المنادي بالزيادة عليَّ، إلى أن بلغ فوق حدِّه، فقلتُ له يا هذا، أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلَّغه ما لا يساوي، قال: فأراني شخصاً عليه لباس رياسة، فدنوت منه وقلت له: أعزَّ الله سيدنا الفقيه، إن كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك، فقد بلغت فيه الزيادة بيننا فوق حدِّه، فقال لي لست بفقيه ولا أدري ما فيه، ولكني أقمت خزانة كتب، واحتفلت فيها لأتجمَّل بها بين أعيان البلد، وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب، فلما رأيته حسن الخط جيِّد التجليد، استحسنته، ولم أبال بما أزيد فيه، والحمد لله على ما أنعم به من الرزق، فهو كثير..."(23.(

تُصوِّر هذه القصة ما كان عليه سوق الكتب في قرطبة من رواج وازدهار، كما توضح في الوقت نفسه أن جمع الكتب واقتنائها لم يكن يُقصد به العلم دوماً، بل كان يُقصد به الرفعة والجاه أحياناً، وأخيراً يبين النص صفات وفئات جامعي الكتب من العلماء ومن غيرهم.

والعجيب أنه لم تكن الأسرة الحاكمة أو الأسر الغنية الميسورة وحدها تستمتع بترف تكوين مكتبات غنية، وإنما نجد أن هذه الهواية كانت موجودة حتى بين طبقات المجتمع الأشد تواضعًا، فمن هؤلاء معلم مغمور يمضي حياته كلها بين الصبيان يعلمهم آيات القرآن الحكيم وبعض الأحاديث النبوية، قال "ابن الأبار" عن حزم وولده وابنته ومكتبهم الصغير الذي يعلِّمون فيه الأطفال: "كان هو وابنه محمد وابنته تجمعهم في تعليمهم دار واحدة"(24)، وهذا الرجل لا ينتسب لأسرة ابن حزم الشهيرة المعروفة التي منها الإمام ابن حزم الأندلسي.

لقد كان هذا المعلم المغمور يشتغل ساعات فراغه في نسخ الكتب التي يعيرها له أصدقاؤه، ورغم أن ظروفه لا تتيح له ترف أن يستخدم لها خازناً، لكن ذلك لا يعني أنها كانت مهملة، أو غير مرتبة، أو يجهل قيمتها، وكان أدباء قرطبة يغبطونه على دقَّة مخطوطاته، وروعة بعضها، وندرة البعض الآخر، وقد أحضرها في رحلة له من المشرق استهدف بها هذه الغاية، ويمكن أن تراه في ملابس متواضعة، ويتناول طعامًا أشد تواضعًا، ولكن مكتبته تعكس بوضوح إلى أي حد يمكن أن يبلغ حب الكتب بصاحبه حتى عند أصحاب الدخول المحدودة، والأرزاق المتواضعة(25.(

ولم يكن إنشاء المكتبات الخاصة في الأندلس مقصوراً على العلماء من الرجال فحسب، بل امتد ذلك إلى النساء أيضاً، وتمدنا المصادر بأسماء العديد من النساء ممن قمن بإنشاء مكتبات خاصة، منهن على سبيل المثال: "عائشة بنت أحمد بن قادم" (توفيت سنة 400هـ / 1010م) وهي قرطبية، يقول عنها إبن بشكوال: "لم تكن في جزائر الأندلس في زمانها من يعادلها فهماً وعلماً ... وكانت تجمع الكتب وتعنى بالعلم، ولها خزانة علم كبيرة وحسنة"(26 .(

ثالثاً: مكتبة القصر في قرطبة:

تعتبر مكتبة قصر قرطبة، والتي تسميها المصادر مكتبة "الحكم المستنصر" من أهم المكتبات في الأندلس والعالم الإسلامي، فقد عني حكام الأندلس وأمراؤها وخلفاؤها بإنشائها والإشراف عليها والعناية بها، وتزويدها بكل ما يلزم من كتب ومصنفات ونساخين ومترجمين، حتى أصبحت تحوي أضخم مجموعة من التآليف والتصانيف والكتب في شتى أنواع العوم والمعارف .

يرجع تاريخ إنشاء هذه المكتبة إلى عصر "محمد الأول"(27)، فقد عُرف عن الأسرة الأموية التي حكمت الأندلس اهتمامها بالتعليم، وعنايتها بالكتب، وقد أشار المؤرِّخون عند كلامهم على عصر محمد الأول إلى مكتبة القصر بأنها أحسن ما في مدينة قرطبة(28 .(

كما ذكرت المصادر أنه كان يعمل في بلاط الخليفة "عبد الرحمن الناصر"(29) أمهر النساخ باستمرار، ومعهم رسامون ومزخرفون، وقد اهتم الخليفة الناصر بالشعر والأدب، وحفل بلاطه بالعلماء والأدباء يأتونه من كل حدب و صوب، وقد اشتهر عن الناصر أيضاً شغفه بالكتب، ما جعله يهتم بمكتبة القصر وذلك بتزويدها بكل ما هو نفيس من الكتب(30 .(

وفي تلك الأيام بدأ كل من ولديه الأميرين "الحكم" و"محمد" دراستهما تحت إشراف معلمين من أهل الأندلس ومن خارجها، وقد ظهر شغفهما المتزايد بالكتب إلى درجة جعلتهما لا يرضيان عن الكتب الموجودة في مكتبة أبيهما، فبدآ يتنافسان في جمع الكتب، ويتباريان أيهما يستطيع أن يجمع أكبر عدد وأفضل اختيار من الآخر، وأنشأ كل واحد منهما مكتبة خاصة به، وعندما توفي محمد آلت كتبه لأخيه الحكم وورثها عنه(31.(

تولَّى "الحكم المستنصر"(32) الخلافة بعد وفاة أبيه الناصر، وقد أسهبت المصادر والمراجع التاريخية – قديمها وحديثها – في الحديث عنه والإشادة به، وذكرت مدى شغفه بالكتب والمكتبات، ومقدار اهتمامه بالعلم والعلماء، وقد تميزت فترة حكمه بنشاط علمي وثقافي متعدد الجوانب، وتطور واضح في الحياة الفكرية في البلاد، وازدهار في الحركة العلمية .

قام الخليفة "الحكم" بضم الكتب التي احتوت عليها مكتبته إلى كتب أخيه محمد التي ورثها عنه، إلى مكتبة أبيه الناصر، وهكذا أصبحت مكتبة القصر في ذلك الوقت أكبر مكتبة في البلاد الأندلسية كلها.

ولم يتوقف "الحكم" عند هذا الحد، بل إنه خصص أموالاً ضخمة للإنفاق على عملية شراء الكتب "حتى غصَّت بها بيوته، وضاقت عنها خزائنه"(33)، كما قام بنشر رجاله في كل مراكز الثقافة الإسلامية يبحثون له عن النادر من الكتب والمخطوطات، ويدفعون أغلى الأثمان للحصول عليها، بل وكانوا يصادقون تجار الكتب في كل مكان ليدلوهم على ما صدر منها وما هو في طريقه إلى الصدور، وكثيراً ما كانوا يشترون الكتب من مؤلِّفيها مباشرة لتظهر في الأندلس قبل أن ترى النور في العراق أو الشام أو مصر، حيث كان لدى "الحكم" إصرار كبير في أن يكون أول قارئ لما يصدر من الكتب الجديدة(34)، وعن اهتمامه بالكتب وجمعها يقول "المقري" : "كان محبًّا للعلوم، مكرماً لأهلها، جمَّاعاً للكتب في أنواعها، بما لم يجمعه أحد من الملوك قبله"(35.(

ويبدو أن اهتمام الخليفة الحكم المستنصر بالكتب لم يعرف حدوداً ولا قيوداً، بل كان شغفه بها عامًّا ينسحب على كل ألوان المعرفة "وجمع في بقيَّة أيام أبيه ثم في مدة ملكه من بعده ما كاد يضاهي ما جمعته ملوك بني العباس في الأزمان الطويلة، وتهيَّأ له ذلك إفراط محبته للعلم، وبُعد همَّته في اكتساب الفضائل، وسمو نفسه إلى التشبُّه بأهل الحكمة من الملوك، فكثر تحرك الناس في زمانه قراءة كتب الأوائل، وتعلم مذاهبهم"(36.(

ويذكر "ابن حزم" محتويات مكتبة المستنصر فيقول: " وأخبرني (قليد) الفتى – وكان على خزانة العلوم بقصر بني مروان بالأندلس – أن عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب أربعٌ وأربعون فهرسة، في كل فهرسة خمسون ورقة، ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط"(37)، ويشير النص إلى ضخامة ما حوته المكتبة من كتب، كما يسلِّط الضوء على ما كانت عليه المكتبة من تنظيم، وذلك بضمِّها لفهارس خاصة بكل المواضيع.

وعن عدد ما كان في المكتبة من كتب يقول "المقري": "إنه – يقصد المستنصر – جمع من الكتب ما لا يُحدُّ ولا يُوصف كثرةً ونفاسةً، حتى قيل أنها كانت أربعمائة ألف مجلَّد، وأنهم لما نقلوها أقاموا ستة أشهر في نقلها"(38)، وقد أشار إلى هذا العدد الهائل من الكتب الكثير من الباحثين المحدثين، ممن كتبوا عن "الحكم" وتعرضوا لسيرته العلمية(39)، بل إن بعضهم ذكر بأن

المكتبة ضمَّت نصف مليون من الكتب القيِّمة(40)، فيما ذهب آخرون إلى أنها اشتملت على ستمائة ألف مجلَّد، وأن فهرس أسماء تلك الكتب كان يتألف من أربعةٍ وأربعين مجلَّداً(41).

وربما يكون هذا الرقم الكبير مبالغٌ فيه، ولا يُستبعد أن إطلاقه على محتويات المكتبة قد أتى للدلالة على الإزدهار العلمي الكبير الذي عرفه عصر المستنصر، كما أن مصادر التاريخ الأندلسي الأولى لم تشر إلى تلك الأرقام المذكورة، فلم يُشر إليها ابن الفرضي، أو الحميدي، أو الضبي، أو ابن بشكوال، أو ابن الأبار.

ومهما يكن من أمر فإن مكتبة قصر قرطبة، أو مكتبة الحكم المستنصر كانت مكتبة عظيمة، تحتوي على ذخائر نفيسة من الكتب والتآليف والتصانيف العلمية(42)، لم يجمع مثلها أي خليفة في الإسلام، وبلغ من ضخامة محتويات تلك المكتبة أن اشتهر أمرها في الأوساط العلمية في العالم الإسلامي، وأصبحت مثلاً بارزاً على الإزدهار العلمي والنشاط الفكري، حتى غدت أعظم خزائن الكتب في البلاد الإسلامية.

رابعاً: المكتبات في عصر العامريين والطوائف:

تولَّى الخلافة بعد الحكم المستنصر إبنه "هشام المؤيَّد"(43)، والذي كان مُعتزلاً عن إدارة شؤون البلاد بسبب تسلُّط الحاجب "المنصور بن أبي عامر"(44)، وقد كان للمنصور مكتبة كبيرة اختص بها هو وولده من بعده، وكان يقوم على النظر فيها والإشراف على محتوياتها العلاَّمة الورّاق "محمد اللغوي"(45)، وكان لمهارته في الخط وشؤون الوراقة أثر في معرفته الجيدة بالكتب وصيانتها والإشراف عليها، والعمل على إصلاح ما قد يكون في خطوطها من أخطاء، وكان يقوم على فحص المجلَّدات ويقابل بين نسخها، هذا إلى جانب براعته في التاريخ فقد ألَّف مُصنَّفاً في تاريخ العامريين(46)، وفي ذلك دلالة على ما كان للمنصور ابن أبي عامر من إسهامات بالغة الأثر في الحياة العلمية والفكرية في الأندلس في عصره، وتمتُّعه بروح علمية واهتمام بالكتب.

وقد شهد عصر الطوائف في الأندلس بروز العديد من المكتبات التي قام بإنشائها عددٌ من ملوك الطوائف أنفسهم، وبعض وزرائهم وعلمائهم، فقد كان "بنو عباد" في إشبيلية وقرطبة، و"المظفَّر" ملك بطليوس، و"بنو هود" في سرقسطة، و"المأمون" في طليطلة، و"مجاهد" في دانية، ممن اشتهروا باقتناء خزائن عظيمة من الكتب.

فبنو عباد مثلاً، كان لإهتمامهم العميق بالشعر أثرٌ بالغٌ في انصرافهم إلى جمع الكتب واقتناء نفائسها، وخاصة فيما يتعلَّق منها بالأدب والشعر، هذا إلى جانب ما تجمَّع لديهم من كتب كثيرة ومختلفة، صنفها لهم علماء دولتهم وأدباء بلاطهم، فقد كانوا يملكون مكتبة عامرة بالكتب(47)، واشتهر من بني عباد باقتناء الكتب "شرف الدولة ابن المعتمد"، الذي وصفه ابن اللبانة بقوله: "حريصٌ على طلب الأدب، مسارعٌ في اقتناء الكتب، مثابرٌ على نسخ الدواوين"(48 .)

كما كان "المظفَّر" ملك بطليوس في مقدمة ملوك عصره علماً وأدباً، وهو الذي ذاع صيته بما صنَّفه من موسوعة أدبية ضخمة سماها "المظفرى"، ومن غير شكٍّ فقد كان يملك خزانة كتب كبيرة ساعدته على تأليف كتابه الذي يدل على سعة اطلاع، ومعرفة واسعة بالأدب(49).

وكان "المقتدر" ملك سرقسطة، ومن بعده ابنه "المؤتمن"، ثم ابنه "المستعين"، كانوا يملكون خزانة عظيمة من الكتب القيِّمة، وخاصة ما يتعلق منها بعلوم الأوائل، كالطب والرياضيات والفلك، وقد كان المقتدر وابنه المؤتمن من علماء الرياضيات، ولهما فيها تصانيف رفيعة، لا يمكن أن يقوما بتأليفها إلا إذا توفرت لديهم مصادر المعرفة من الكتب المختلفة.

وعُرف عن "المأمون بن ذي النون" ملك طليطلة اهتمامه بالكتب وسعيه في اقتنائها، وقد دفعه شغفه بها إلى انتهاب مكتبة العلاَّمة "عبد الله الأورشي"(50) نزيل بلنسية(51)، وقد كان المأمون مُحبًّا للكتب، مُجدًّا في اقتنائها، وبسبب تلك النزعة

العلمية لديه، فقد أقدم علماء كثيرون وفي شتى فروع المعرفة بإهدائه مؤلَّفاتهم، منهم على سبيل المثال المؤرِّخ الكبير "إبن حيان" الذي أهدى إليه كتابه "المتين"(52).

وتذكر المصادر بأن "مجاهد العامري" صاحب دانية، كان مُحبًّا للكتب، ساعياً في اقتنائها، حتى "جمع من دفاتر العلوم خزائن جمَّة"(53).

كما أمدتنا المصادر بأسماء جملة من الوزراء وكبار العلماء والأغنياء، الذين اشتهروا في عصر الطوائف بجمع الكتب وإنشاء المكتبات، والعناية بها(54)، وقد اجتمع لديهم في مكتباتهم تلك أعداد ضخمة من الكتب والمصنفات والتآليف في مختلف أنواع العلوم والمعارف.

خامساً: الدور الحضاري والعلمي للمكتبات في الأندلس:

ساهمت المكتبات بدورٍ فعَّال في عملية الاتصال بين العلماء؛ حيث عملت على إمداد المؤلِّفين الأندلسيين بمصادر للمعلومات كان لها تأثيرٌ على مؤلَّفاتهم فيما بعد، كما وفَّرت تلك المكتبات الكتب النادرة والموجودة في المشرق، سواءٌ توفرت هذه الكتب في مكتبات خاصة، أو شبه عامة، أو عامة، حتى أتاحت للمؤلِّفين – وإن لم يسافروا إلى خارج الأندلس – أن يحصلوا على المعلومات التي يريدونها من داخل تلك المكتبات(55).

ونتيجةً لتلك الحركيَّة الثقافية في الأندلس نشأت حضارة شامخة، ارتكزت على مجموعة من الركائز، من أبرزها توفير الكتب للعامة، فانتشرت المكتبات في طول البلاد وعرضها، وتعلَّق الأندلسيون بالكتب تعلُّقًا لافتًا، وانتشرت موجة حب الكتب والقراءة بين جميع طبقات المجتمع الأندلسي بلا استثناء.

وبفضل توفر الكتب وكثرة المكتبات انتشرت الثقافة في العالم الإسلامي، وشملت جميع طبقات الناس، فقد كان نظام المكتبات يشجع الناس على الإقبال عليها؛ لما يجدونه من العناية والنفقة السخية والإقامة المريحة، فينكبُّون على القراءة والنسخ والمطالعة، لا يزعجهم همٌّ، ولا يشغلهم خوف(56).

كما ساهم انتشار المكتبات في تنشيط حركة التأليف في الأندلس؛ حيث تفرَّغ عددٌ كبيرٌ من العلماء في مختلف المجالات للتأليف، نتيجة توفر المكتبات ووجود عددٍ لا بأس به في كل مدينة أندلسية، كما كانت تلك المكتبات تفتح أبواب المعرفة أمام الجميع، وأتاحت لهم فرصة الاطلاع على كتب وعلوم جديدة لم تكن متاحة لعدد كبير من الناس، ولعبت دورًا في تثقيفهم، وجعلت من بينهم المفكرين والعلماء والأدباء، وأمدَّتهم بما يحتاجون إليه في تأليف كتبهم(57).

لم تكن تلك المكتبات مجرد خزائن كتب، وإنما كانت مؤسسات تعليمية وتربوية أيضًا؛ فقد كانت أشبه ما تكون بالمدارس والجامعات، وبالتالي أسهمت بنصيبٍ وافرٍ في العملية التعليمية، فكانت مكانًا لعقد حلقات الدرس والمحاورات والمناقشات بين العلماء وأهل العلم، مما يتيح الفرصة للطلاَّب لعرض الأسئلة والاستفسارات وتلقِّي الإجابة عنها.

خلاصة:

تعتبر المكتبات بصفة عامة، من أهم دعائم الحضارة؛ فهي تقوم بحفظ وصيانة كنوز المعرفة وتنظيمها وإتاحتها للجميع، كما أنها تعطي صورة صادقة لمدى اهتمام الشعب الأندلسي بالفكر والعلم والعلماء، وإنشاء المكتبات العامة والخاصة يعكس حب المسلمين للعلم، وحرصهم على نشره بين الناس، وتقديرهم البالغ لأهله وطلاَّبه، وإن إنشاء المكتبات والعناية بالكتب كان من مفاخر الحضارة الإسلامية ومآثرها التي فاقت بها سائر الحضارات.

إن هذا اللون من النشاط العلمي، والمتمثل في الإهتمام الواسع بالكتاب، والسعي في اقتنائه، وإنشاء المكتبات لحفظه ولسهولة الوصول إليه عند الحاجة، وبذل كل ما يلزم ذلك من جهد ومال في سبيل تحقيق تلك الغاية، سواء من الحكام والخلفاء

والأمراء، أو من الوزراء والأغنياء وكبار العلماء، أو من بقية أفراد المجتمع الأندلسي، يُعدُّ بحقٍّ صفحة مشرقة في تاريخ الفكر الأندلسي، وفيه دلالةٌ أيضاً على الرقي العلمي والإزدهار الحضاري الذي كان يعيشه المجتمع الأندلسي في ذلك العصر.

-الهوامش:

)1 -(حامد الشافعي دياب، الكتب والمكتبات في الأندلس، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط 1، 1998م، ص 97.

)2 -(المرجع نفسه، ص 219 - 226.

)3 -(جاسم بن محمد القاسمي: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1999م، ص 151.

)4 -(المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (1388هـ / 1968م)، ج 7، ص 376 - 377.

)5 -(للتوسع بخصوص الوقف ودوره في تمويل المكتبات في الأندلس أنظر: أنور محمود زناتي، الوقف على المكتبات في الحضارة الإسلامية (الأندلس نموذجاً)، دورية كان التاريخية، العدد السادس عشر، جوان 2012م، ص 40 - 44.

)6 -(حامد الشافعي دياب، المرجع السابق، ص 123 - 124.

)7 -(محمد محمد أمان، الكتب الإسلامية، ترجمة سعد الضبيعان، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1990م، ص 59.

)8 -(رضا سعيد مقبل: تاريخ المكتبات الإسلامية في الأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2009م، ص 89.

)9 -(دي بور، ت. ج، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1957م، ص 418.

)10 -(عمر كحالة، مقدمات ومباحث في حضارة العرب والإسلام، مطبعة النجار، دمشق، (1394هـ / 1974م)، ص 244، محمد فريد وجدي، دائرة معرف القرن العشرون، دار الفكر، بيروت، 1979م، ص 62، محمد عجاج الخطيب، لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1980م، ص 40، محمد محمد أمان، المرجع السابق، ص 66.

)11 -(زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، تعريب فاروق بيضون وكمال دسوقي، مراجعة فاروق عيسى الخوري، منشورات المكتب التجاري، بيروت، ط 2، 1969م، ص 499 .

)12 -(المرجع نفسه، ص 449 – 450.

)13 -(حسين مؤنس، تاريخ الجغرافيا والجغرافيون في الأندلس، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1986م، ص 38.

)14 -(عبد الستار الحلوجي، لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات، دار الثقافة، القاهرة، 1982م، ص 39.

)15 -(محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، (1398هـ / 1978م)، ص 86.

)16 -(حامد الشافعي دياب، المرجع السابق، ص 101.

)17 -(خوليان ريبيرا، المكتبات وهواة الكتب في إسبانيا الإسلامية، ترجمة جمال محمد محرز، مجلة معهد المخطوطات العربية، 1958م، مج 4، ج 1، ص 425.

)18 -(هو القاضي أبو المطرف عبد الرحمن بن فطيس (ت 402هـ / 1007م)، ينتسب إلى أحد الأسر القرطبية الواسعة الثراء، وكان يملك حيًّا بأكمله يقوم حول البيت الذي يسكن فيه، وقد أمر ببناء مكتبة خاصة برع المهندسون فيها، تولى القضاء والوزارة في عهد الحاجب المنصور ابن أبي عامر وقلَّما اجتمع ذلك لأحدٍ في الأندلس، إبن بشكوال، كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1966م، ج 1، ص 255.

)19 -(إبن بشكوال، المصدر السابق، ج 1، ص 298 - 299 .

)20 -(المقري، المصدر السابق، ج 1، ص 462 - 463.

)21 -(سعد عبد الله البشري، الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، المملكة العربية السعودية، (1418هـ / 1997م)، ص 112 - 113 .

)22 -(ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (1397هـ / 1977م)، ج 3، ص 63.

)23 -(المقري، المصدر السابق، ج 1، ص 463.

)24 -(إبن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، نشره وصححه عزت العطار الحسيني، مطبعة السعادة، القاهرة، 1953م، ج 1، ص321.

)25 -(خوليان ريبيرا: التربية الإسلامية في الأندلس، ترجمة الطاهر مكي، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1994م، ص 165.

)26 -(إبن بشكوال، المصدر السابق، ج 2، ص 654.

)27 -(هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (238 – 273هـ / 851 – 886م) خامس أمراء الدولة الأموية في الأندلس، حكم الأندلس لخمسة وثلاثين عامًا، قضاها في مقاومة الثورات والاضطرابات المتلاحقة في عهده، كان محبًّا للعلم، مُقرِّبًا لأهل الأدب، فجمع حوله صفوة الشعراء والعلماء، المقري، المصدر السابق، ج 3، ص 143، إبن عذاري، البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، دار الثقافة، بيروت، 1980م، ج 2، ص 94 - 99.

)28 -(خوليان ريبيرا، المكتبات وهواة الكتب في إسبانيا الإسلامية، ص 433.

)29 -(أبو المطرّف عبد الرحمن الناصر لدين الله (300 – 350هـ / 912 – 961م)، ثامن حكام الدولة الأموية في الأندلس، وأول خلفاء قرطبة بعد أن أعلن الخلافة في مستهل ذي الحجة من عام 316هـ، والمعروف في الروايات الغربية بعبد الرحمن الثالث تمييزًا له عن جديه عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) وعبد الرحمن بن الحكم (الأوسط)، استطاع عبد الرحمن الناصر إخماد التمردات الداخلية والخارجية على سلطة الدولة، فاستعاد هيبتها وبسط سلطته على كافة أنحاء دولته، وبفضل الاستقرار السياسي والمغانم العسكرية، انتعشت الأندلس في عهده اقتصاديًا وعسكريًا. المقري، المصدر السابق، ج 1، ص 379.

)30 -(سعد عبد الله البشري، المرجع السابق، ص 133.

)31 -(إبن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط 1، 1963م، ج 1، ص 200 - 206.

)32 -(الحكم المستنصر بالله (350 – 366هـ / 961 – 976م)، تاسع أمراء الدولة الأموية في الأندلس وثاني خلفاء الأندلس بعد أبيه عبد الرحمن الناصر، كان عصره امتداداً لفترة زهوة الدولة الأموية في الأندلس الذي بدأ في عهد أبيه، وقد اشتهر الحكم بعشقه للعلم واقتناء الكتب، إبن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج 1، ص 200، المقري، المصدر السابق، ج 1، ص 395.

)33 -(إبن الأبار، الحلة السيراء، ج 1، ص 201.

)34 -(حامد الشافعي دياب، المرجع السابق، ص 111.

)35 -(المقري، المصدر السابق، ج 1، ص 386 - 395.

)36 -(صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، مطبعة التقدم، القاهرة، ص 88.

)37 -(إبن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط 3، 1391هـ، ص 100، إبن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار العلم للملايين، بيروت، (1388هـ / 1968م)، ج 4، ص 146.

)38 -(المقري، المصدر السابق، ج 1، ص 395.

)39 -(عبد الرحمن الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار العلم، بيروت، ط 1، 1976م، ص 317، السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1972م، ج 2، ص 162، وانظر أيضاً :

, Titus Burckhardt, Moorish culture in 192, P 1962Thomas Irving, Falcon of Spain, London, .37, P 1972Spain, translated by Alisa Jaffa, London,

)40 -(زيغريد هونكه، المرجع السابق، ص 353.

)41 -(عمر كحالة، المرجع السابق، ص 243 - 244.

)42 -(من المؤسف أنه لم يبق أي كتاب من الكتب التي كانت تضمها مكتبة الحكم المستنصر، إلا أن ليفي بروفنسال أشار إلى أنه عثر على مجلَّد منها في فاس، وهو يحمل تاريخ 359هـ / 969م، وفيه دلالة على أنه نسخ لأمر الخليفة الحكم، أنظر: ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 65.

)43 -(أبو الوليد هشام المؤيَّد بالله (366 – 403هـ / 976 – 1013م) عاشر الحكام الأمويين للأندلس وثالث خلفاؤهم في قرطبة، خلف أباه الحكم المستنصر عام 366هـ، وهو في سن الثانية عشر تحت وصاية أمه. شهدت خلافته بداية انحسار دولة بني أمية في الأندلس بعد أن كانت قد بلغت أقصى درجات عظمتها في عهد جده الناصر وأباه الحكم، حيث سيطر الحاجب المنصور بن أبي عامر على مقاليد الحكم، وأسس دولة داخل الدولة، ظل هشام المؤيَّد إسميًا خليفة للأندلس حتى عام 399هـ، عندما خلعه ابن عمه محمد المهدي بالله، وظل حبيسًا إلى أن أُعيد للحكم مرة أخرى عام 400هـ، ولكن لفترة قصيرة حيث قُتل عام 403هـ، إبن عذاري، المصدر السابق، ج 2، ص 248 - 249.

)44 -(الحاجب المنصور أبو عامر محمد بن أبي عامر (366 – 392هـ / 976 – 1002م) حاجب الخلافة والحاكم الفعلي في الأندلس في عهد الخليفة هشام المؤيَّد. بدأ حياته السياسية وتدرَّج في المناصب منذ عهد الخليفة الحكم المستنصر، وكان على علاقة وطيدة بزوجة الخليفة صبح البشكنجية أم الخليفة هشام المؤيد، والتي كانت وصية على عرش ولدها بعد وفاة زوجها الحكم. عاونت صبح الحاجب المنصور على إقصاء جميع منافسيه، ولكنه حجر على الخليفة الصبي، وقيَّد سلطته هو وأمه. وسَّع المنصور الدولة شمالاً، وحرَّك بحملاته العسكرية حدود الممالك المسيحية في الشمال إلى ما وراء نهر "دويرة"، فبلغت الدولة الأموية في الأندلس أوج قوتها في عهده. المقري، المصدر السابق، ج 3، ص 287 – 288.

)45 -(هو محمد بن عبد الرحمن بن معمر اللغوي القرطبي (ت 423هـ / 1031م.(

)46 -(إبن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج 1، ص 384.

)47 -(سعد عبد الله البشري، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، المملكة العربية السعودية، (1406هـ / 1986م)، ص 216.

)48 -(المقري، المصدر السابق، ج 4، ص 69، نقلاً عن ابن اللبانة.

)49 -(سعد عبد الله البشري، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ص 216.

)50 -(هو عبد الله بن حيان الأورشي (ت 487هـ.(

)51 -(يحدثنا الضبي نقلاً ابن علقمة في تاريخه "أن ابن ذي النون صاحب بلنسية، أخذ كتب الأورشي من داره، وسيقه إلى قصره ذلك ماية عدل وثلاثةٌ وأربعون عدلاً من أعدال الحمَّالين، يقدر كل عدل منهم بعشرة أرباع، وقيل أنه كان قد أخفى منها نحو الثلث"، الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م، ص 343 – 344.

)52 -(إبن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (1399هـ / 1979م)، ق 1، ج 2، ص 578.

)53 -(المصدر نفسه، ق 3، ج 1، ص 21.

)54 -(سعد عبد الله البشري، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ص 217 - 223.

)55 -(شرين السيد عبده، الاتصال الوثائقي في الأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ص 158.

)56 -(أحمد أبو زيد: نظام الوقف الإسلامي، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو)، الرباط، (1421هـ / 2000م)، ص 64 – 68.

(57)- أنور محمود زناتي، المرجع السابق، ص 43.

بن ناصر بن شهرة والشريف بوشوشة أنموذجان بارزان لوحدة القضية الجزائرية والروح الوطنية

أ.حسين تواتي

(جامعة تلمسان)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الملخص:

هذا البحث الموسوم بـ :« الشيخ بناصر بن شهرة والشريف بوشوشة أنموذجان بارزان لوحدة القضية الجزائرية والروح الوطنية » عبارة عن دراسة تحليلية استنتاجية نعالج من خلالها بالبحث والدراسة وحدة القضية الجزائرية في مقاومة الاحتلال الفرنسي لدى سكان الجنوب الجزائري بصفة عامة والجنوب الشرقي بصفة خاصة من خلال مقاومتي الشيخ بن ناصر بن شهرة والشريف بوشوشة وذلك بالتطرق إلى سيرتهما الذاتية ومسيرتهما الثورية ،ومواقفهما من الاحتلال الفرنسي والقبائل الداعمة والمساندة له.

الكلمات المفتاحية:بناصر بن شهرة – الشريف بوشوشة – المقاومة الشعبية – الاحتلال الفرنسي – القضية الجزائرية

Résumé:

Cette recherche sous l'intitulé : « Cheikh BENNACER BENCHOUHRA et CHERIF BOUCHOUCHA, deux exemples se distinguent par l'unité de l'affaire Algérienne et l'esprit national », est une étude analytique exceptionnelle qui traite par la recherche et l'étude l'unité de l'affaire Algérienne dans la résistance à la colonisation française chez les habitants du sud Algérien d'une manière générale En particulier, le sud-est pendant la résistance de Cheikh BENNACER BENCHOUHRZA et CHERIF BOUCHOUCHA, en mettant l'accent sur leurs biographies et leur position de la colonisation française et les tribus qui la soutiennent

Mots clefs : Bennacer Benchouhra- Cherif Bouchoucha – La résistance populaire – l´Occupation Française - l'Affaire Algérienne

مقدمة:

قاوم أهل الجنوب الاحتلال الفرنسي كما أهل الشمال منذ أن وطئت قدماه أرض الجزائر [1] ،فأهل الجنوب كما وصفهم الجنرال الفرنسي شارل فيرو(Ch Féraud):« ... إن الرجل العربي في الجنوب يقضي كامل يومه دون الالتفات إلى الغد ... إن مستقبله الوحيد الذي يشغل باله هو ذلك الذي وعد به المؤمنون الصادقون ... وإذا دعي للجهاد نسي كل شيء: عائلته وخيمته وحطامه ،وتناول بندقيته ثم امتطى فرسه ... إن الموت بالنسبة إليه جزاء .

وشعب كمثل هذا يكون خطيرا جدا ويجب أن يقرأ له حساب ... إن العربي في جنوب الجزائر جندي وفارس بالطبع ... يقشعر جسمه لصوت البارود فيسرع إلى سلاحه ولا ينشغل بغير تفقد ذخيرته الحربية أما إلى أين يقاد فهذا أمر لا يعنيه فالمهم أنه يعرف بأنه ينال الجنة إذا قاتل الكفار ومات ... وعند إذ لا يحده شيء ولا يقف عند حد ... يضاف إلى كل هذا إن العربي في هذه المقاطعة من بلاد الجزائر يؤمن كثيرا بتاريخ مجده وينقاد بسهولة إلى الدعوات الدينية. »[2]

يضاف إلى هذا التكوين الديني والثقافي لأهل الجنوب الرافض للخضوع لحكم الأجنبي الكافر والذي ساهمت فيه الزوايا [3] المنتشرة عبر ربوع المنطقة بشكل كبير ،فقد كانت بحق مراكز اشعاع علمي وثقافي ،وحصنا منيعا حافظ اللغة العربية والعلوم الشرعية ،كما وقفت في وجه البعثات التنصيرية.[4] وكذلك البيئة الصحراوية التي ينشأ أبناؤها على صفاء الذهن والصحة والشجاعة والفروسية والإقدام وأحداث الكر والفر في الحرب والنزال [5]. وتعلم معظمهم من مهنة الرعي القيادة والمسؤولية واليقظة الدائمة ،كما أنها مدعاة للصحة والنشاط والرياضة البدنية [6].

إن هذه الشجاعة والبسالة التي وجدها الجنرال شارل فيرو في أهل الجنوب الجزائري ،وهذه الشخصية القوية الرافضة للاحتلال الأجنبي والخضوع للكافر التي اكتسبوها من تكوينهم الديني ومن بيئتهم [7] أخرجت من بينهم رجالا أبطالا آمنوا بالجزائر وحدة موحدة وكل لا يتجزأ باعوا أنفسهم لله في سبيل الحفاظ عليها ورد المحتل عنها. ومن بين هؤلاء الأبطال الشيخ بن ناصر بن شهرة والشيخ الشريف بوشوشة الذين نذرا نفسيهما للجزائر ولاسترجاع حريتها فكانا بحق أنموذجين بارزين لوحدة القضية الجزائرية والروح الوطنية.

فمن هما هذين البطلين؟ وكيف كان جهادهما؟ وما هي الدلائل التي جعلتنا نتخذهما كأنموذجين لوحدة القضية الجزائرية والروح الوطنية؟

هذه الأسئلة وغيرها سنحاول الاجابة عنه في بحثنا هذا والموسوم بـ: « **بن ناصر بن شهرة والشريف بوشوشة أنموذجان بارزان لوحدة القضية الجزائرية والروح الوطنية.**» متبعين في ذلك المنهج التاريخي الوصفي التحليلي بغية الوصول إلى الاستنتاجات التي تمكننا من الاحاطة بالموضوع وتحقيق الهدف المرجو من هذا البحث.

أولا: بناصر بن شهرة (1804–1884 م).

هو بناصر بن شهرة بن فرحات ولد بقبيلة الأرباع [8] عام 1804 م. كان ربعة أشقر اللون أحمر الشعر ،كثيف شعر الحاجبين يعتم مثل الأمير عبد القادر ويلبس الحايك من الصوف ،وينتعل الحذاء الطويل ،كان جده بن فرحات وأبوه بن شهرة قائدين وشيخين على الأرباع تواليا.

نشأ بن ناصر بن شهرة في جو ملؤه الحياة العربية القحة على الكرم الفروسية والإقدام وأحداث الكر والفر ،كان ماهرا في الرمي يضرب بالرصاص فيصيب مرماه ولا يكاد يخطئ ،وكان إذا حمي وطيس المعركة تلثم وأقدم على القتال. كما نشأ متمسكا بسيرة أسلافه شيوخ الأرباع وزعماء الصحراء على الطريقة القادرية.[9] كان ضليعا بدقائق الصحراء عالما بخباياها أو كما وصفه المؤرخ الفرنسي لوي رين كان الملاح الحقيقي للصحراء.[10]

تزوج بن ناصر بن شهرة ثلاث زيجات ،كانت الأولى من بنت سلطان مدينة الأغواط السيد أحمد بن سالم والتي طلقها بعدما رفضت مرافقته إلى أعماق الصحراء أين عزم على مقاومة الاحتلال الفرنسي. وبمدينة ورقلة تزوج من بنت أحد قادتها وهو من المخادمة [11] وكانت تسمى"الياقوت" والتي توفيت بعدما أنجبت له ولدين – محمد وبن شهرة – ليتزوج من المرابطية "نوة" أخت مولاي عبد القادر الإدريسي والتي أنجبت له ولدين وثلاث بنات.[12]

إن البيئة التي نشأ بها بناصر بن شهرة ،والخصال التي شب عليها جعلته يرفض الاحتلال الفرنسي للجزائر منذ البداية ،لذلك قرر التصدي له ومنعه من التوغل نحو الجنوب الجزائري بكل ما أوتي من قوة ويقول في ذلك لوي رين: « في نفطة كان بناصر بن شهرة الذي خلف أباه كآغا على الأرباع سنة 1946 م ،يقوم منذ سنة 1951 م بحرب مستمرة ضدنا في الصحراء الشرقية ،ولم يترك سنة واحدة لم يهاجمنا فيها أو القبائل التي رضخت لنا ... »[13]

وقد اشتهر بناصر بن شهرة بدعوته القبائل للتمرد على الاحتلال وذلك عن طريق الخطب والوعود ،وقد نجح إلى حد بعيد في عمله هذا ،وهو ما دفع بالإدارة الاستعمارية إلى تغيير ممثليهم في المنطقة واستبدالهم بموظفين آخرين أكثر طاعة وإخلاصا [14].

بدأ بناصر بن شهره جهاده سنة 1851م ضمن قوات الثائر الشريف محمد بن عبد الله [15] الذي شن ثورة للتصدي لزحف السلطات الاستعمارية نحو الجنوب الشرقي الجزائري بعد ما بايعه أهل الأغواط وتوقرت وورقلة على السمع والطاعة وعلى الجهاد فخاض ضد القوات الفرنسية عدة معارك كان له النصر فيها ،وكبدها خسائر فادحة في العتاد والأرواح و أثناء إحدى المعارك قرب مدينة ورقلة تمكن السي حمزة – من أولاد سيد الشيخ – وقواته من التغلب على الشريف محمد بن عبد الله في شهر أكتوبر 1861م في نقوسة وحول بعدها إلى سجن الجزائر لمدة سنتين ليطلق سراحه و يبقى تحت الإقامة الجبرية.[16]

وبعد اندلا ع ثورة أولاد ثورة أولاد سيد الشيخ سنة 1864م [17] اتصل الشيخ بن ناصر بن شهرة بالشيخ سي لعلا زعيم أولاد سيد الشيخ واشترك معه في قيادة الثورة ،وكان له دور كبير في تجنيد المجاهدين من توات وشعانبة والتوارق أيضا. وفي شهر جانفي 1962م شارك في معركة عين ماضي بين أولاد سيد الشيخ وقوات الاحتلال الفرنسي والتي كانت فيها الغلبة للقوات الفرنسية الأكثر عدة وعددا.[18]

لم تثبط هذه الهزيمة من عزيمة بناصر بن شهرة في مقاومة الاحتلال الفرنسي التي نذر نفسه لها حيث وفي شهر مارس من نفس السنة – 1869 م – التقى بقوات الشريف بوشوشة وشارك معه في السيطرة على مدينة المنيعة بعد طرد قائدها الذي عينته السلطات الاستعمارية [19] ،وفي 05 ماي 1871م أصبح بناصر بن شهرة خليفة للشريف بوشوشة على حامية ورقلة بعدما استولى عليها هذا الأخير وجعلها قاعدة لثورته.[20]

وعند وصول الأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر إلى نفزاوة بطرابلس الغرب اتصل ببناصر بن شهرة الذي كان كثير التردد على منطقة نفطة لتأمين المال والسلاح للمقاومة ،فالتقى به على الحدود رفقة الشيخ سليمان بن جلاب سلطان تقرت السابق الذي كان قد ابعد إلى تونس منذ 1854م ،والشيخ ابراهيم بن عبد الله مقدم الطريقة القادرية بورقلة ،والشيخ محمد زروق بن سيدي صالح البسكري الذي كان له دور كبير في مقاومة الزعاطشة سنة 1949م ،وغيرهم من الزعامات التي كان لها ماض تاريخي مشرف في مقاومة الاحتلال.[21]

ومن هناك شرع الأمير محي الدين رفقة الشيخ بناصر بن شهرة في الدعوة للجهاد وتأمين المؤن والذخيرة ،وتجنيد الناس ،وذلك عن طريق مراسلة زعماء المناطق الجزائرية ومن بينهم الشيخ المقراني ،وكانت هذه الرسائل بعضها من امضاء الأمير محي الدين ،والبعض الآخر من امضاء الشيخ بناصر بن شهرة.[22] وكان من جملة هذه الرسائل حوالي 44 رسالة وقعت في أيدي القائد العسكري لناحية بسكرة ،كانت موجهة إلى كل من علي باي آغا تقرت ورقلة ،وإلى أعيان سوف والأغواط ومتليلي ومزاب والمخادمة والشعانبة ،وإلى الشريف بوشوشة وغيرهم.[23]

بعد لقائه بالأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر بدأت مرحلة جديدة من مقاومة بناصر بن شهرة الذي استقر رفقته بعين صالح على رأس قوات من ثوار الجنوب الشرقي ،وهناك اجتمعا مع قوات الشريف بوشوشة وقوات سي الزبير من أولاد سيد الشيخ [24]،ومن هناك شنت هذه القوات هجومات على القوات الفرنسية تمكنت على اثرها من السيطرة على توقرت وورقلة ونقرين وتبسة ،مستغلين انشغال القوات الاستعمارية بمواجهة مقاومة المقراني والشيخ الحداد .[25]

وبعد استشهاد المقراني وأسر الشيخ الحداد كان للشيخ بناصر بن شهرة دور كبير في مساعدة آل المقراني على الدخول إلى الأراضي التونسية هروبا من بطش المستعمر.[26]

وبعد انسحاب الأمير محي الدين إلى تونس اثر هزيمته أمام قوات الجنرال بوجي بوادي الحميمة في 26 مارس 1971م ،وأسر الشريف بوشوشة بالقرب من عين صالح سنة 1874م [27] وتفرق أغلب قواتهما بقي الشيخ بناصر بن شهرة لوحده

يناوش القوات الاستعمارية انطلاقا من الجريد ونفزاوة قبل أن يلجأ إلى تونس التي غادرها مرغما من طرف باي تونس إلى بيروت في 2 جوان 1975م رفقة الشيخ الكبلوتي ،وفي بيروت استقر بجوار الأمير محي الدين حتى وفاته سنة 1884م عن عمر ناهز الثمانين سنة.[28]

ثانيا: الشريف بوشوشة (1839–1874م).

هو محمد بن التومي بن إبراهيم الملقب بـ: بوشوشة ولد ببلدة الغيشة بالقرب من آفلو حوالي 1839م حسب الدكتور أبي القاسم سعد الله[29] ،وحسب الدكتور يحي بوعزيز فإنه ولد حوالي 1826م أو 1827م ،وهذا مذهب إليه أيضا محمد الأخضر السائحي.[30] لقب ببوشوشة لكثافة شعر رأسه أو لخصلة بارزة فيه ،يحتمل أن يكون أهله قد شاركوا في مقاومة الأمير عبد القادر.

نشأ بوشوشة في البادية ومارس مهنة رعي الغنم ،وهي مهنة تربي على المسؤولية واليقظة الدائمة ،يكون ممتهنها دائم الصحة والنشاط ،كما تعلم الفروسية والشجاعة من أجداده [31] ،تزوج من عائلة أولاد سيد الشيخ ،وهي الزيجة التي استغلتها بعض المصادر الفرنسية لتأكيد ما وصفت به الشريف بوشوشة من صفات دنيئة ،والتي من بينها أنه "راع" وشريف مزيف وأنه ليس من النبلاء ولا المرابطين [32]،ألقي عليه القبض سنة 1862م وسجن ببوخنفيس – ما بين سيدي بلعباس ووهران– ،لكنه تمكن من الفرار في السنة الموالية أي 1863م [33] واللجوء إلى منطقة فيقيق بعيدا عن عيون الفرنسيين .[34]

لم يلبث الشريف بوشوشة طويلا بفقيق فسرعان ما غادرها إلى نواحي توات أين بدأ يجمع الأتباع استعدادا لثورة محتملة ،وفي هذه الأثناء اندلعت ثورة أولاد سيد الشيخ 1864م فكان دور الشريف بوشوشة الاغارة على العدو والقوافل والقبائل التي تتعامل معه بتشجيع من سي لعلا كبير أولاد سيد الشيخ قبل أن يطلب من سي الزبير أن يعينه في قوات أولاد سيد الشيخ.

وظل بوشوشة يقاتل في صفوف أولاد سيد الشيخ حتى سنة 1970م – وهي السنة التي تراجع فيها قدور بن حمزة ولد سيد الشيخ إلى الحدود المغربية – أين اتجه نحو غزو الجنوب الشرقي بعدما كون فرقا خاصة به وأعلن نفسه شريفا وتلقب بمحمد بن عبد الله .هكذا جاء عند الأستاذ أبي القاسم سعد الله.[35] أما الأستاذ عواريب لخضر والذي اعتمد على الشهادة التي أملاها الشريف بوشوشة على سجانه فيذكر: « بعد خروج بوشوشة من السجن بدأ التحضير للثورة حيث اتصل بثوار أولاد سيد الشيخ الذين تقربوا منه وحاولوا منحه قيادة نصف جنودهم ولكنه رفض كون أولاد سيدي الشيخ كانوا سببا في سجنه ،ثم رحل إلى طرابلس الغرب في سنة غير معروفة قد تكون للبحث عن المال والسلاح أو تلقي تعليمات من الزاوية السنوسية على اعتباراته أحد أتباعها ،وخلال هذه الرحلة زار نفطة ،ثم عاد إلى الجزائر فزار العديد من المناطق مثل وادي ريغ وورقلة ،وحمل معه رسائل إلى بعض الشخصيات من المخادمة وبني ثور والشعانبة، الذين كانت لهم روابط مع الزاوية السنوسية والقادرية منذ ثورة محمد بن عبد الله ومنهم لخضر المخدمي، ولبزأحمد والشائب من الشعانبة والمصطفى من بني ثور، والخازن من عجاجة، كما أقام علاقات طيبة مع الزاوية الرحمانية في عين البيضاء وعجاجة ثم انتقل إلى الأغواط ومنها إلى توات، وحيثما حل استقبل بحفاوة ومتن علاقته بالزوايا والطرق الصوفية، وخلال تواجده بعين صالح أين كان يحضر نفسه للذهاب إلى غدامس، اتصلت به مجموعة من الثوار وهم معطاالله بن بوظفر و وبوخشابة وهم من شعانبة ورقلة يصفهم لوشاتولييي بالمداقنات، ويرى أنهم قطاع طرق كانوا يقومون بعمليات الغزو والنهب، ولكن الدارس للمكون الاجتماعي لهذه الجماعة يرى أنها تضم العديد من الأبطال الذين عرف عنهم الجود والكرم والشجاعة، مثل أولاد باحمو من عين صالح أو أولاد لشهب من المنيعة وهذه الجماعة بدأت تشن حرب استفزاز على فرنسا وعملائها إذ لم تكن تغزو إلا العروش والقبائل التي تبث تورطها

مع فرنسا، وحسب بوشوشة فإنه كان يرفض المشاركة في هذه العمليات ويطالب بأن يركز على العدو مباشرة، وكانت المجموعة تمنحه نصيبا من غنائمها ثم طلبت منه قيادتها فوافق مع اشتراط أن تكون العملية ضد فرنسا، ولعل هذا النصيب زيادة على ما كان يصله من مؤن وذخائر من مختلف القبائل والعروش كان النواة المادية الأولى لإعلان الثورة.

ومن عين صالح أعلن الشريف بوشوشة نفسه زعيما للثورة فبايعه شعانبة المواضي، ثم شعانبة ورقلة سنة 1870م وبذلك انتقل إلى المرحلة الثانية من مقاومته.»[36] وفي نظرنا فإن أولاد سيد الشيخ قد كلفوا الشريف بوشوشة بقيادة المقاومة بالجنوب الشرقي – بعدما طلب سي لعلا من سي زوبير بن حمزة تعينه – باعتباره من المنطقة ويعلم خباياها وكان قد شارك في مقاومة الشريف محمد بن عبد الله بها ،وإلا كيف نفسر انضمام الشيخ بناصر بن شهرة إلى مقاومته؟ ثم إن سي زوبير بن حمزة أصبح لاحقا من قادة جيشه ،وأما قضية تواجده بطرابلس الغرب فلا شك أن ذلك كان لتأمين السلاح ،وأما انفصاله عنهم فكان لغرض مواصلة المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي.

بعد أن بايعته العديد من قبائل الجنوب الشرقي سنة 1870م دخلت مقاومة الشريف بوشوشة مرحلة جديدة هي مرحلة القوة والانتصار حيث سيطر على العديد من المدن كالمنيعة وورقلة والأغواط وتوقرت ومتليلي في الفترة ما بين 1870م و1872م في هذه السنة الأخيرة وصل الجنرال دولاكروا إلى ورقلة التي انتقم من أهلها فنكل بهم وأعدم الكثير منهم وغرمهم جزاء مساندتهم للشريف بوشوشة ،وأمر العقيد قوم Gaume بملاحقة الثوار الذي اتجهوا نحو الجنوب والتقى الطرفان في معركة غير متكافئة قرب حاسي تامزقيدة انسحب منها الشريف بوشوشة نحو أقصى الجنوب مخلفا وراءه عشر خيم وعدد من الجمال، وغنم الفرنسيون زمالته بما فيها من مؤن مع النساء ،والخدم ،والأطفال وقتل في المعركة عدد من الثوار منهم أحد أحفاد بن ناصر بن شهرة كما ألقي القبض على اثنين من كبار المقرانيين وكانت المعركة يوم 09 جانفي 1872م.[37]

بعد هذه هزيمة تفرقت أغلب فوات الشريف بوشوشة حيث لجأ الشعانبة إلى العين الطيبة بالجنوب ،وسي الزوبير من أولاد سيد الشيخ إلى عين صالح، ولجأ بناصر بن شهرة ومعه بعض المقرانيين إلى تونس ،وأما الشريف بوشوشة فعاد إلى مواصلة المقاومة بعد استجماع قواه **حيث ظهر** في جويلية 1873م بين البيض والأغواط، ثم في المنيعة، محاولا استرجاع ورقلة لكنه فشل في ذلك أمام قوات السعيد بن إدريس أخ آغا ورقلة. وحاول العودة إلى النشاط من جديد انطلاقا من عين صالح في مارس 1874 لكنه إنهزم مرة أخرى في معركة ملوك،وأسر من طرف القائد المعراج بن قدور ،ونقل إلى قسنطينة أين أحيل على المجلس العسكري وحوكم كمجرم حرب وحكم عليه بالإعدام الذي نفذ فيه يوم 29 جوان 1876م بمعسكر الزيتون.[38]

هذه سيرة ومسيرة لبطلين من أبطال الجزائر الأشاوس الذين باعوا انفسهم لله من أجل هذا الوطن وقفنا من خلالها على مجموعة من الحقائق التي تثبت وبالدليل القاطع أن البطلين الشيخ بناصر بن شهرة والشريف بوشوشة كانا أنموذجان بارزان لوحدة القضية الجزائرية المتمثلة تحرير الجزائر من قبضة الاحتلال الفرنسي ،وللروح الوطنية التي رضاعها مع حليب أميهما ونمت معهما في كل شبر وطئاه من أرض الجزائر .

فالشيخ بن ناصر بن شهرة كان بإمكانه أن يعيش هو عائلته في أمن وأمان لو رضي بأن يكون آغا على قومه الأرباع باسم السلطات الاستعمارية الفرنسية ،لكنه رفضها رغم أنها إرث أجداده ورضي بأن يعيش مجاهدا طريدا يبحث عن الحرية ،لا يهمه إن كان قائدا أو جنديا ،ولا يهمه لمن ينسب الناس المقاومة وباسم من يكتبها التاريخ ،فالأهم عنده هو أن يقاوم المحتل الغاصب ،لذلك لا غرابة في أن نجده يقاوم في صفوف قوات الشريف محمد بن عبد الله ،ثم مقاوما في صفوف أولاد سيد الشيخ ،وبعدها يلتحق بالأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر ،ليلتحق بالشريف بوشوشة ويقاوم تحت سلطته وهو

يقارب السبعين من عمره وبوشوشة لم يبلغ الخمسين بعد .إنه رجل ضحى بأسرته من أجل قضيته حين طلق زوجته لما رفضت الرحيل معه لأنه لا يرضى العيش تحت حكم المحتل على حد قول الشيخ عبد الرحمن الجيلالي ،وحين اتهم بمحاولة اغتيال الشريف بوشوشة طمعا في ثمانين ألف فرنسي برأه لوي رين الفرنسي حين أكد أن المبلغ كان مع بناصر بن شهرة وكان يمكن أن يغريه دون محاولة الاغتيال.[39]

وأما الشريف بوشوشة فقد وهب نفسه للجزائر وقضيتها ،فقد ناوش القوات الفرنسية وأغار على القبائل الموالية لها ،وهذا ما جعل السلطات الاستعمارية تصفه بأقبح النعوت عندما جعلت منه لصا وصعلوكا قاطع طريق ،وقد سجن وهو بن الخامسة والعشرين ،وشارك في مقاومة الشريف محمد بن عبد الله قبلها بسنة ،وبعد فراره من السجن التحق بمقاومة أولاد سيد الشيخ منذ اندلاعها ،وظل يقاوم الاحتلال مدة عشر سنوات أضاق خلالها فرنسا وأتباعها الويلات ،ولما لم يقدروا عليه وصفوه بالراعي والشريف المزيف لينفض الناس من حوله ،رفض الاستلام وأسر وهو مصاب يقاتل .قال عنه الفرنسيون بأنه كان يخبئ قلبا من البرونز وطاقة من حديد ،شجاع ذكي ،لو تبنى القضية الفرنسية لقدم لها خدمات كثيرة[40] ،لكنه آثر خدمة وطنه وقضيته التي وهب نفسه لها.

عش عزيزا أو مت وأنت كريم *** بين طعن القنى وخفق البنود

هكذا هم أبناء الجزائر وأبطالها وهبوا أنفسهم لقضية وطنهم لا يدفعهم إلى ذلك إلا وطنيتهم وما تعلموه من دينهم منذ الأمير عبد القادر إلى أبطال ثورة نوفمبر 1954م مرورا بالشريف بن عبد الله والشيخ بناصر بن شهرة ،و الشريف بوشوشة ،وصولا إلى الشيخ آخموخ[41] والشيخ بيوض.[42]

الهوامش:

1- عن احتلال الجزائر ،الأسباب والدوافع ،والجذور و المراحل ،وردود الفعل. ينظر: محمد العربي الزبيري ،مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1972 ،ص ص 5-13 ؛صالح فركوس ،تاريخ الجزائر من ما قبل إلى غاية الاستقلال المراحل الكبرى ،دار العلوم ،عنابة ،الجزائر ،2005 ،ص ص 174-192.

2- شارل فيرو ،صحراء قسنطينة ،نقلا عن ،محمد العربي الزبيري ،المرجع السابق ،ص 80.

3- الزوايا عند أهل المشرق هي الربط والخوانق والخانقات ،وهي عند الفقهاء احتباس النفس للجهاد وحماية الثغور ،وعند المتصوفة هي الموضع الذي يلتزم فيه العبادة ،وأما الزوايا في بلاد المغرب فهي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاج من القاصدين .ينظر: ابن مرزوق ،المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن تحقيق ماريا خيسوس ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،1981 ،ص 413. وهي أبنية للتدريس الابتدائي وحفظ القرآن الكريم ،فيه مساكن للطلبة ،وقسم لنزول المسافرين ،كما توجد بها مساجد الوعظ والدروس .ينظر:عبد العزيز الشهبي ،الزوايا والصوفية والعزابة ،والاحتلال الفرنسي في الجزائر ،دار الغرب ،الجزائر ،2007 ،ص 37.

4- محمد علي دبوز ،نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ،ج1 ،نشر وزارة الثقافة ،الجزائر ،2007 ،ص 51.

5- عبد الرحمن الجيلالي ،تاريخ الجزائر العام ،ج5 ،ط8 ،شركة دار الأمة ،الجزائر ،2007 ،ص 182.

6- أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900 ،ج1 ،طبعة خاصة ،عالم المعرفة ،الجزائر ،2009 ،ص 278.

7- لقد أدرك الأمير عبد القادر هذه الحقيقة فاتخذ من الجنوب الجزائري عمقا استراتجيا لمقاومته بأن جعله جزءا من دولته وقسمه إلى مقاطعتين هما: مقاطعة الجنوب الشرقي وقاعدته بسكرة وولى عليها فرحات بن السعيد ثم الحسين بن عزوز خليفتين له ،ومقاطعة الجنوب الغربي وقاعدتها الأغواط وولى عليها قدور بن عبد الباقي خليفة له ،حيث وبعد مدة قصيرة أصبحت قواته تسطر فعليا على كامل المنطقة الجنوبية.ينظر في ذلك: صالح فركوس ،المرجع السابق ،ص 202 ؛محمد العربي الزبيري ،المرجع السابق ،ص 15،16 ؛اسماعيل العربي ،المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر ،ط2 ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1982 ،ص 220،221.

8- الأرباع حسب ابراهيم الساسي العوامر من العرب القحطانية فهم أبناء الربيع بن زياد بن الربيع بن قنان بن سلمة بن المعقل بن كعب بن ربيعة بن الحرث بن كعب بن حرب بن علة بن خالد بن مالك بن أدد وهو مذحج بن زيد بن يشجب بن غريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن مالك بن أدد بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ينظر: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف ،منشورة ثالة ،الجزائر ،2007 ،ص 376.

9- تنسب الطريقة القادرية إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني بن إبي صالح موسى الحسني المزداد 471هـ/1079م والمتوفى ببغداد سنة 561هـ/1166م ،وهي من أقدم الطرق الصوفية ظهورا في العالم الاسلامي .توجد الزاوية الأم للطريقة بغداد ،ويعتبر الشيخ مصطفى بن المختار الغريسي أول من أسس فرعا للطريقة القادرية بالجزائر سنة 1200م .،وتعتبر القادرية الطريقة الأم لمختلف الطرق الصوفية التي جاءت بعدها. ينظر: أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج4 ،ط1 ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،1998 ،ص 42،43 ؛عمار هلال الطرق الصوفية ونشر الاسلام والثقافة العربية في غرب افريقيا الصحراء ،منشورات وزارة الثقافة والسياحة ،الجزائر ،1899 ،ص 109.

10- عبد الرحمن الجيلالي ،المرجع السابق ،ص 182.

11- المخادمة من العرب الهلالية الذين استقروا بمنطقة ورقلة سميوا كذلك نسبة لجدهم مشرف أبو مخدم ،يعود نسبهم إلى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان. ينظر: ابراهيم محمد الساسي العوامر ،المرجع السابق ،ص 371.

12- عبد الرحمن الجيلالي ،المرجع السابق ،ص 182.

13- نفس المرجع ،ص 183.

14- صالح فركوس ،المرجع السابق ،ص 273،274.

15- هو أبو الطيب ابراهيم بن أحمد يعود أصله إلى أسرة عريقة يصل نسبها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق فاطمة الزهراء رضي الله عنها ،وينحدر ليصل إلى جده أبيه الشيخ العلامة محمد بن عيسى دفين تلمسان ،قاد المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي بالجنوب الشرقي الجزائري بعد عودته من الحج بداية من سنة 1951م. للمزيد عنه ينظر: يحي بوعزيز ،كفاح الشريف محمد بن عبد الله ،مجلة الثقافة ،عدد 33 ،السنة 6 ،1976 ،ص ص 11-24 ؛العربي منور ،تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر ،دار المعرفة ،الجزائر ،2006 ،ص 200، 201.

16- العربي منور ،المرجع السابق ،ص 201.

17- اندلعت هذه المقاومة من طرف أولاد سيد الشيخ فرع الشراقة تحت قيادة زعيمهم سي سليمان بن حمزة. للمزيد عن هذه المقاومة ينظر: أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية ،ج1 ،ص ص 179-189 ؛العربي منور ،المرجع السابق ،ص ص 211-213 ؛صالح فركوس ،المرجع السابق ،ص 234، 235.

18- عبد الرحمن الجيلالي ،المرجع السابق ،ص 184.

19- نفس المرجع الصفحة نفسها.

20- صالح فركوس ،المرجع السابق ،ص 235.

21- من الزعامات التي التقى بها الأمير محي الدين كذلك الشيخ مصطفى بن عزوز مقدم الزاوية الرحمانية بنفطة والذي كان قد فتح زاويته لكل الجزائريين المنفيين من طرف الادارة الاستعمارية أو الفارين من اضطهادها ،وكذلك محمد بن العشابي البسكري والشيخ الميزوني مقدم زاوية الكاف الذي غين كاتبا للأمير محي الدين ومحررا لرسائله ،ومحمد بن أحمد الصغير ابن خليفة الأمير عبد القادر السابق على الزيبان وسيدي عقبة ،ومحمد بن علاق رئيس أولاد يعقوب. ينظر:يحي بوعزيز ،ثورة 1971 (دور عائلتي المقراني والحداد) ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،1975 ،ص 165 ؛عبد الرحمن الجيلالي ،المرجع السابق ،ص 185.

22- عن رسائل الأمير محي الدين والشيخ بن ناصر بن شهرها وتأثيراتها على الجزائريين ،وعلى السلطات الاستعمارية ،وموقف والده منها ينظر: يحي بوعزيز ،ثورة 1971 ،ص ص 166-173.

23- Louis Rinn ,Histoire De L insurrection De 1871 en Algérie, Alger, 1891, pp 105-108.

24- عبد الرحمن الجيلالي ،المرجع السابق ،ص185 .

25- Rinn.L ,op cit ,p 138,139 et p 90 et pp 105-108.

26- كان عدد المقرانيين الذي التجأوا إلى تونس اثر معركة عين الطيبة بالجنوب الشرقي في 17 جانفي 1872م حوالي خمسمائة شخص مقسمين على حوالي مائة عائلة صغيرة .ينظر: يحي بوعزيز ،ثورة 1971 ،ص 329.

27- ابراهيم محمد الساسي العوامر ،المرجع السابق ،ص 318 ،هامش 1.

28- يحي بوعزيز ،وثائق جديدة عن ثورة بن ناصر بن شهرة ،مجلة الثقافة ،عدد 31 ،السنة 6 ،1976 ،ص ص 39-48.

29- الحركة الوطنية ،ج1 ،ص 278.

30- رضوان شافو ،الحملة الفرنسية العسكرية على منطقة وادي ريغ وردود الفعل الشعبية 1854-1874م ،مجلة كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية ،عدد 14 ،مارس 2014 ،ص 12 ،هامش 4.

31- رضوان شافو ،المرجع السابق ،ص 12 ،هامش 4.

32- أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية ،ج1 ،ص 277.

33- أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية ،ج1 ،ص 278 ؛رضوان شافو ،المرجع السابق ،ص 12 ،ه 4.

34- أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية ،ج1 ،ص 278.

35- نفسه ،ص 278، 279.

36- لخضر عواريب ، بعض الحقائق عن مقاومة الشريف بوشوشة من خلال بعض المصادر المحلية ومنها الشهادة التي أملاها بوشوشة على سجانه ،مجلة كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية ،عدد 14 ،مارس 2014 ،ص 3،4.

37- نفس المرجع ،ص 6.

38- بعد انهزام قوات بوشوشة في المعركة انسحب منها جميع أتباعه ولم يصمد معه إلا القليل لا يتجاوز الخمسة عشر ،وبينما هم يطلقون النار أصيب بوشوشة في رجله إصابة بليغة لم يقوى على النهوض بسببها فتمكن القايد المعراج بن قدور من القاء القبض عليه .وقد واجه الشريف بوشوشة الموت بشجاعة وصلابة وعزيمة حين نفذ فيه حكم الاعدام .عن ظروف أسر بشوشة ومحاكمته وظروف اعدامه ينظر: أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية ،ج1 ،ص 285، 286 ؛ L.Rinn ,op.cit ,pp 578-590 ؛لخضر عواريب ،المرجع السابق ،ص 6.

39- لخضر عواريب ،المرجع السابق ،ص 6.

40- أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية ،ج1 ،ص 286، 287.

41- الشيخ آخاموخ باي من أعلام الطوارق وقائدهم ،يتمتع باحترام سكان المنطقة ،لعب دورا كبيرا في مواجهة سياسة ديغول في المنطقة .توفي سنة 1975 ،حيث وفي سنة 1960م عرض الوزير الأول ميشال دوبري في اجتماع جمعه بأعيان الطوارق من الجزائر ومالي والنيجر والتشاد بتمنراست على الشيخ آخاموخ منصب سلطان دولة اسلامية تضم كل الطوارق فرض ذلك قائلا له: "... أنا جزائري ينالني ما ينال باقي الجزائريين... " وخلال احتفالات العيد الوطني الفرنسي في 14 جويلية 1960م أعاد ميشال دوبري على الشيخ آخاموخ نفس العرض فأجابه:"... نحن جزء من الجزائر وهي مستعمرة وسنبقى جزاء منها عندما تستقل...". ينظر: : الهادي درواز ،الولاية السادسة التاريخية (1954-1962) ،تنظيم ووقائع ،دار هومة للنشر و التوزيع ،الجزائر ،2009 ،ص 133 ؛بلال صديقي ،المشاريع الفرنسية في الصحراء الجزائرية (154-1962) ،مذكرة ماجستير ،جامعة وهران ،2010 ،ص 46 .

42- الشيخ بيوض من مواليد 22 ابريل 1899 بالقرارة من ميزاب ،من أئمة جمعية العلماء المسلمين ،وعضو جهازها التنفيذي المؤقت له عدة مؤلفات منها تفسير القرآن الكريم توفي في 14 فيفري 1981 .ينظر: شرفي عاشور ،قاموس الثورة الجزائرية (1954-1962) ،دار القصبة للنشر ،الجزائر ،2007 ،ص 104 .

.

الاحتلال الفرنسي ودوره في إنقراض الحيوانات البرية المفترسة في الجزائر : الأسود والفهود.

أ.سليمة بودخانة

جامعة باجي مختار-عنابة-

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الملخص:

كان للاحتلال الفرنسي دور هدام في القضاء على الحيوانات البرية بالبلاد ،والتي كانت تمثل جزءا من التنوع البيولوجي في بيئة المنطقة، إذ ساهمت سياسة الإدارة الفرنسية في تشجيع الصيد المنظم والعشوائي فكانت تقوم بتنظيم رحلات صيد يؤطرها الضباط وقوات من العسكر ترافق المعمرين والزوار السائحين الذين يبرمجون رحلات الصيد في جولاتهم السياحية للبلاد، بإعتبار أن الصيد كان جزءا هاما وأساسيا لبرامج الرحلات السياحية وعنصر جذب كبير كذلك،كما كانت سلطات الاحتلال تشجع الصيد العشوائي الذي يمارسه المعمرون بوضع وتحديد قيم مالية للحيوانات المصطادة مما يزيد المنافسة حول صيدها والتسابق لجمع المال والإستفادة من فراءها وجلودها،وبذلك كانت سلطات الاحتلال السبب في إنقراض أنواع عديدة من الحيوانات البرية والسبب كذلك في إنقاص أعداد أنواع أخرى إلى حدود الإنقراض.

Le Résumé.

Le système coloniale était la cause directe de la destruction des espèces animales en Algérie coloniale comme les lions ;le lion de l'Atlas espèce nord africaine , les panthères et d'autres faune du pays.

La politique de l'administration Française favorise et encourage les actes d'extermination brutale menaient par les colons et les voyageurs , sachant que cette dernière organisait des sorties de chasses de colons et visiteurs Français escortaient par des militaires afin de protéger et participer à la chasse des fauves, et le plus remarquant c'est les sommes d'argents et prix pour les chasseurs et leurs chasses ce qui encourage à la chasse de ces animaux et ce qui a causé l'extermination radicale de certaines espèces.

مقدمة :

يعتبر التاريخ كما يقول مؤرخ الحوليات الشهير " مارك بلوك " مهنة من خلالها يعمل المؤرخ على كتابة تاريخ منطقة ما أو حدث ما بإعتماد الوثائق التاريخية، لكن كذلك يكون الإعتماد على الشهادات Les témoignages،وهنا تبرز مهارة المؤرخ في إستخلاص الحقائق وكتابة التاريخ، إذ أصبح الإعتماد على الشهادات اليوم من الدراسات الرائجة في البحوث التاريخية الحديثة وتكون بالتوازي مع مادة أرشيفية، وهذا ما سأعتمد عليه في هذه الدراسة المصغرة التي كان منطلقها الشهادات المرتبطة بالذاكرة الشعبية من روايات تعود إلى الأجيال الأولى التي واكبت الإحتلال الفرنسي للبلاد وتداولتها الأجيال عن أسود ونمور وفهود كانت تجول في الغابات وتقترب من المنازل لمهاجمة المواشي خاصة الابقار وبالضبط أقصد منطقة "جبال سكيكدة" مسقط رأس أجدادي فمنهم من كان في صراع دائم مع هذه الحيوانات لحماية مواشيهم التي كانت تمثل مصدر رزقهم وأساس إقتصادهم، ومنهم من قضى حتفه في الغابة من قبل هذه الحيوانات التي مثلت رمزا لسكان المنطقة وبجمل سكان الجزائر، والذي كثيرا ما صادفني من خلال قراءاتي لكتابات رحالة فرنسيين وأجانب زاروا الجزائر في السنوات الأولى للاحتلال، وبذلك إعتمدت الشهادات الكتابية المؤكدة لتواجد هذه الحيوانات البرية في الأراضي الجزائرية والتي إنقرضت بفعل الصيد المنظم الذي قادته سلطات الاستعمار الفرنسي ضد هذه الحيوانات في الغابات الجزائرية وبذلك سببت حلقة مفقودة في التنوع البيئي الحيواني في البلاد، وهذا ما يعتبر جريمة ضد البلاد وثرواتها وتعد على الطبيعة ، فالإستعمار الفرنسي لم يقم بإبادة السكان فقط بل دمر الطبيعية والتوازن الإيكولوجي.

ومن هذا المنطلق تتمحور إشكالية دراستنا حول الدور الذي قامت به سلطات الاحتلال الفرنسي في إنقراض الثروة الحيوانية للبلاد من خلال عمليات الصيد المنظم ضد الأسود والنمور والفهود الذي قاده ضباط الجيش الفرنسي، ومثل فرجة بالنسبة للزوار من خلال شهاداتهم عن عمليات صيد منظم وقتل لهذه الحيوانات التي مثلت جزءا من التنوع البيئي وموروث

ثقافي وإقتصادي للبلاد منذ القرن الثالث قبل الميلاد لما كانت الأسود النوميدية تصدر إلى روما في عهد "المللك ماسينيسا" وكانت لها شهرة في العالم القديم إلى غاية دخول الاحتلال الفرنسي .

واعتمدت في هذه الدراسة بصفة كلية على كتابات الرحلة التي مثلت شهادات لرحالة زاروا البلاد، بعضهم رافق الضباط في عمليات الصيد وبعضهم روى عنها، ويبقى الثابث هي شهاداتهم عن دور السلطات الفرنسية في التسبب المباشر في انقراض هذه الحيوانات من غابات البلاد.

وتمثل هذه الحيوانات البرية خصوصية بيئية في البلاد ،خاصة الأسود المحلية والمعروفة بسلالة "أسد الأطلس الجزائري"، وآخر أسد من هذه السلالة قتل في "سد فم الغرزة" بمنطقة بسكرة في القرن التاسع عشر، في حين آخر أسد أطلسي شوهد بجبال سوق اهراس كان عام 1911، أما في المناطق الجنوبية بباتنة "بجبال لارباع" أي حتى النصف الثاني من القرن العشرين حوالي سنة 1920 فإن هذه السلالة تمكنت من البقاء بأعداد قليلة جدا إلى غاية القضاء عليها من قبل سلطات الاحتلال الفرنسي، وإنقرضت هذه السلالة في القرن العشرين من الطبيعة البرية في حدود عام 1943 بسبب الصيد المنظم من قبل الادارة الاستعمارية.

والجدير بالذكر أن هذه السلالة المنقرضة بالجزائر حافظت عليها السلطات الألمانية في حدائقها ،وفي هذا الرابط فيديو عن الأسود الاطلسية في المانيا التي ماتزال اليوم تعرض في الحدائق العامة :

http://www.youtube.com/watch?v=v070lGE1BNg

أولاً: الأسود والنمور في الفلكلور والثقافة الشعبية لسكان ا لبلاد.

مثلت الأسود جزءا من الموروث الثقافي وارتبطت بالمعتقد والفلكلور الشعبي ،كترويض الأولياء الصالحين لها أو تمحور القصص الشعبية حولها ،فإحدى الروايات الشعبية تصور قدرة الولي الصالح "سيدي بومدين" الذي روض أسدا كان قد أكل حمار أحد سكان جبال الأطلس ،فأمسك به من رقبته وسلمه لصاحب الحمار مُرَوضا ،وقال له خذه سوف يقوم لك بأعمال الحمار ،ومنذ ذلك اليوم أصبح الأسد يتبع صاحبه كالكلب الوفي حتى عاد هذا الأخير للولي الصالح راغبا في التخلي عنه فكلم "أبي مدين" الأسد وحذره من أذية الناس وإن فعل فإنه سيرجعه عبدا من جديد لهذا الشخص ،ففر الأسد بعيدا ولم يعد ثانية ، كما مثل الأسد مخيالا شعبيا خصبا فكان يتحدث أو يفهم الحديث كما جاء في رواية عن أسد صادق صياد أسود مشهور إسمه " حسين" في فترة "أحمد باي" ،كان صيادا لمدة إحدى عشر سنة إصطاد خلالها عدد كبير من هذه الحيوانات ومات مقتولا من قبلها ،تقول الرواية أنه صادق أسدا سماه "سيدي جليد بن جلاد" ولما تواجه معه دون سلاح حادثه وكان الأسد مسالما معه ولما توفي الصياد إختفى الأسد من المكان ،فالأسد هنا مثل رمزا عقائديا للسكان إرتبط بكرامات الأولياء وشجاعة الأقوياء وحظي هذا الحيوان بإحترام بين أوساط السكان.

وارتكزت أحاديث السكان في الخيام على الأسود ،كما ترسخت لدى السكان معتقدات فكرية عن الأسود ،يصفها مطولا الأديب الفرنسي الشهير "آليكسندر ديما" في رحلته إلى البلاد عام 1849 ،فالعرب في نظره صيادون مهرة يحترمون الأسود كثيرا ويطلقون عليه تسمية "الجان بن الجان" لقوته ودهائه كما كان الاعتقاد سائدا أن الأسود تغير أكلها أربع مرات في العام ففي الثلاثي الأول من السنة يأكلون الشياطين وفي الثلاثي الثاني يأكلون لحوم البشر وفي الثلاثي الثالث يأكلون الصلصال وفي الثلاثي الرابع والأخير يأكلون الحيوانات .

ويسرد "ديما" بعض الإعتقادات التي إرتبطت كذلك بالأدب الشعبي ،فالعرب يعتقدون أن الأسود تحمل كل فرائسها على أكتافها ما عدى الخراف التي تضطر لجرها عقابا لها ،فبعد أن تفاخر أمام الحيوانات بقوته ناجى الأسد الله بأن يمده بالقدرة على حمل كل فرائسه على كتفيه وذكر كل الحيوانات بإستثناء الخراف التي نساها فعاقبه الله بلعنة جرها.

وذكر كذلك أن العرب يأكلون لحوم الأسود ويعتقدون بقدرتها على مداواة بعض الأمراض ،غير أن ذلك لم يكن صحيحاً.

وفي إطار الإعتقادات كثيرا ما كان المرابطين والدراويش ومدعي الولاية ما يستأنسون الأسود ويروضونها لتصبح حيوان مرافق مما يزيدهم إحتراما وتبجيلا من السكان .

واشتملت المعتقدات كذلك على تبادل الأحاديث بين الرجال والأسود ،فالعربي لما يجد أسدا في طريقه يترجل عن حصانه الذي يرتعد لمجرد رؤية هذا الأخير ،ويكلم الأسد وعادة ما يقول له أنت شجاع وأنا كذلك فأتركني أمُر بسلام ولما يرى الأسد أن الرجل كان شجاعا ولم يَخف منه يتركه يمر دون أن يؤذيه ،وتعددت أوصاف الصراع بين الإنسان والأسد فالأسد يحيط بفريسته ويحاصرها ثم يهاجم في ذهاب وإياب قد يتوجه لشرب الماء والعودة ثم ينقض على الضحية فإن كان رجلا يبدأ في إلتهام أعضائه التناسلية أولا وإن كان إمرأة يبدأ بالصدر وعادة ما يترك الأضلع مرمية دون أكلها ويأخذ ما تبقى من الضحية ،وفي حالة تمكن الضحية من الفرار أثناء محاصرة الأسد له سواء بمساعدة قافلة أو شخص آخر شجاع فإن هذا المنقذ الشجاع يواجه الأسد ويكلمه مقتربا منه ويقول له مخاطبا أُنظر إلي أنا شجاع مثلك ولكن لا تأكل هذا الجبان الخائف منك لا تُذل نفسك بأكله وسأربطه بالحبال وآخذه عبدا لي ،فعندما يرى الأسد الرجل الخائف مكبلا يرضى ويمشي مبتعدا ،وقد يواجه الأسد رجلا شجاعا يتظاهر بالجبن ولما يهاجمه ينقض عليه بخنجره ،أما إذا واجه الأسد جماعة من الصيادين فإنهم يستفزونهم بنعته بالجبان فيواجههم بكل شجاعة .

وكان الصيادون يُوجهون مقتفي آثر لرصد آثار الأسد عند ظهوره في منطقة ما ،وعند رؤيته من يراه يقول ليس هنا وبذلك يستعدون للهجوم الجماعي ويقول الرائي كذلك للإعتقاد السائد أن الأسود تفهم الكلام وتتعرف على صوت من أخبر عن مكانها فتنتقم منه وتقتله .

ويقدم لنا "ديما" إعتقادا مميزا حول العلاقة بين المرأة والأسد فالعرب يؤمنون بأن الأسود تخاف من النساء فنادرا ما تهاجم إمرأة إلا في حالة الجوع الشديد ،وكثيرا ما تُرى النسوة وهي تطارد الأسود وتضربها بالعصي ، وهذا الوصف جاء في كتابات من سبقه كـ"الدكتور شو" في مؤلفه "رحلة في إيالة الجزائر في القرن الثامن عشر" إذ يقول :" قرأت في بعض الكتابات عن البلاد أن النسوة يتمكن من مخالطة الأسود ولا يحتمين إلا بعصي يحملنها ويتمكن من ترويضه دون خطر ويحمين المواشي ولذلك يتكفلن برعايتها دون الرجال..." .

وما يمكنني ملاحظته أن هذه المعتقدات هي مزيج من الرابط الديني والأنتروبولوجي في الموروث الثقافي الشعبي للسكان ،الذي يعطي قدرات غير عادية وكرامات للأولياء الصالحين ورجال الدين ،ويقدس الشجاعة سواء خصت إنسان أو حيوان كذلك يضفي قدسية للمرأة التي تمتعت بحصانة إلهية ضد هذه الحيوانات المفترسة ،أربطها بتفسيرات عقائدية وحضارية تعود لفترات ما قبل التاريخ في التفكير الإنساني القديم ،الذي يعتبر المرأة رمز الخصوبة ويعطيها قدرات خارقة فهي الأرض والأم والقاعدة الجامعة للمخلوقات ،وهذا ما يفسر مجمل التفكير الشعبي للمجتمعات القديمة التي جدرت في التاريخ وكانت جزءا من الحضارة الإنسانية إذ تمثل ثقافتها مزيج من الفكر الوثني القديم والتراكم الحضاري والبعد الديني في النسق الفكري الإنساني.

ثانياً: الأسود والنمور في البلاد أثناء الاحتلال الفرنسي.

نقدم نماذج من شهادات لكتابات الرحالة الفرنسيين ، والتي تنوعت وتعددت وكانت جزءا هاما في التأريخ لهذه الفترة، وكانت بدايات التعريف بالمستوطنة الجديدة مباشرة وبصفة مكثفة بعد الاحتلال من خلال إصدارات عامة وخاصة عرّفت بالطبيعة والسكان ،وأكدت على تواجد الحيوانات البرية المفترسة في غابات البلاد أثناء دخول قوات الاحتلال الفرنسي.

فالجزائر بلد شاسع تميز بتنوع التضاريس والغطاء النباتي والحيواني ،ويصف ذلك الكاتب الفرنسي " بارتاي" في كتابه عن الجزائر بقوله :" تعيش بغابات الجزائر الأسود،الفهود،النمور بمختلف أنواعها" ،وهذا ما تكرر في تعاريف الرحالة بالبلاد كالرحالة "شالون" الذي زار البلاد عدة مرات وكتب عنها ،ففي وصفه لثروات البلاد من غطاء نباتي وتنوع حيواني ،قال :" نذكر بعض الحيوانات التي تمثل تميزا كالأسود...والنمور أو نمور إفريقيا أو النمور الكبيرة ..." ،وفي مختلف المناطق الجبلية كان إنتشار هذه الحيوانات على إمتداد البلاد ما بين المناطق الساحلية والداخلية ، ففي منطقة الشمال الشرقي حسب ما جاء في وصف الرحالة "بنجمين قاستينو" الذي زار الجزائر مرتين ما بين عامي 1852 و 1858 ،ونقل صور عميقة عن المجتمع الجزائري في كتابات متنوعة وثرية ،إذ يبدأ وصفه للبلاد بقوله : "لدى الجزائر الصحراء، الواحات، البحر والجبال، ودائما سماءها جميل وصافي، أرضها خصبة، وغابات البلوط بها مليئة بالأسود والفهود....." ،وهذه صفة قارة بغابات البلاد التي كانت تعيش بها هذه الحيوانات البرية، ويضيف قائلا في قصة يرويها عن ضابط من الصبايحية في السنوات الأولى للاحتلال كان له عشيقة من بونة فرت معه وبنى لها كوخ في غابة "الإيدوغ" يزورها كل ليلة ولما تأخر عنها في إحدى الليالي خرجت باحثة عنه، ففاجأها فهد وانقض عليها فقضت حتفها بسبب هذا الهجوم، ويستغرب تعايش سكان "قرية بيجو" بجبل "الإيدوغ" مع هذه الحيوانات المفترسة و يشتغل معظمهم في شركة إستغلال البلوط بالمنطقة .

وأحدث تواجد هذه الحيوانات في مجال جغرافي واسع نوع من تداخل المشاعر للرحالة الفرنسيين ما بين الإعجاب والخوف والأسى خاصة لعمليات الصيد ،ففي جبال الأطلس شكلت هذه الحيوانات هاجسا للرحالة حسب وصف الرحالة "ماركوث دي كيفيار" الذي عبر عن تخوفه من الرجوع إلى المنطقة بسبب أحد النمور المعروفة بها ،في حين أن الضابط الفرنسي المعروف " ثريميلي" تأسف كثيرا على ما تلقاه هذه الحيوانات من عمليات صيد أدت بها إلى الإنقراض ويحمل المتسببين في هذه الممارسات المسؤولية الأخلاقية عن ذلك ،وهذا ما عبر عنه في رحلة إلى الهضاب في منطقة الغرب قريبا من منطقة "سعيدة" في أراضي "الحساسنة الشراقة" بسبب إنتشار عمليات الصيد في المنطقة يقودها خليفة الحساسنة ،وبإتجاه الداخل كذلك في المناطق الصحراوية توافرت هذه الحيوانات وكانت رؤيتها من ضروريات الزوار بالتوازي مع عمليات الصيد المنظم .

الأسود معالم جغرافية.

في عديد الرحلات يكون الحديث عن الأسود مقترنا بمناطق تواجدها فأصبحت معالم عُرفت بها المناطق أي كانت حيوانات معلمية ،ويكون الحديث عنها مُعنونة في الرحلة كـ: " أسد جبل بوعيزل " الذي تحدث عنه المؤلف "آدولف بودان" في كتابه عن جون كاستيراس مغامرة ثلاث إخوة،كانوا قد جاؤوا إلى البلاد في إطار الإستيطان الرسمي الذي أطرته سلطات الاحتلال الفرنسي، إذ توجهوا إلى هذه المنطقة بحثا عن عمهم الذي كان صيادا للأسود وكانت هذه المهنة منتشرة جدا تكرر ذكرها في عديد الكتابات واشتهر بعضهم وكُرم بعضهم الآخر من قبل سلطات الاحتلال وهذا ما سنذكره لاحقا، وعند وصول الإخوة قريبا من منطقة تخييم عمهم تقابلوا مع الأسد وكان وصفه دقيقا عند ظهوره من بين الأحراش كان أسداً ضخماً،في مطاردة مع الصياد الذي قضى عليه ببندقية صيد فأرداه قتيلا ،و يصف منظر الأسد ميتا في بركة دماء بعد ما حاول النهوض لكنه سقط أرضا، وبذلك قتل صياد جبل "بوعيزل" أسد بوعيزل الشهير ،أو "أسد بليدة" كما تحدث عنه الرحالة "هيغ إيمبير" إذ عبر عن بهجته العارمة لرؤية هذا الأسد الذي يعتبره مللك الصحراء ويعيش في شموخ في جبال الأطلس

،والملاحظ أنه في هذه الفترة بدأت أعداد الأسود تتناقص من شدة وتيرة الصيد فهذه الرحلة كانت عام 1888 أين أصبحت رؤية الأسود من المشاهد الناذرة.

و المؤلف "بنجمين قاستينو" الذي زار الجزائر مرتين ما بين عامي 1852 و 1858 ، نقل صور عميقة عن المجتمع الجزائري في كتابات متنوعة وثرية نحاول رصد شهادته من خلال رحلتيه إلى البلاد لنستخلص منها حقائق حول الدور السلبي والهدام الذي قامت به سلطات الإستعمار الفرنسي في الجزائر وبيئتها من غطاء نباتي وتنوع حيواني إذ كانت السبب المباشر في إنقراض الحيوانات البرية المفترسة في الغابات .

يؤكد "قاستينو" على تواجد الحيوانات البرية المفترسة في غابات البلاد أثناء دخول قوات الاحتلال الفرنسي، إذ يبدأ وصفه للبلاد بقوله : "لدى الجزائر الصحراء، الواحات، البحر والجبال، دائما سماءها جميل وصافي، أرضها خصبة، غابات البلوط بها مليئة بالأسود والفهود....." ،وهذه الصفة القارة بغابات البلاد التي كانت تعيش بها هذه الحيوانات البرية، ويضيف قائلا في قصة يرويها عن قصة ضابط شاب من الصبايحية في السنوات الأولى للاحتلال إذ كان له عشيقة من بونة فرت معه وبنى لها كوخ في غابة "الإيدوغ" يزورها كل ليلة ولما تأخر عنها في إحدى الليالي خرجت باحثة عنه، ففاجأها فهد وإنقض عليها فقضت حتفها بسبب هذا الهجوم، ويستغرب تعايش سكان "قرية بيجو" بجبل "الإيدوغ" مع هذه الحيوانات المفترسة و يشتغل معظمهم في شركة إستغلال البلوط بالمنطقة .

ثالثاً : شهادات الرحالة عن عمليات الصيد المنظم للأسود من قبل المستوطنين و الضباط الفرنسيين.

نقل الرحالة الفرنسيون شهادات وحقائق عن عمليات الصيد المأجور بأثمان باهضة من قبل إدارة الاحتلال الفرنسي لصائدي الأسود والنمور سواءا من المستوطنين المدنيين أو الضباط العسكريين ، ننقل بدورنا نماذج منها كأدلة تاريخية عن دور سلطات الاحتلال الفرنسي في إنقراض هذه الحيوانات البرية بتشجيع الصيد وتحديد مكافآت مالية للصائدين خدمة للإستيطان ولمصالح المستوطنين .

فعمليات الصيد كانت حرة وغير محدودة بالنسبة للمستوطنين الذين كانوا يقومون بالصيد العشوائي وإستهدفت بالدرجة الأولى الحيوانات البرية التي إنقرضت بسبب هذه الممارسات التي يصفها الرحالة "ماركوث دي كيفيار" "بالإبادة" ،ويعتبر هذا الوصف دليل على الدور السلبي الذي قامت به سلطات الاحتلال في إنقراض هذه الحيوانات من السلسلة الحيوانية في الغابات الجزائرية ،وذكر أنه قام بعدة رحلات صيد منظمة خمس أو ست مرات في منطقة جبال الأطلس في آخرها طارد أحد النمور التي وصفها بالرائعة ،والملاحظ في هذه الرحلة المقدمة المتميزة للمؤلف " جاكوب" الذي عرف المنطقة وركز بشكل ملاحظ على الأسود أو كما قال "ملك الحيوانات" والنمور ناقلا مقاطع لدراسات عن هذه الحيوانات بأوصاف دقيقة وإعجاب كبير ،ويتحدث عن تعاملات السكان مع الأسود التي تأتي قرب منازلهم ليلا لتفترس حيواناتهم خاصة الأبقار أين يخيفونها بالنار فقط لتبتعد عن مواشيهم ،وهذا الوصف يتطابق مع الروايات الشفهية التي سمعتها عن تعامل سكان جبال منطقة سكيكدة مع هذه الحيوانات لحماية مواشيهم ، والملاحظ عدم إستعمال الأسلحة للتصدي لها عكس المستوطنين وسلطات الاحتلال التي شجعت الصيد والصيادين ،وكما أكد الكاتب الفرنسي "آليكسندر ديما" أن عدد الأسود تناقص بشكل كبير في فترة الصيادين "جيرار وبومبونال" .

نرصد بعض ما جاء ذكره في كتابات الرحالة كشهادة الرحالة "شالون" الذي قال :" نذكر بعض الحيوانات التي تمثل تميزا كالأسود والتي تناقصت أعدادها في المستوطنة لعدة أسباب منها مصلحة المزارعين الأوروبيين في القضاء عليها لجلودها الثمينة ،وكذلك مكافئة السلطات لصائدي الأسود بمبالغ مالية معتبرة ،وكذلك بنادق الصيد التي عرفت تطورا متواصلا مما زاد في نجاح عمليات الصيد" والشيئ نفسه للنمور التي عرفت عمليات صيد واسعة إذ يواصل قوله:" أما النمور أو نمور إفريقيا أو

النمور الكبيرة فتعرضت لحرب شرسة قادها المستوطنون من أجل المكافئة والجلود ، كما كان المسنوطنون يرون أن زوجا من الأسود والنمور يكلفهم ثورا في اليوم فكانت مكافئة قتل هذه الحيوانات تتراوح من 40 إلى 60 فرنك حسب القيمة التي تحددها البلديات" .

أشهر الصيادين الفرنسيين للأسود في البلاد:

إشتهر عدة صيادون كـ"جيرار قاتل الأسود" الذي كان للكاتب الشهير "آليكسندر ديما" موعدا معه بمدينة قالمة وبعد وصوله إلى مدينة عنابة عام 1849 إتجه لملاقاة "جيرار" ،وعند وصوله إلى قالمة كان "جيرار" في رحلة صيد لقنص لبؤة وشبليها في ضواحي منطقة سكيكدة ،فلحق به "دي ما" ويروي بشغف كبير عن رغبته في لقاء هذا الصياد ومتعة صيد الأسود ،إذ يقول :" لقاء جيرار زاد من فضولي ولكن كذلك الأمل في صيد أسد هو ورغبتي الكبيرة " .

كذلك يعرف البرلماني " بول بوردون" بأشهر الصيادين الفرنسيين بالبلاد كـ " جيل جيرار" الذي ذكره "ديما" و"بارتويسي" و"بامبونال" و"الشاسيين" ،ويعتبرهم من أشهر الصيادين في ذلك العصر ،وقاموا بمجمل عمليات الصيد في منطقة الشرق ما بين حدود عنابة وقالمة وسكيكدة ،وكانوا السبب المباشر في إنقراض هذه الحيوانات من المنطقة ،فكان صيدها لجلودها وخدمة لمصالح المستوطنين .

رحلات الصيد:

إن هذه الرغبة في رؤية الأسود وصيدها كانت مطلب جميع الزوار الفرنسيين إلى البلاد ،فالأسود مثلت فرجة وزاد تناقصها من فضول الزوار لتدارك الأسطورة قبل زوالها ،وهذا الضبط ما رصدته في رحلة "هيغو إيمبير" الذي تحدث عن أسد البليدة – سالف الذكر– أين قلّ عدد الاسود ويصف مظهر الصيد إذ يقول :"... في بليدة يوم 25 أفريل ...أخيرا رأيت الأسد ...كان مربوطا بحبل ،و عرَضه العرب على المارة ورُبط في زاوية "سيدي محمد الرحيي" .... وظل في حماية الزاوية ...وتلقى التقديس منها ليصبح حيوانا مقدساً..." ،ويؤكد على تناقص أعدادها بقوله أنه أصبح من الصعب الآن العثور على الأسود في شمال إفريقيا أو النمور أو الفهود ،فالإستيطان توسع على مساحات شاسعة من الأراضي وكذلك تحصل المعمرين على القسط الأكبر من مكافآت الإدارة الفرنسية عن قتل هذه الحيوانات المضرة بمصالح المستوطنين وأبعدوا ما تبقى منها إلى الصحاري ،فالإحصائيات تؤكد أنه ما بين 1873 إلى 1886 تم قتل 200 أسد ولبؤة وكذلك 1000 فهد ،وغيرها من الحيوانات البرية لجبال الأطلس كالنمور بمختلف أنواعها والضباع وحيوانات أخرى .

كما يورد لنا البرلماني " بوردون" إحصاءات عن عمليات القتل ضد هذه الحيوانات والمكافآت التي يتلقاها الصيادون فعدد الفهود كان أكثر من الأسود والنمور يقتل منها مابين 120 إلى 150 سنويا ،وشجعت الإدارة الأهالي على صيدها فهي تدفع ما بين 40 إلى 60 فرنك على الأسد الواحد أو الفهد .

ومثلت جلود هذه الحيوانات سلع قيمة كانت تباع في الأسواق وحتى في المعارض كالذي زارته بعثة برلمانية ينقل أحد الأعضاء أنه في مدينة عنابة كانت في إحدى أجنحة المعرض الفلاحي والصناعي قاعة مليئة بجلود الحيوانات نجد منها ثلاث جلود رائعة لأسود وبأسعار مرتفعة فجلد لأسد عادي بـ1500 فرنك وآخر به فراء أسود على الرقبة وهو ناذر جداً بسعر 2000 فرنك كذلك جلود الفهود المميزة وتباع بأسعار أقل ما بين 300 و400 فرنك .

وكثيرا ما كانت عمليات الصيد في المناطق الداخلية بالتعاون مع فرسان عرب يرافقون الزوار الفرنسيين مع الضباط تحدث عنها الكثير من الرحالة سواءا مدنيين أو حتى عسكريين ،كما ذكرنا أعلاه شهادة الضابط المعروف "ثريميلي" الذي وصف رحلة صيد في منطقة الغرب قرب "سعيدة" بأراضي "الحساسنة الشراقة" التي يقودها خليفة هذه القبيلة وحضرها الضباط الفرنسيون وكانت بمباركة مرابط القبيلة*** ،وبالتوغل إلى المناطق الداخلية الصحراوية كذلك شارك قادتها في عمليات الصيد

،وينقل لنا مؤلف كتاب "بسكرة" صورة عن رحلات الصيد والقنص في المنطقة والزخم الكبير الذي يواكبها ،ويعتبر رحلات الصيد من أكثر المناسبات تشويقا للهواة والزوار من السواح ،الذين يتوجهون لبسكرة التي تتمتع بطبيعة ثرية ومتنوعة فهي تضم مختلف الحيوانات القاطنة بالمنطقة وحتى المهاجرة كبعض الطيور التي تهاجر إليها ،كذلك توفر الحيوانات البرية كالأسود والنمور والفهود ما بين جبال الأطلس والزيبان التي كانت تصطاد بين الفينة والأخرى ،غير أن المؤلف يتأسف عن النتائج السلبية للصيد المنظم في هذه المناطق ،فهو يضيف موضحا أنه أصبح من الصعب العثور على الأسود الأطلسية في شمال إفريقيا لندرتها وإنقراضها بسبب الصيد توافرت هذه الحيوانات وكانت رؤيتها من ضروريات الزوار بالتوازي مع عمليات الصيد المنظم .

ربعاً : نتائج الدراسة.

من خلال هذه الدراسة نخلص إلى عدة إستنتاجات حول حقيقة الدور السلبي الذي قامت به سلطات الاحتلال الفرنسي في التسبب المباشر في إنقراض الحيوانات البرية في الأراضي الجزائرية منذ بداية الاحتلال لتقضي على تواجدها نهائيا في أواسط القرن العشرين، وتنوعت قائمة الحيوانات التي كانت عرضة للإنقراض يحتاج كل نوع منها إلى دراسة خاصة ونعرض بعضها كالمهاة Addax nasomacculatus) L'addax) وهي ضباء كبيرة لها قرون وقضي عليها بالجزائر من قبل المعمرين لأجل قرونها ولم يتبقى منها إلا اعداد قليلة في صحراء مالي،وكذلك نذكر الضباع المرقطة La hyène rayée (Hyaena hyaena) ، وكانت متواجدة بأعداد كبيرة لكن تناقصت أعدادها وأصبحت قليلة جدا وقضى عليها المعمرون بحجة أنها حيوانات مضرة ومفسدة ، وكذلك في ما يخص حيوان بري آخر هو الوشق Le lynx caracal d'Algérie (Caracal caracal algira) وكان يتواجد بأعداد كبيرة وتعرض للإصطياد لأجل فراءه وقارب على الإنقراض منتصف القرن.

وهناك حيوان آخر هو النعامة) L'autruche d'Afrique du Nord (Struthio camelus وكانت منتشرة في منطقة الأغواط ووادي ميزاب مثلت للسكان حيوان نبيل فكانت تقدم كهدية تكريما للضيوف إضافة إلى الطلب الكبير على جلودها بأوروبا أما شحومها فكانت تستخدم في التداوي بالقصور- للإطلاع في هذه الإضافة الأخيرة: ماسينيسا بوعمامة حول الإستعمار الجديد والقضاء على الحيوانات منشور في 8 ماي 2014- ، بسبب من نتائج هذه الدراسة نذكر:

- دور الرحلات في رصد وتوثيق حقائق تاريخية حول التواجد المكثف لهذه الحيوانات في الأراضي الجزائرية أثناء دخول الاحتلال الفرنسي.
- إثبات تاريخي من الرحالة للدور السلبي والهدام الذي قامت به سلطات الإستعمار الفرنسي في الجزائر وبيئتها من غطاء نباتي وتنوع حيواني إذ كانت السبب المباشر في إنقراض الحيوانات البرية المفترسة في الغابات.
- قادت سلطات الاحتلال الفرنسي في البلاد عمليات صيد منظم ضد الحيوانات البرية بالبلاد.
- التجاوزات القانونية للصيد بفتح وتشجيع وتأطير هذا الصيد طيلة أيام السنة دون إحترام فترات التكاثر في تعد كبير على قوانين الطبيعة .
- الإستغلال السلبي لهذه الحيوانات سياحيا بتنظيم عمليات صيد للسائحين الوافدين للمستوطنة بمرافقة عسكرية.
- خلق طبقة من الصيادين المحترفين في صيد أسود البلاد ،والإشهار لهم بين المستوطنين والزوار.
- تشجيع عمليات الصيد رسميا بمنح مكافآت مالية تدفعها الإدارة للصيادين سواءا الضباط من العسكريين أم من المستوطنين المدنيين .

- الحملات المدنية للصيد لصالح المستوطنين لحماية مواشيهم من الإفتراس من قبل هذه الحيوانات.
- التعليمات الإدارية لحماية المستوطنين ومصالحهم من محاصيل ومواشي خاصة .
- المتاجرة القانونية التي فتحتها سلطات الاحتلال لجلود هذه الحيوانات البرية .
- تشجيع عمليات الصيد وإدماج الأهالي فيها.
- إعتبار هذه الحيوانات البرية حيوانات مضرة وتشجيع القضاء عليها .
- حصر مفهوم الضرر التي تسببه هذه الحيوانات بتهديد مصالح المستوطنين خاصة المواشي.
- القضاء على سلالة حيوانية خاصة بالمنطقة إنتشرت وإشتهرت منذ ما قبل التاريخ.
- إنعكاس السياسة الاستعمارية في كل المجالات في تاريخ الجزائر في الفترة الاستعمارية إذ وتثمينا للاستيطان طبقت السلطات الاستعمارية كل السياسات والوسائل التي مست نتائجها السلبية حتى الطبيعة والحيوانات التي تضررت خدمة للاستيطان ومصالح المستوطنين.
- الجزائر فقدت أهم ثرواتها البيئية بسبب الاحتلال الفرنسي ويمكن تصور التنوع البيئي والحيواني للبلاد وواقع غاباتنا اليوم لو لم يكن للاحتلال الفرنسي وجود ببلادنا.

خامساً :القائمة البيبلوغرافية للدراسة.

-1Badin, Adolphe., Jean Casteyras Aventures de trois Enfants en Algérie, Paris, Bibliothèque D'éducation et de Récréation, 1888 .

-2Berteuil, Arsène., L'Algérie Française, Histoire-Mœurs-Coutumes-Industrie-Agriculture, Tome premier, Paris, Dentu, Libraire-éditeur 1856.

-3Boude, Paul., A Travers L'Algérie, Souvenir De L'excursion Parlementaire (septembre-octobre 1879), Paris, G.Charpentier, Editeur, 1880.

-4Certeux, Alphonse., E.Henry Carmoy, Contribution au folk-lore des Arabes. L'Algérie Traditionnelle, tome 1, Paris, Maisonneuve et Leclerc, Challamel Ainé, 1884.

-5Chalon, J., Souvenir D'Alger, Bruxelles , Librairie Classique A-N, Lebègue Et cie , 1887.

-6De Quivières, Ch.Marcotte., Deux Ans En Afrique, Paris, Librairie Nouvelle, 1855.

-7Dumas, Alexandre., Impression de voyage : Le Véloce ou Tanger, Alger et Tunis, Paris, [s.d], 1855.

-8Gastineau, Benjamin., Les Femmes et les Mœurs de l'Algérie, Paris, collection Hetzel, Libraire De Michel Lévy, Frères, 1861.

-9Imbert, Hugues., Quatre Mois Au sahel, Lettres et Notes Algériennes, Paris, Librairie Fischbacher, 1888.

-10Hurabielle, L'Abbé Jean., Au pays Du Bleu Biskra Et Les Oasis Environnantes, Paris, Augustin Challamel, Editeur, 189.

-11Shaw, Docteur Thomas., Voyage Dans La Régence D'Alger au XVIII e siècle, traduit de l'anglais par E.Mac Carthy (1830), Alger, editions G.A.L, 2007.

-12Trumelet, C., Les Français Dans Le Désert, Paris, Garnier Frères, Libraires-Editeurs, 1863

شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم

أ.خالد العمري

جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الملخص:

ان الملك حمورابي هو سادس ملوك سلالة بابل الاولى واشهرهم ، امتد حكمه للفترة من 1792–1750 ق.م استطاع خلالها من توحيد البلاد بعد ان كانت مجزأة الى مجموعة مدن متفرقة، واصدر شريعته المذكورة في السنة الثلاثين من حكمه، وقد سبقت شريعة حمورابي عدة قوانين وهي اصلاحات أوركاجينا وقانون اورنمو، ولبت عشتار واشنونا وكذلك القوانين التي جاءت بعدها كالقوانين الأشورية، وقد تضمنت شريعة حمورابي على غرار من سبقها من الشرائع مواداً قانونية عالجت مواضيع قانونية متعددة ومختلفة متعلقة بصلاحيات الملك والنظام الإداري والخدمة العسكرية والنظام العام، وعلى العكس من بقية ملوك تلك الفترة، فلم يزعم حمورابي أنه سليل آلهة او انه إله إلا أنه وصف نفسه بخليل الآلهة، حيث قام نظام الحكم في بلاد ما بين النهرين على أساس مبدا التفويض الإلهي.

تناولت مدونة حمورابي القانونية الجرائم وعقوبات المقررة لمن يخترق القانون وقد ركزت على السرقة، والزراعة (أو رعاية الأغنام)، وإتلاف الممتلكات، وحقوق المرأة، وحقوق الأطفال، وحقوق العبيد، والقتل، وتختلف العقوبات على حسب الطبقة التي ينحدر منها المنتهك لإحدى القوانين والضحية، ولقد فتح المجال أمام الجميع لرؤية هذه التشريعات الجديدة كي لا يتم التذرع بجهل القوانين كعذر.

RESUME

Le Roi Hammourabi et le sixième roi de la famille royale Babylone, le roi de la dynastie et le plus célèbre, Etendu son règne pour la période allant 1792-1750 A. J., au cours de laquelle il a réussi à unir le pays après avoir été fragmentée en différents groupes des villes, pendent sa loi mentionnée dans sa règne, a été présidé par le Code de Hammourabi plusieurs lois comme les réformes d'Orkagina et le loi d'Ornmo, et décider Ishtar et Ashnon ainsi que les lois qui sont venus après telles que les lois de l'Assyrien, et le Code de Hammourabi inclus le long des lignes de les prédécesseurs des loi et documents juridiques traitées plusieurs questions juridiques différents liés aux pouvoirs du roi et le système administratif et le service militaire, l'ordre public, au contraire, du reste des rois de ces période, il a été allégué qu'un descendant des dieux Hammourabi ou d'un Dieu, mais que lui-même décrit que de proche dieux, où le système de gouvernement en Mésopotamie sur la base du principe du mandat divin.

le Code des Hammourabi a étai traite plusieurs affaire comme le délits et des peines prescrits pour ceux qui viole la loi ont mis l'accent sur le vol, l'agriculture et la destruction de la propriété, et les droits des femmes, et des enfants et des esclaves, assassiner, les sanctions sont différentes en fonction des classes à partir de laquelle le contrevenant de l'une des lois et les victimes, le code de Hammourabi a était présente dans un endroit public ouvert devant tout le monde pour voir cette nouvelle législation, et ne doit pas être invoquée comme une excuse l'ignorance des lois.

مقدمة:

قد تبدو للوهلة الأولى ان الدراسة التاريخية ليست لها فائدة علمية في المجال القانوني، حيث يقوم القاضي في الوقت الحاضر بتطبيق النصوص القانونية المعمول بها دون الالتفات الى ما سبقه من قوانين في العهود السابقة، او حتى في الماضي القريب وذلك تطبيقا للقاعدة القانونية التي تقضي بعدم رجعية القوانين الى الماضي، لكن سرعان ما يتبدد هذا الوهم اذا نظرنا الى الأمور نظرة علمية فاحصة، فالدراسة التاريخية لا غنى عنها سواء للباحث في مجال القانون او للقاضي او حتى المشرع، لأنه لا يمكن ادراك المعنى الحقيقي للقواعد القانونية المعمول بها على الوجه الصحيح الا من خلال تقصي جذورها التاريخية واصل نشأتها، بتتبع مراحل تطور القاعدة القانونية الى ان وصلت الى وضعها الحالي.

تهتم الكثير من الدراسات التاريخية الحديثة بالتشريع باعتبار ان المنظومة القانونية تعكس مدى التطور الذي وصلت اليه الشعوب والدول في مسارها الحضاري بوجه عام، فان الاهتمام بالبحث عن الجذور القانونية لمختلف التشريعات الحديثة يعد من أسمى الاعمال ومن الضرورات التي ينبغي الاهتمام بها.

ان الدراسة الحديثة في مجال تاريخ النظم القانونية تهدف الى أساسا للبحث عن السبب في ان حضارة ما في ظل ظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية معينة قد اتبعت نظاما قانونيا معينا، وإبراز التماثل في الحلول التي اتبعتها الشعوب بالنسبة لنفس

المشاكل، مع البحث عما إذا كان هذا التماثل راجعا أساسا الى مقتضيات عامة للحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية؟ ام يرجع الى عوامل تطور مشتركة بين تلك الشعوب بالرغم من اختلاف ظرف المكان والزمان؟ ام يعود الى تأثير مارسته احدى الشرائع على الأخرى؟

سنحاول الإجابة على هذه التساؤلات من خلال هذه الدراسة وذلك بالتركيز على اهم الشرائع التي ظهرت في بلاد الرافدين خلال حقبة تاريخية معينة وهي شريعة الملك حمورابي، ويرجع التركيز على هذه الحضارة بالذات ليس من باب المفاضلة وانما لما لها من سبق تاريخي وقانوني، فلا أحد يستطيع ان ينكر اقدمية شرائع بلاد بين النهرين ومن أهمها شريعة حمورابي التي جاءت جامعة وشاملة لما سبقها من قوانين.

المبحث الأول: نظم القانون العام في شريعة حمورابي

ان المتأمل لموقع مدينة بابل القديمة لا يخطر بباله أن هذه الارض الموحشة ذات الحر اللافح الممتدة على نهر الفرات، كانت من قبل موطن حضارة غنية قوية أسست للعديد من العلوم وأعدت أول كتب القانون الكبرى، وإذا ما وقف الإنسان أمام دجلة والفرات الساكنين فإنه يتعذر عليه أن يعتقد أنهما النهران اللذان أرويا سومر وأكد وسقيا جنائن بابل المعلقة جنة الساميين وحديقة بلاد آسيا القديمة، ويعتبر اختراع الكتابة المسمارية وقانون حمورابي من أبرز مظاهر حضارة بلاد الرافدين.

ان النظم القانونية ماهي الا ترجمة صادقة لما هو موجود في المجتمع من مظاهر مختلفة، لذا فالقانون متصل بالنظم الأخرى التي تسود المجتمع أي كانت درجة الرقي التي وصل اليها، فالتطور كسمة حضارية يخضع لها المجتمع كما يخضع لها القانون بنفس الدرجة فالصلة وثيقة بين القانون والمجتمع، وعليه فان اهتمامنا بالدرجة الأولى من خلال هذه الدراسة يتركز على شريعة حمورابي في بلاد بين النهرين، حيث ان مدونة حمورابي القانونية هي عبارة عن تنقيح وتجميع لمواد القوانين السابقة وأهمها: قانون اوركاجينا 2355ق.م.، وقانون اورنمو 2111-2003 ق.م. وقانون لبث عشتار 1934-1924ق.م. وقانون اشنونا، ثم شريعة حمورابي 1792-1750ق.م. والتي ستكون محور الدراسة، خاصة بعدما تم حل رموز الخط المسماري التي أعطت لنا معلومات ذات أهمية كبيرة حول تاريخ القوانين، مما يسمح للباحثين بالاطلاع على التراث القانوني للعراق القديم .

اكتشفت شريعة حمورابي عام 1901 في مدينة سوسة عاصمة بلاد عيلام على يد بعثة اثرية برئاسة عالم الاثار جاك دي مورجان، ان اكتشاف المسلة في مدينة سوسة كان بسبب حملها من قبل الملك العيلامي (شونزك ناهونتي) مع الغنائم التي حصل عليها، بعد غزوه لبابل عام 1170ق.م. ولعل سبب نقل هذه المسلة الى سوسة هو اعتقاد العيلامين بان ذلك يجلب لهم الازدهار والقوة التي عاشتها بابل في عهد حمورابي، حيث عثر على المسلة منقوشة على حجر يبلغ طوله 2.5 متر ومحيط قاعدته 1.9 متر، وقد قسمت مواد شريعة حمورابي الى 13 قسم ضمن 282 مادة وهو ما سيتم بيانه لاحقا.

المطلب الأول: نظام الحكم في شريعة حمورابي

بدأت حضارة بلاد ما بين النهرين منذ الالف الرابع قبل الميلاد حيث ظهرت فيها حضارتين متجاورين وهما، الحضارة السومرية وهم شعوب استوطنوا الجنوب ومازال الخلاف قائما حول اصلهم، والحضارة الاكدية وهو شعب سامي هاجر من الجزيرة العربية واستقر في اكاد الى الشمال من سومر، واتحدت هاتين الحضارتين تحت سلطان الاموريين في امبراطورية بابلية، فقد نشأ الجنس البابلي من تزاوج هاتين السلالتين، وكانت الغلبة في السلالة الجديدة للأصل السامي الأكدى، فقد انتهت الحروب التي شبت بينهما بانتصار أكد وتأسيس مدينة بابل لتكون شاملة أرض الرافدين بأجمعها.

اما بالنسبة لمدينة بابل فقد بدأت اعمال البحث لتحديد موقعها بدقة ورسم حدودها ففي عام 1165م. حيث زار المدينة الجوالة الاسباني التودلي وكتب ان بابل مدينة اطلال مدينة مهدمة على مساحة 60 كلم2، ثم في بداية القرن 17م. وصل الى هذه المدينة الرحالة الإيطالي فاللي وجلب معه الى إيطاليا رقميات فخارية مكتوبة بالخط المسماري، الا ان اول وصف لمدينة

بابل وضعه وكيل شركة است الهند في بغداد السير ريج، وفي سنة 1750م. قام الباحث ليبارد بحفر عدو أماكن في تلال الأراضي الواقعة ضمن حدود مدينة بابل، الا انه لم يعثر على التماثيل ولا على النقوش الاثرية كما كان يعتقد، بل عثر على رقميات فخارية واختام...الخ، وهو ما دفعه الى وقف اعمال التنقيب.

حل المنقب الألماني كولدفيه محل الباحث ليبارد حيث قام برحلة استكشافية للمنطقة على نفقة مجمع الاستشراق الألماني، وتحت قيادة المنقب الألماني كولدفيه وفريقه بعثت في مدينة بابل الحياة من جديد وهكذا تكلمت مدينة بابل وراحت تبوح بأسرارها من تماثيل ومنشأة منها حدائق بابل وبرج بابل الشهير...الخ، ولم يكتفي المنقبون بالبحث عن القصور والمعابد فقط بل شمل البحث أيضا الاحياء السكنية مما ساعد على تكوين تصور واضح عن حياة سكان المدينة .

نظام دولة المدينة: لم يقم نظام الحكم في بلاد ما بين النهرين في بداية الامر على أساس ممالك واسعة، بل كان في شكل دويلات متعددة تكوّن كل منها مدينة معينة وهو ما يطلق عليه دولة المدن، فقد مثلت المدينة الخلية الأساسية في التنظيم السياسي لبلاد ما بين النهرين تعتبر المدينة عملا دينيا في المقام الأول، فهي مركز لعبادة الهة ويتم تنفيذه بناءا على أوامر الالهة ونتج عن تلك الصلة الوثيقة بين تأسيس المدينة والديانة، الى ان أصبح لكل مدينة صفات دينية خاصة بها وتتصل بعبادة إله معين.

قام التنظيم السياسي في بلاد ما بين النهرين على أساس مبدا التفويض الالهي، فالسلطة والسيادة للإله والملك يتولاها بصفته ممثلا له ونائبا عنه وأحيانا يعتبر الملك هو نفسه الها بين البشر، ويترتب على اعتبار الملك وسيطا بين الناس والالهة العديد من النتائج، الحرب هي الوسيلة التي استعملها البابليون، ثم الاشوريون للقضاء على عوامل تجزئة البلاد وإقامة الامبراطوريات الكبيرة، وقد استلزمت تلك الحروب قيادة موحدة وقوية تكون لها كافة السلطات وهذا لا يتوفر الا في نظام الحكم الإلهي، فقبل عهد حمورابي كانت المدن والامارات مستقلة عن بعضها وكانت السيادة للآلهة المدينة، اما الملك فهو ممثل الالهة في الأرض، لذلك كان الملك كبير الكهنة بالإضافة الى سلطاته السياسية، ولذلك كان على الملك ان يعمل على المحافظة على الامن ويحمي الضعفاء داخل الامارة وهو الذي يتولى القضاء بين المواطنين ، والقانون لا يخرج عن كونه تعبيرا عن إرادة الالهة توحي به الى الملك، وهو وحده الذي يستطيع ان يتلقى هذه الإرادة الإلهية وينقلها للبشر، ونتيجة لهذه الصفة تمتع الملك بسلطات مطلقة في مواجهة شعبه واصطبغ الحكم بصبغة دينية وترتب على ذلك عدم اشراك الشعب في الحكم .

بقيت فكرة اعتبار الملك وسيطا بين الهة والشعب هي السائدة غير ان شخصية الملك لم تختلط بشخص الاله كما هو الحال في مصر القديمة، ولذا قام صراع بين الكهنة والملوك ترتب عليه انفصال السلطة الدينية عن السلطة الزمنية، وقد تأكد هذا الانفصال بعد ان توحدت البلاد تحت حكم الملك حمورابي الذي اجبرهم على عدم التدخل في شؤون الحكم .

ما نخلص اليه هو ان فلسفة نظام الحكم في بلاد ما بين النهرين تتمثل في ان الملوك مجرد نواب او ممثلين للآلهة، فهم وسطاء بين البشر والالهة، اما علاقة الملك بالآلهة فهو اقل مرتبة ويسال امامها ولذا كان الخشية من المسؤولية امام الالهة قيدا هاما على سلطة الملك .

المطلب الثاني: أسس ومبادئ التنظيم الإداري في شريعة حمورابي

قامت في بلاد ما بين النهرين حضارة كبيرة ضمت أقاليم شاسعة المساحة وفيرة السكان مما يتطلب تنظيم اداري قوي، يستمد منه الملك قوته ويكون عونا له في ممارسة مهامه من خلال التعليمات والاوامر الصادرة من الملك او من وزرائه، الى الإدارات المختلفة سواء كانت مركزية او محلية. . وكان يفرض عقوبات صارمة على الموظفين المهملين وغير النزيهين في أداء واجباتهم .

الإدارة المركزية: تشمل الإدارة المركزية القصر الملكي الذي يضم الملك وحاشيته ومجموعة من الإدارات الرئيسية التي خضعت لسلطة الملك مباشرة، وقد نظمت هذه الإدارات في البداية باعتبارها دائرة الملك التي تدير املاكه الخاصة، ثم اتسعت دائرة

اختصاصاتها لتشمل البلاد بأكملها دون تفرقة بين ما هو مملوك للدولة وما هو داخل في أملاك الملك الخاصة، كما تشير بذلك الخطابات والاوامر الصادرة من الإدارة الملكية، والتي تبين ان اختصاص تلك الإدارة يشمل البلاد باسرها ويضم كافة المسائل من إدارية وفنية وضريبية، كما كان لها اختصاص قضائي حيث يقوم الملك بنظر الدعاوى التي تعرض عليه ويتخذ فيها القرار المناسب بالإضافة الى المسائل العسكرية.

ويساعد الملك في الحكم وإدارة شؤون البلاد زوجته الملكة التي كان لها نفوذ كبير في تصريف شؤون الدولة، ويلي الملك وزوجته في السلم الإداري المشرف العام وهو منظم مشروعات المنافع العامة والشؤون الزراعية وامين خزانة الملك وحاجب القصر ومسجل العقود، حيث يختص كل مشرف عام بناحية معينة من نواحي النشاط المختلفة .

بالإضافة الى القصر الملكي توجد العديد من الإدارات التي تشرف على مختلف المرافق كالزراعة والري والصيد، بها عدد من الموظفين الذين يخضعون لإشراف وتوجيه ممثل الملك، كما ان أوامر الملك باعتباره رئيس السلطة التنفيذية كانت تتعرض لأدق تفصيلات الإدارة، بما يضمن حسن سير المرفق العام، كصيانة المعابد وشبكات المياه ومراعاة الدقة في تحصيل الضرائب .

الإدارة المحلية: كانت الامبراطوريات التي قامت في بلاد ما بين النهرين تضم العديد من الأقاليم وكان يوضع على راس كل إقليم منها حاكم، الذي كان في بداية الامر هو نفسه ملك المدينة المهزوم، حيث جرت عادة ملوك ما بين النهرين على الإبقاء للشعوب المهزومة نفس الجهاز الإداري الذي كان يحكم من قبل، ولكن الخشية من انتقام او استئثار هؤلاء الحكام بالسلطة دفعت الملوك الى ان يحلوا محلهم موظفين مدنيين قابلين للعزل .

فالملك بصفته قاضيا كان يؤشر على شكاوى الافراد ضد استغلال الموظفين لهم ويأمر بتحقيقها، وبصفته على راس السلطة التنفيذية كان يصدر التعليمات التي تضمن حقوق الافراد في الانتفاع بالمرافق العامة، مثل الصيد في الأنهار والقنوات بالإضافة الى صيانة المرافق العامة مثل شق القنوات وتطهيرها حماية المعابد...الخ.

كان الموظفون يؤجرون عن عملهم باقتطاع بعض الأراضي يؤول إليهم ريعها وتضل مملوكة للملك، ويقتصر حق الموظف على الانتفاع منها طالما بقي في وظيفته ومن ثم لا يجوز له التصرف فيها، كذلك الامر بالنسبة للعسكريين الذين يمنحون بعض الأراضي باستغلالها موقتا مقابل قيامهم بالخدمة العسكرية، كما ان إيرادات الدولة تتكون من ريع الأراضي المملوكة للملك .

المطلب الثالث: نظام الجرائم والعقوبات ونظام القضاء في شريعة حمورابي

كانت ولاية القضاء قبل الحكم البابلي من اختصاص كهنة المعابد كما ان الكهنوت لم يكن مقتصرا على الرجال، بل كانت النساء تتولين وظائف الكهنة حيث كان الحكم القضائي يصدر في المعبد، ونتيجة لانفصال السلطتين الدينية والزمنية عن بعضهما في بداية الحكم البابلي خاصة في عهد حمورابي، الذي فصل ولاية القضاء عن الكهنة وترتب على ذلك ظهور محاكم مدنية يتولى وظيفة القضاء فيها موظفين من قبل الملك، حيث نصت شريعة حمورابي في المواد من1الى 5 المسائل المتعلقة بالقضاء والشهود، اما القضاء الديني فقد اندثر ولم يبقى منه الا اختصاص محدود يتمثل في ان المحكمة المدنية اذا ما ارادت توجيه اليمين الى احد الخصوم احالت أداء القسم الى الكهنة .

تميز القضاء المدني الذي ساد في عهد حمورابي بوحدته بالنسبة لجميع المواطنين وتعدد درجاته، حيث كانت محاكم اول درجة (محكمة ابتدائية) متواجدة في المدن، وتتكون من مجموعة من القضاة، يعاونهم عدد من الكتبة والمحققين ورجال الشرطة، وتستأنف هذه الاحكام امام محكمة عليا مقرها محافظة الإقليم وتنعقد برئاسة محافظ الإقليم، الذي يمارس مهام السلطة التنفيذية بجانب مهام القضاء، كما تشير مدونة حمورابي الى الحرص على احترام نزاهة القضاة فهي تقضي ببطلان الاحكام التي يتحيز فيها القاضي لاحد الخصوم، كما تقضي بعزل القاضي المرتشي فضلا عن معاقبته بدفع غرامة مقدرها اثني عشر مثلا لقيمة الشيء محل النزاع.

اما فيما يتعلق بالإثبات فانه وصل الى درجة كبيرة من التطور ففي بابل كانت الكتابة تقوم بدور رئيسي في الاثبات بالإضافة الى شهادة الشهود واليمين، وهو ما يعطي اطباع على احترام حقوق الأشخاص المتهمين، فلا يمكن استعمال التعذيب للحصول على اعترافهم بخلاف القوانين الأخرى لدى الاغريق او الرومان مثلا التي كانت تبيح تعذيب المتهم للوصول الى الدليل .

تطور نظام العقوبة من الانتقام الفردي الى عقوبات تفرضها الدولة حيث تميزت نظم العقوبات بالقسوة، كما انها تختلف تبعا لحالة المجني عليه وطبقته الاجتماعية حيث ساد قبل عهد حمورابي نظام العقوبات المالية والبدنية في مدونة اورنامو واشنونا، حيث يلتزم الجاني بدفعها للمجني عليه غير ان هناك بعض الأفعال الخطرة التي حدد لها عقوبة الإعدام كالاعتداء بالليل او الزنا...الخ.

في ظل شريعة حمورابي التي صدرت بعد مدونة اورنامو حوالي ثلاث قرون ونصف نجده فقد حددت المواد من 6الى 25 الجرائم في حين حدد المواد من 195 الى 217 العقوبات والقصاص والغرامات، وقد استحدث مفهوم القصد الجنائي، فبينما تقضي قوانين اشنونا بتطبيق غرامة مالية واحدة في حالة الضرب والجرح دون تفرقة بين حالات العمد وغيرها من الحالات، فان قانون حمورابي يقضي بعدم تطبيق العقوبة في حالة الجروح غير العمدية، كما استبدل العقوبات المالية بالعقوبات البدنية مما اضفى على العقوبات طابع القسوة والشدة فكانت هناك عقوبة الاعدام وبتر الأعضاء، ولم يأخذ بعين الاعتبار التطور العام الذي طرأ على الأحكام، اذ انه رجع الى مبدأ القصاص في العقاب بعد ان كان مبدأ الدية قد شاع استعماله في بعض القوانين التي سبقت قانونه كقانون أورنامو، ويمكن تبرير هذا التوجه في قانون حمورابي بأن تأسيس دولة موحدة تهدف الى التقدم والازدهار واشاعة الأمن لابد أن تستند الى أحكام قاسية لتحقيق الردع .

المبحث الثاني: نظم القانون الخاص في شريعة حمورابي

تميز المجتمع في بلاد ما بين النهرين بقيامه على أساس الطبقات الاجتماعية ذات المراكز القانونية المختلفة، فحالة الشخص ومدى ما يتمتع به من حقوق او يتحمل من التزامات يختلف تبعا للطبقة الاجتماعية التي ينتمي اليها باستثناء الاسرة المالكة ورجال الدين، فقد قسّم المجتمع في بلاد بين النهرين الى ثلاث طبقات رئيسية هي: الاحرار والعبيد وطبقة وسطى بينهما وهي الطبقات وراثية ومقفلة لا يجوز الانتقال من طبقة الى أخرى.

المطلب الأول: نظام الاسرة في شريعة حمورابي

تقوم الاسرة في بلاد ما بين النهرين على أساس الزواج والسائد في هذا المجتمع هو نظام الزوجة الواحدة، بالإضافة الى نظام تعدد الزوجات لان الغرض الأساسي للزواج هو إنجاب الذرية، وهو ما يفسر وجود حالات تعدد الزوجات وبعض صور التبني وكذلك بعض التطبيقات على نظام الخلافة على الارامل الذي عرفته اشور وكانت تجهله بابل، وعليه فان للزوج ان يتخذ زوجة ثانية إذا كانت زوجة الأولى عقيم ولكن تبقى في مركز أدنى من الزوجة الأولى بالرغم من انها زوجة شرعية، كما ان للزوج ان يتخذ ما يشاء من الجواري غير ان مركزها كجارية لا يتغير ولا تكتسب حريتها الا بوفاة زوجها ان انجبت منه اولادا .

انعقاد الزواج: يتبين من خلال نصوص قانون حمورابي ان الزواج ينعقد بتراضي أولياء الزوجين بالإضافة الى الكتابة التي توضح شروط الزواج (الهبات المالية، شروط الطلاق...الخ) كما اقرت شريعة حمورابي موانع الزواج وهي تحريم الزواج بين الأصول والفروع غير ان اختلاف المركز الاجتماعي لا يشكل مانع للزواج، وعالجت شريعة حمورابي أحكام الزواج و المهر والتركات والتبني في المواد من 127 إلى 194 ثم إلى أحكام الطلاق والإرث، فكان في بعض جوانبه أكثر احتراما لحقوق المرأة مما تلاه من تشريعات أي كان منشأها، كما كانت تطبق على كافة أفراد المجتمع دون استثناء، والعقوبات واضحة على شدتها التي تصل حد القتل ساعد في ضبط المجتمع البشري السابق وألغي مجرد التفكير في الزنا أو الاعتداء أو.. في أمور الزواج لقد

نصت تلك الشريعة على الزواج بامرأة واحدة هو القاعدة المقررة مبدئياً، فلم يكن يسوّغ للرجل أن يكون له سوى امرأة واحدة شرعيّة، كما أنّ المراسيم الدينيّة الطقسيّة كانت تعقب عقد الزواج ولا تسبقه، كما هو معمول به في التشريعات المدنيّة الحديثة، عقد الزواج لم يكن عُرفياً. (المادة/ 128/) لو اتخذ رجل امرأة زوجة ولم يعقد عليها، هي ليست زوجة. بمعنى أنّ الزواج ينبغي توثيقه بعقد خطي وإلا اعتبر لاغياً، ولا تُعتبر المرأة التي تؤخذ سِفاحاً من غير عقد زواج موثّق زوجة شرعيّة، وعقوبة الزنا تقع على الاثنين معا (المادة /129/) لو ضبطت زوجة رجل تضاجع رجلا آخر، يربط الاثنين ويلقيان في النهر، أما إذا رغب زوج المرأة مسامحة زوجته والعفو عنها فللملك الحق في العفو عن مواطنه، وكانت عقوبة الاعتداء على المرأة هي القتل (المادة/130/) لو اغتصب رجل امرأة تعيش في بيت أبيها، يقتل ذلك الرجل وتذهب المرأة حرة طليقة، وقد كان على الرجل احترام مدينته وزوجته وعد هجرهما بلا سبب (المادة/136/) إن دخلت زوجة رجل، هجر مدينته وغادرها، بيت رجل آخر "بعد مغادرة الزوج"، لا تعود إلى زوجها لأنه حقر مدينته وهجرها.

الطلاق فقد عالجها بطريقة راقية ومدنية فقد أُعطيت المرأة حقّ الطلاق من زوجها إذا كرهت زوجها فينظر القضاء في أمرها، ويستقصي عنها فإن كانت صالحة يحق لها أن تسترد "بائنتها" وتعود إلى بيتِ أبيها، أما إذا كانت غير صالحة فإنها تُلقى في الماء (المادتين142-143) ونصّت شريعة حمورابي على حالات أخرى لطلاق الزوج من زوجته، ليس تعسّفاً، بل نتيجة محاكمة قضائيّة عادلة، منها: إذا تخلى الزوج عن زوجته دونما سبب أو ذنب أتته، سواء كانت زوجة أو خليلة، فتحتفظ بأبنائها ويوكل إليها أمر تثقيفهم ويكون لها حصة من أرزاق زوجها عن كل ولد رزقته منه، كما لها أن تقترن بمن تشاء. (المادة/138/) لو رغب انسان في طلاق زوجته التي لم تحمل منه يعطيها مالا بقيمة هدية الزواج ثم يطلقها.

وبالنسبة للعائلة كانت شرعة حمورابي تشجّع الإكثار من النسل وتحرص أن تكون المرأة ولوداً، للحفاظ على استمرارية المجتمع ووجودهم وقوتهم ولكنّها مع ذلك لم تذهب مذهباً يجافي العدالة، فإذا لم تُرزق المرأة أولاداً من زوجها، ترك الزوج لها مهرها وأعاد لها الأموال التي أتت بها من بيت اهلها ثم خيّرها بين أن تبقى في كنفه أو يخلي سبيلها، فإذا آثرت البقاء في كنفه، ساغ له أن يأخذ من دونها خليلة ولها أن تختارها هي، فإذا صارت الأَمَةُ أمّاً لأولاد فإنها تصير حرة نظرية السيدة، ولا يسوَّغ بيعها المادتان 144_ 146 الزوجة الشرعيّة تطلَّق والخليلة يخلى سبيلها إذا لم تُرزق أولاداً، لأنّ الزواج يعتبر لاغياً في حالة عدم الإنجاب، إلاّ أنّ المطلّقة تستردّ بائنتها ومهرها وتُعطى تعويضاً من الزوج، والبائنة هو ما تحمله المرأة من أشياء جهازية من بيت أبيها أو ذويها إلى البيت الزوجي، والجديد في شرعة حمورابي أن "البائنة" يُكتب بها صكٌ مختوم، وغايته ضمان معاش المرأة متى فقدت زوجها، فلا يستطيع أبناؤه مطالبتها بشيء حين توزيع تركة أبيهم.

وللأرملة حقوق كافية لتكون هي المسؤولة عن أولادها وأملاك زوجها المتوفى لو قررت أرملة لها أولاد قاصرين أن تدخل بيت رجل آخر، لا يحق لها دون موافقة القضاة ، فإذا شأت ينظر القاضي في تركة الرجل السابق فيضعون زوجها الثاني وصيا على تركة الأول وتطلب المرأة من القضاة لوح ينص على أنهما سيعتنيان بالأملاك ويربيان الأولاد الصغار ولا يحق للزوج الثاني التصرف أو بيع أملاك الأرملة (المادة/177/) ، فقد كانت للأرملة حق استردّاد جهازها و "بائنتها" ويمكنها البقاء في بيت زوجها وتكون لها الوصاية على أولادها القُصّر المادة 172 وفي هذه الحالة تُرصد لها من ثروة زوجها المتوفّي المنقولة حصّة تعادل حصّة أحد أولادها ولو أن المتوفى لم يخصّصها بهبة، وهو ما لم يُقرّر مثله الا في القوانين الحديثة أما في الميراث فقد كان الجميع متساوين وللقضاة النظر في حالة حرمان أحد الأولاد من الميراث المادتين 167-168 .

أكدت شريعة حمورابي على سمو المرأة وحريتها حتى أن أولادها من رجل عبد يصبحوا أحرارا مثلها لا مثل أبيهم العبد ولا يحق لسيد العبد أن يطالب بأبناء السيدة المادتين 175-176، ان هذه المواد تدل على أن الرجل ليس الحاكم المطلق في امرأته

فهناك باب القضاء الذي ينظم كل هذه الأمور ويخضع الزواج لرقابته، وهناك هيئة نظاميّة تحمي المرأة وتنظم شؤون العائلة بطريقة راقيّة .

الخطبة بالنسبة للخطبة فإذا عدل الخاطب عن خطبته وقال للأب " أنا لن أتزوّج ابنتك" كان من حقّ والد الفتاة أن يحتفظ بكلّ ما قدّم، أما إذا كان والد الفتاة هو القائل للخاطب " لا أعطيك ابنتي"، تحتّم عليه أن يردّ إلى الخاطب ما جاء به مضاعفا المواد 159الى 161، كما منعت حالات سفاح القربى بكافة أشكالها فلو نام رجل مع ابنته يجبرونه على ترك المدينة، ولو نام مع زوجة ابنه يلقى في الماء لو نام مع امه يحرقان لو نام مع زوجة ابيه يفصل الرجل من العائلة، المواد / 154-155-156-157-159.

المطلب الثاني: نظام الملكية في شريعة حمورابي

تطور نظام الملكية في المجتمعات القديمة الأولى من ملكية جماعية الى ملكية الاسرة ثم بعد ذلك الملكية الفردية، لكن هذا التطور لم يحدث بهذا التتابع في بلاد بين النهرين الذي عاصرت فيه الاشكال المختلفة للملكية في ان واحد، حيث بلغ المجتمع البابلي درجة كبيرة من التطور حيث لم يقتصر النشاط في هذه الحضارة على نشاط الزراعة، بل أصبح مجتمعا تجاريا ايضا متعدد المعاملات الامر الذي سمح بانتشار الملكية الفردية والصغيرة ، حيث ان الملكية تنتقل بين المتعاقدين فور التعاقد ام بالنسبة غير فإنها لا تنتقل الا بعد توثيق العقد الناقل للملكية، وقد نظمت الملكية في المواد 41 الى 65 تحت عنوان الحقول والبساتين والبيوت.

اكتملت للملكية الفردية كل خصائصها في العهد البابلي وأصبحت الملكية الفردية هي الغالبة، فللمالك حق مطلق على ملكه عقار كان او منقول يبيح له التصرف فيه دون قيد، والقيد الوحيد الذي يقيد حرية المالك في التصرف في ملكه هو حق الاسترداد المقرر لأقاربه إذا كان التصرف لأجنبي عن الاسرة.

ملكية القصر: بالإضافة الى الملكية الخاصة نجد ملكية القصر حيث ان للملك في بلاد ما بين النهرين املاكا شاسعة، التي تكونت من الأراضي التي كان يرثها الملك عن الملوك السابقين والأراضي، وما تضمنته هذه الأراضي من اعداد ضخمة من الماشية التي كان يستولي عليها الملك نتيجة حروبه، بالإضافة الى ما كان يحصله من الضرائب حيث كانت تستخدم تلك الإيرادات في الانفاق على القصر الملكي، الحاشية، إقامة المرافق العامة وبصفة خاصة الجيش، وقد تشكلت إدارة خاصة لاستغلال أملاك القصر.

ملكية العابد: لعبت المعابد دورا هاما في الحياة الاقتصادية حيث كانت تمتلك ثروات ضخمة سواء من عقارات او منقولات، وتعد هذه الأموال ملك للآلهة المعبد ويستخدم ريعها في الانفاق على الكهنة، وتقديم مساعدات في شكل قروض منخفضة الفائدة سواء كانت قروض نقدية او عينية، وقد اتبعت عدة أساليب في استثمار هذه الأراضي منها زراعة جزء بطريقة جماعية تحت رئاسة كبير الكهنة، او يتم توزيع الأراضي على أعضاء المعبد لإعالتهم او إعطائه للمزارعين مقابل اجرة تتمثل في جزء من المحصول .

الاقطاعات: هي أراضي تؤول حيازتها او ملكيتها للأحد الموظفين او الجنود نظير قيامه بأداء مهامه في خدمة الملك، حيث يقوم الملك باقتطاع جزء من الأراضي للجنود والموظفين كراتب لهم عن خدمتهم، وكان الملك يمدهم باليد العاملة اللازمة لاستغلال هذه الأراضي لكون الجنود او الموظفين يتعذر عليهم استغلالها بسبب مهام وظائفهم، على ان هذه الأراضي تخرج من دائرة التعامل فلا يجوز التصرف فيها حيث تضل ملكية الرقبة للملك، ويقتصر حق الجندي او الموظف على مجرد الانتفاع منها .

وفي كل الأحوال فان الملكية في بلاد ما بين النهرين قد حظيت بحماية دينية وقانونية، اما بالنسبة للحماية الدينية فان حق الملكية تحميه الالهة فأملاك المعابد تعتبر ملكا للآلهة ومن يعتدي عليها يتعرض لانتقام الالهة، كما ان الحدود الفاصلة بين الحقول تعد محلا لشعائر دينية بنقش رسوم للآلهة على النصب بين الحقول تضفي عليها الحماية، واستنزال لعناتها على من يعتدي عليها، اما الحماية القانونية تتم من خلال اشراف الدولة على توثيق الملكية في عقود يكتب فيها اسم المالك .

المطلب الثالث: الالتزامات والعقود في شريعة حمورابي

تخطت بلاد ما بين النهرين مرحلة المجتمع البدائي القائم على أساس نظام المقايضة الى مجتمع أكثر تطور قائم على التجارة، إذ بجانب نشاط الزراعة نشطت التجارة وتعددت المعاملات لذلك كان مجتمع متمدن وتجاريا أكثر منه مجتمع زراعي ريفي، وكان لذلك أثره في تطور نظام التعاقد والالتزامات بصفة عامة.

شكلت بابل مدينة عرفت العديد من الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية كالتجار والحرفيين والصناع، وهو ما نتج عنه العديد من الالتزامات بين التجار والحرفين لتصريف امورهم كذلك لعب الموقع الجغرافي دورا هاما في تنشيط الحرمة الاقتصادية من خلال حرمة التصدير والاستيراد من البلاد الأخرى كالهند، وكانت حركة النقل ذات أهمية كبيرة للتجارة لدرجة ان قانون حمورابي حدد أجور النقل وأسعار المبيعات، بالإضافة الى تخصيص القوة العسكرية اللازمة لحماية قوافل التجارة.

تبعا لتطور حركة التجارة تطور المجتمع البابلي الذي عرف النقود لتجاوز العقبات التي عرفها نظام المقايضة، حيث ان كثرة الثروات وتداولها أدى تعدد المعاملات وظهور النقود المعدنية في وقت مبكر منذ منتصف الالف الثالثة قبل الميلاد وهي عبارة عن سبائك من البرونز والفضة توزن اثناء اجراء المبادلة، ووحدة الوزن في ذلك الوقت هي المينا والتي تساوي حوالي 500 غرام تقريبا.

العقود: عثر علماء الاثار على العديد من الوثائق المثبتة للمعاملات اليومية بين الافراد منقوشة على لوح من طين، التي تبين ان المعاملات التي تتم بين الافراد لابد لها من حضور شهود، وقد ثار التساؤل حول طبيعة العقود في بلاد بين النهرين: هل هي عقود رضائية بحيث تنعقد بمجرد توافق إرادتي البائع والمشتري أم هي عقود شكلية يتم التعبير عنها بشكل معين؟

يذهب الرأي الغالب إلى القول أن العقود في بلا د الرافدين، وخاصة عقود البيع، هي عقود رضائية، بالرغم من كتابتها على ألواح، ووضع أسماء الشهود وأختامهم عليها حيث تعتبر الكتابة والشهادة وسائل إثبات وليست ركن في العقد، ولذا فقد يكون العقد مدون، وقد يكون شفاهه وبدون حضور شهود، ومع ذلك فقد وردت عقود شكلية حسب ما نص عليه تشريع حمورابي، فعقد الوديعة مثلا ينبغي أن يدون وبحضور شهود فالعقد الذي لا يتضمن هذين الشرطين لا تصح بشأنه الدعوى عند انكار المودع، وهذا ما نصت عليه المادة 122 لو أراد احد ان يعطي آخر فضة أو ذهبا أو أي شيء مهما كان نوعه ليحفظها أمانة عنده، عليه أن يحضر شهودا ولو ائتمنه، وتضيف المادة 123 ويبرم عقدا ثم يعطيه الأمانة ليحفظها عنده دون شهود أو عقد ثم نازعه عليه، لا يتخذ بحق المؤتمن لديه أي إجراء، فالراي السائد ان البابليون لم يعرفوا العقد كفكرة مجردة ولكنهم عرفوا أنواع العقود المختلفة ووضعوا لكل منها احكامها كالبيع والايجار الوديعة...الخ .

عقد البيع باعتباره من اهم العقود لم يكن عقدا منشأ للالتزامات بل كان تصرفا فوريا يتضمن تسليم الشيء المبيع ودفع الثمن في الحال، ولا يترك مجالا لقيام أي التزام، فهو عقد رضائي يتم اتفاق الطرفين.

اثار عقد البيع: الأثر الرئيسي لعقد البيع هو انتقال ملكية الشيء المبيع من البائع الى المشتري في مقابل ما دفعه الأخير من ثمن، ويشترط القانون البابلي لانتقال الملكية شرطان:

_1ان يكون البائع مالكا للشيء المبيع ففي البيوع التي تصلها عقار كان يشار الى أصل ملكية البائع وإذا ما كانت قد الت اليه عن طريق الشراء او الإرث، ومن مصلحة المشتري ان يحصل على سند الملكية لكي يستطيع ان يثبت حقه ويدافع عليه.

_2ان يكون البائع اهلا للتصرف والأهلية المطلوبة هنا هي أهلية الأداء أي القدرة على ابرام التصرفات القانونية، اما القواعد المتعلقة بناقصي الاهلية فلم تتناولها شريعة حمورابي حيث انها تحدثت عن الاهلية القانونية والاستثناء هو انهدام الاهلية ومن الأمثلة لانعدام الاهلية التصرف ان الارملة لا تستطيع ان تتصرف بالوصية في الأموال التي حصلت عليها من زوجها الا لاحد الأبناء، كذلك ان الجنود والموظفين لا يستطيعون التصرف في الأراضي التي حصلوا عليها من الملك الا على سبيل الانتفاع فقط دون التصرفات الأخرى الناقلة للملكية.

ضمان الاستحقاق: يترتب على عقد البيع ضمان استحقاق وهو التزام يقع على عاتق البائع بضمان استحقاق الشيء المبيع لأخر، وبالدفاع عن المشتري ضد أي ادعاء من غير بوجود حق له على الشيء المبيع، وهو ما نضمه قانون حمورابي في المواد 9-12 فان استطاع الغير ان يثبت ملكيته للمبيع اعتبر البائع سارقا وعوقب بالموت واسترد الغير ماله والمشتري ماله، اما إذا لم يستطع المشتري ان يثبت عقد البيع عد سارقا وعوقب بالموت، اما إذا لم يستطع الغير الاثبات عد مجرما وعوقب بالموت.

ضمان العيوب الخفية: يترتب على عقد البيع التزام البائع بضمان العيوب الخفية للمبيع وتعطي تلك العيوب للمشتري الحق في فسخ عقد البيع، وقد نص قانون حمورابي صراحة على التزام البائع بضمان العيوب الخفية في عقود البيع الواردة على الرقيق، فالمادة 278 من تقنين حمورابي تعطي لمشتري العبد الحق في فسخ عقد البيع وإعادة العبد لصاحبه، إذا أصاب هذا العبد داء الصرع خلال شهر الثاني للبيع، كما تقضي المادتان 278-279 بان يتحمل البائع ضمان المسؤولية عن الأفعال التي يرتكبها العبد قبل البيع .

عقد الايجار: ان عقد الايجار في بلاد ما بين النهرين يعد عقدا رضائيا يولد التزامات متبادلة على عاتق الطرفين، ولا يخضع لأي إجراءات شكلية فالكتابة هي شرط للإثبات فقط حيث ان الانتفاع بالشيء يكون لاحقا على تحرير العقد، كما ان دفع الأجرة خاصة في الأراضي الزراعية يكون بعد الانتفاع بالشيء بفترة (بعد جني المحصول مثلا)، وعقد الايجار بهذا **المعني أنواع** :

ايجار الأشياء: وهي التي ترد على الأشياء كالعقارات مثل الأراضي والبساتين والمنازل كما ترد أيضا على المنقولات كالحيوانات والسفن، وقد اهتمت شريعة حمورابي بشكل خاص بإيجار الأراضي الزراعية المملوكة للقصر والمعابد والجنود والموظفين عن طريق ايجارها لصغار المزارعين، وقد ميزت النصوص بين نوعين من صور ايجار الأراضي الزراعية، الاجارة العادية التي يلتزم فيها المستأجر بدفع اجرة محددة يتفق عليها وقت التعاقد التي نظمها قانون حمورابي في المواد من 43 الى 47 اذا تعلق الامر بزراعة الحبوب وفي المواد 60 الى 65 اذا انصب العقد على البساتين.

اما الصورة الثانية وهي المزارعة حيث لا يلتزم المستأجر بدفع اجرة محددة سلفا بل يتم اقتسام المحصول بين المؤجر والمستأجر وفق نسبة معينة، فحسب المادة 46 و64 من قانون حمورابي يحصل المستأجر على نصف او ثلث المحصول إذا تعلق الامر بأراض زراعية، وألزمت المادة 42 من نفس القانون المزارع الذي استأجر ارضا ولم يزرعها بان يدفع للمؤجر اجرة مقدرة طبقا لمحصول الأراضي المجاورة، وإذا أهمل المستأجر الأرض ولم يزرعها او أصابها تلف او هلاك، فعليه ان يعوض صاحبها عن الاضرار التي سبّبها له .

ايجار الأشخاص (عقد العمل): هو عقد بين العامل (المؤجر) وصاحب العمل (المستأجر) لمدة محددة نظير اجر معين، وكانت الأجرة تستحق عند حلول الاجل المتفق عليه على ان يدفع جزء منها كمقدم، وهو يخضع من حيث المبدأ لقواعد الايجار بشكل عام، وقد وضع قانون حمورابي حد أدنى لأجور العمال والزراعيين والرعاة وعمال اليومية لحمايتهم من الاستغلال.

عقد القرض: هو عقد يتطلب تسليم المقرض للمقترض كمية من شيء معين على ان يرد الأخير الى الأول كمية مماثلة من نفس الشيء، فهو عقد يرد على الأشياء المثلية أي التي لها مثيل في السوق، والقرض هو من عقود المدة التي تستحق عادة عند جني المحصول، وقد لعبت القروض وعلاقة الدائن بالمدين دورا بارزا في حياة سكان بلاد ما بين النهرين، وتشهد على ذلك كثرة الأوراق والعقود المكتشفة، واحتل موضوع الفوائد حيزا كبيرا من اهتمام المشرع الذي عمل على تحديد نسبة الفائدة، وعقد القرض بهذا المعنى نوعان:

القرض بدون فائدة: وهو الذي يلتزم فيه المقترض برد الشيء كما اقترضه دون فائدة وهو غالبا ما يتم بواسطة المعابد، وترد على كميات ضئيلة من الحبوب او النقود بهدف مساعدة الفقراء او بتحرير اسير او علاج مريض.

القرض بفائدة: هو أكثر صور القرض شيوعا في الحياة العملية لذا نظمه قانون حمورابي حيث وضع حد اعلى لسعر الفائدة يختلف بحسب ما إذا كان محل القرض نقودا او شعير، فاذا كانت نقود فان الحد الأقصى لسعر الفائدة 20% وفي حالة الشعير فانه يتراوح بين 20 و33.%

تضمن قانون حمورابي العديد من الوسائل التي كانت تهدف الى حماية المدين من تعسف الدائن فالمادة 91 تعاقب الدائن الذي يقرض بأعلى من الفائدة القانونية بفقدان حقه في المطالبة بالدين، كما عمل القانون على حماية الفلاحين المثقلين بالديون في حالة الفيضان او الجفاف في تأجيل الوفاء بالدين وفوائده، كما الزم قانون حمورابي الدائن بقبول الوفاء باي نوع من العملة سواء كانت معدنية او شعير، فالمدين الذي اقترض نقودا معدنية يستطيع ان يوفي بديونه في صورة شعير حتى لا يضطر تحت تهديد الدائن الى بيع الشعير باي ثمن للحصول على النقود اللازمة للوفاء.

مع ذلك عمل قانون حمورابي على حماية الائتمان التجاري وذلك بتشديد العقوبات على الأفعال التي من شانها ان تمس بالائتمان والثقة بين الدائن والمدين، حيث اقر جواز استرقاق المدين المعسر او أحد افراد اسرته ليعمل عنده وفق شروط محددة، حيث ينتهي الاسترقاق بمرور ثلاث سنوات او من تاريخ وفاء المدين لدينه وقضى قانون حمورابي أيضا بمعاقبة الدائن الذي يسيء معاملة مدينه .

الهوامش :

عبد المالك سلاطنية واخرون: تاريخ النظم في الحضارات القديمة وأثرها على التشريعات والمواثيق الدولية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 2007، ص35.

2شعيب احمد الحمداني: قانون حمورابي، بيت الحكمة للنشر والترجمة والتوزيع، جامعة بغداد، 1988، ص، 14-16.

3محمد بيومي مهران: حضارة الشرق الأدنى القديم، ج1 الحياة السياسية والاقتصادية والتشريعية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1999، ص433.

4د/ احمد إبراهيم حسين: تاريخ النظم القانونية والاجتماعية، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، 2004، ص63،62.

5ك. ما تفيف، أ. سازونوف: حضارة ما بين النهرين العريقة، ترجمة د/ حنا أدم، دار المجد للنشر والتوزيع، دمشق، 1991، ص147، 148.

6د/ احمد إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص64 .

7د/ صوفي حسن أبو طالب، د/ جمال محمود عبد العزيز: تاريخ النظم القانونية والاجتماعية، التاريخ العام للقانون_ تكوين الشرائع السامية (القانون الفرعوني، القانون البابلي، الشريعة اليهودية)، مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح، القاهرة، 1998، ص295.

8عبد المالك سلاطنية: مرجع سابق، ص83.

9د/ عبد الحكيم الذنون: التشريعات البابلية، ط2، دار علاء الدين، دمشق، 1999، ص33.

10د/ احمد إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص69.

11د/ عبد المجيد الحفناوي: أصول تاريخ القانون، الإسكندرية، دون دار نشر، دون سنة نشر، ص181.

12حسن محي الدين السعدي: تاريخ الشرق الأدنى القديم، ج2، العراق، إيران، اسيا الصغرى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005، ص134

13د/ محمود السقا: احمد إبراهيم حسن، ص157. موسوعة الآثار التاريخية / حسين فهد، عمان: دار أسامة للنشر، 2003، ص 245 – 247.

4د/ احمد إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص157.

15د/ صوفي حسن أبو طالب، جمال محمود عبد العزيز: مرجع سابق، ص299.

16هورست كلينكل: حمورابي وعصره، ترجمة، وحيد خياطة، ط1، دار المنارة، دمشق، 1990، ص96.

17عبد الحكيم الذنون: مرجع سابق، التشريعات البابلية ص93.

18د/ احمد إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص203.

19طارق كامل: الشرائع المكتوبة بالمسمارية، المركز العربي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 2005، بغداد، ص3.

20د/ صوفي حسن أبو طالب، د/ جمال محمود عبد العزيز: مرجع سابق، ص316.

21عيسى اليازجي: نظام العائلة في تشريع حمورابي، http : www Marmarita.com

22سهيل قاشا: المرأة في شريعة حمورابي، منشورات مكتبة بسام، بغداد، 1984، ص92.

23ثلمستيان عقرواي: المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، 1978، ص129.

24سامي البدري: محاضرة بعنوان دراسة تحليلية لمواد التشريع مؤشراً لإعادة تركيب الحياة الاجتماعية–الاقتصادية في المجتمع البابلي، مركز الإمام الصادق، بغداد، 2006، ص14.

25الاب سهيل قاشا: شريعة حمورابي، ترجمة محمود الأمين، ط1، دار الورق للنشر والتوزيع، لندن، 2007، ص42–52.

26د/ احمد إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص498.

27د/ صوفي حسن أبو طالب، د/ جمال محمود عبد العزيز: مرجع سابق، ص، ص 229–231.

28د/ احمد إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص500.

29شعيب احمد الحمداني: قانون حمورابي، المكتبة الوطنية، بغداد، 1989، ص129

30المرجع نفسه، ص 133.

31د/ احمد إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص، ص533، 534.

32المرجع نفسه، ص534.

33شعيب احمد الحمداني: مرجع سابق، ص136.

34هورست كلينكل: مرجع سابق، ص211.

35د/ صوفي حسن أبو طالب، د/ جمال محمود عبد العزيز: مرجع سابق، ص338–339.

دور مواقع التواصل الاجتماعي في الحملات الانتخابية بالجزائر

أ.عبو فوزية

جامعة مستغانم

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص:

ترجع أهمية إعداد هذه الورقة البحثية حول موضوع مواقع التواصل الاجتماعي الى كونها أصبحت جزءا من حياتنا ، و أنها من البحوث التي تعنى بموضوعات العصر ، فهي وسيلة للتواصل و مسرحا لتبادل الأفكار و الآراء و عرض القضايا الراهنة محلا للنقاش ، و محاولة التغيير و التجديد وفق متطلبات الواقع الاجتماعي و السياسي و الثقافي و حتى الديني ، فقد أصبح التواصل عبر هذه المواقع ضرورة لا غنى عنها، بحيث سنحاول من خلال هذه الدراسة الى معالجة موضوع هذه المنصات الالكترونية أو مواقع التواصل الاجتماعي في عملية التسويق للحملات الانتخابية و دورها أيضا في دفع الشباب الى الممارسة السياسية.

Abstract

The importance of preparing this paper on the topic of social networking sites dating back to becoming a part of our lives, and it is from research that deal with themes of the times, they are a means of communication and the scene of the exchange of ideas and opinions and offer current issues subject to discussion, and try to change and renewal in accordance with the requirements of social reality and the political, cultural and even religious, communication has become over these sites indispensable, so we will try through this study to address the issue of this electronic platforms or social networking sites in the marketing of election campaigns and its operation also in pushing young people to practice political.

الاشكالية:

أحدثت التطورات التكنولوجية الحديثة في منتصف عقد التسعينيات من القرن الماضي ،نقلة نوعية و ثورة حقيقية في عالم الاتصال ، حيث انتشرت شبكة الانترنت في كافة أرجاء المعمورة ،و ربطت أجزاء هذا العالم المترامية بفضائها الواسع ،و مهدت الطريق لكافة المجتمعات للتقارب و التعارف و تبادل الآراء و الأفكار و الرغبات ،و استفاد كل متصفح لهذه الشبكة من الوسائط المتعددة المتاحة فيها، و أصبحت أفضل وسيلة لتحقيق التواصل بين الأفراد و الجماعات ،و لعل ما ميز هذا التطور انتشار مواقع التواصل الاجتماعي مما شجع متصفحي الانترنت من كافة أنحاء العالم على الإقبال المتزايد عليها ،ساهم بشكل كبير الى خلق فضاءات للتحاور و النقاش حول مواضيع عديدة ،لعل أبرزها النقاشات السياسية خلال فترة الانتخابات بحيث أضحت مواقع التواصل الاجتماعي المرأة العاكسة للبيئة السياسية و حلبة للصراعات والتفاعلات على الصعيد السياسي، وبدون هذه الوسائل لا يستطيع أفراد المجتمع خارج الحلقة السياسية الإطلاع على مجريات الأحداث السياسية،بحيث عمد المرشحون للانتخابات و رؤساء الأحزاب على فتح صفحات و حسابات عبر هذه المواقع من اجل التسويق لبرامجهم الانتخابية مستعملين وسائل و أساليب اقناعية عديد من خلال استهداف أفكارهم عن طريق غرس معلومات وقيم و ممارسات يستطيع من خلالها الفرد تكوين مواقفه و اتجاهاته الفكرية و الإيديولوجية التي تؤثر في سلوكه السياسي و ذلك من اجل تشكيل رأي عام و جمع اكبر قدر من الأنصار،و عليه يمكن طرح الإشكال التالي:

ما هو دور مواقع التواصل الاجتماعي في الحملات الانتخابية؟

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية هذا البحث في دراسة البعد السياسي لشبكات التواصل الاجتماعي ،و إشكالية التسويق السياسي أثناء الحملات الانتخابية و البحث في استراتجيات بنائها ، و محاولة إثراء مجال الاتصال السياسي بالبحوث العلمية إذ تقل هذه

الدراسات التي تخص مسألة الانتخابات السياسية و يعود ذلك الى حساسية الظاهرة السياسية و خطورتها إذ لا يزال النظام السياسي يرفض حتى بعد التعددية السياسية و الإعلامية ،الدراسات العلمية الجادة لها و يميل الى التفسيرات الإيديولوجية .

ضبط لمفاهيم الدراسة:

1_تعريف الإعلام الجديد: (new information)

لابد من الاعتراف هنا بصعوبة تقديم محدد للإعلام الجديد ،فعلى الرغم من ثرائه التقني و أهميته السياسية و الاقتصادية و الثقافية ، مازال تنظيره تائها بين علوم الإنسانيات و نظريات المعلومات و الاتصالات ، و ما يقدمه هذا البحث في محاولة متواضعة في هذا المجال .

بداية يمكننا القول: أن الإعلام الجديد هو إعلام عصر المعلومات، فقد كان وليدا لتزاوج ظاهرتين بارزتين عرف بهما هذا العصر ظاهرة تفجر المعلومات و ظاهرة الاتصالات عن بعد

و الإعلام الجديد يعتمد على استخدام الكمبيوتر و الاتصالات عن بعد في إنتاج المعلومات ، و التسلية و تخزينها و توزيعها ، هذه الخاصية و هي عملية توفير مصادر المعلومات و التسلية لعموم الناس بشكل ميسر بأسعار منخفضة هي في الواقع خاصية مشتركة بين الإعلام القديم و الجديد ، الفرق هو أن الإعلام الجديد قادر على إضافة خاصية جديدة لا يوفرها الإعلام القديم و هي التفاعل ، و التفاعل هو قدرة وسائل الاتصال الجديدة على الاستجابة لحديث المستخدم تماما كما يحدث في عملية المحادثة شخصين ، أضافت بعدا جديدا مهما الى أنماط وسائل الإعلام الجماهيري الحالية التي تتكون في العادة من منتجات ذات اتجاه واحد يتم إصدارها من مصدر مركزي مثل الصحيفة أو قناة التلفاز أو الراديو الى المستهلك مع إمكانية اختيار مصادر المعلومات و التسلية متى أرادها و بالشكل الذي يريده .

يتميز الإعلام الجديد أيضا بتنوع وسائله و سهوله استخدامها، و هذه الخصائص غيرت من ثم أنماط السلوك الخاصة بوسائل الاتصال.

2_الإعلام البديل: هو مصطلح ظهر فعليا مع نهاية القرن العشرين و بداية القرن الحادي و العشرين بسبب ظهور وسائل إعلامية الكترونية متقدمة جدا قادرة على ربط الناس في كل الظروف و الأحوال بالمعلومة ، و تقوم هذه الفلسفة على مبدأ استغلال بين الوسائل المحسوبة و الشبكات الالكترونية و تكنولوجيا الاتصالات المتقدمة للوصول الى اكبر عدد ممكن من الجمهور المهتم بالمعلومة التي تقدمها مؤسسة الإعلام بأقل تكلفة و اقصر طريقة و أسرع نقل للمعلومة زمنيا .

و جاءت كلمة جديد لتصف هذا الإعلام عاكسة استخدامه لوسائل الاتصال الحديثة و على رأسها جهاز الحاسوب " أو تطبيقاته" و كذلك فلسفة الحوسبة بشكل عام المطبقة مثلا على الجهاز الخلوي ، و يركز كثيرا من المفكرين أن هذه الكلمة يجب أن تعكس ما هو ابعد من ذلك من حيث متابعة الجديد فيما يطلبه الجمهور حسب قسم الإعلام الذي تمثله المؤسسة ، مثلا إعجاب الجمهور برؤية أجمل هدف في الأسبوع في مجال الإعلام الرياضي ، وكذلك التواجد في أماكن تواجه الجمهور لتسهيل وصول المعلومة إليهم مثل شبكات التواصل الاجتماعي .

3_شبكات التواصل الاجتماعية : الشبكات الاجتماعية هي عبارة عن مواقع ويب ،تقدم مجموعة من الخدمات للمستخدمين مثل المحادثة الفورية ، و الرسائل الخاصة و البريد الالكتروني ، و الفيديو و التدوين و مشاركة الملفات و غيرها ، حيث يعتبر هذا المفهوم من أهم المفاهيم المرتبطة بالانترنت و المجتمع الافتراضي التي ذاع صيتها في السنوات الأخيرة و تتعدد تعريفاتها من باحث الى آخر حيث يعرفها "بالاس" :" على أنها برنامج يستخدم لبناء مجتمعات على شبكة الإنترنت أين يمكن للأفراد أن يتصلوا بعضهم البعض للعديد من الأسباب المتنوعة " و من الواضح أن تلك الشبكات الاجتماعية قد

أعادت رسم خارطة العلاقات الاجتماعية و أحدثت تغييرا كبيرا في أنماط الاتصال و المشاركة بين الأشخاص و المجتمعات و تبادل المعلومات ، و تجمع هذه الشبكات الملايين من المستخدمين .

حيث عرفها "باركر" على أنها عبارة عن أفراد و جماعات تربطهم روابط مشتركة سواء ثقافية، اجتماعية ، جغرافية، أو وظائف مماثلة. أوهي مصطلح يطلق على مجموعة من المواقع على شبكة الإنترنت ظهرت مع الجيل الثاني للويب ، تتيح التواصل بين الأفراد في بيئة مجتمع افتراضي يجمعهم حسب مجموعات اهتمام أو شبكات انتماء ، كل هذا يتم عن طريق خدمات التواصل المباشر مثل إرسال الرسائل أو الإطلاع على الملفات الشخصية للآخرين و معرفة أخبارهم و معلوماتهم التي يتيحونها للعرض .

تعرف كذلك بأنها عبارة عن مواقع اكتسبت صفة مواقع الشبكة الاجتماعية ، التي تجمع بين العديد من أدوات الانترنت المختلفة ، و ذات شعبية كبيرة ، و على سبيل المثال شبكة الفايس بوك تعمل كأداة للاتصال الشخصي التفاعلي الذاتي مثل ما يعرف ب BLOG أو موقع على شبكة الإنترنت الشخصية، يتيح خدمة الرسائل الفورية ، و يمكن استخدامه كمنتدى للنقاش.

و من خلال التعريفات السابقة يمكن تحديد المفهوم الإجرائي للشبكات الاجتماعية عل أنها:

هي ظاهرة اجتماعية حديثة تقوم على علاقات تفاعلية، بواسطة الاتصال الرقمي التفاعلي، يتم من خلالها التفاعل بين طرفين أو عدة أطراف، و هي هيكل ديناميكي لجماعة اجتماعية تتواصل عن طريق مجتمع رمزي افتراضي.

4_موقع الفيس بوك :هو شبكة اجتماعية على الانترنت، تتيح لمستخدميها إدخال بياناتهم الشخصية و مشاركتها مع بقية مستخدمي الموقع ، وتتعلق هذه البيانات بالحالة الاجتماعية، الدراسات، الاهتمامات ، ووضع هذه البيانات في الموقع يتيح إيجاد أصدقاء ، تمهيد لإنشاء مجموعات و دعوة بقية مستعملي الموقع للانضمام إليها و البقاء على اتصال بهم من خلال مشاركتهم الملفات المكتوبة ، الصور و الفيديو ،و يعرف كذلك على أنه موقع ويب للتواصل الاجتماعي يمكن الدخول إليه مجانا و تديره شركة "الفيس بوك" محدودة المسؤولية كملكية خاصة لها فالمستخدمون بإمكانهم الانضمام الى الشبكات التي تنظمها المدينة ، أو جهة العمل ، كما يمكنهم إضافة أصدقاء إرسال رسائل تحديث ملفاتهم الشخصية و تعريف الأصدقاء بأنفسهم .

و يعرفه عباس مصطفى صادق :" على أنه واحد من أهم مواقع التشبيك الاجتماعي و هو لا يمثل منتدى اجتماعي فقط و إنما أصبح قاعدة تكنولوجية سهلة بإمكان أي شخص أن يفعل بواسطتها ما يشاء"

5_المجتمع الافتراضي: ظهرت المجتمعات الافتراضية على الخط في بداياتها بفعل احتياجات التعليم و استخدام تكنولوجيات الحاسوب و الاتصالات الرقمية منذ منتصف الثمانينات ،ثم انبثقت بعد ذلك ما عرف بالمجتمعات الشبكية مع تقريبا أوائل التسعينات حيث تطورت في شكل جماعات معروفة من مستخدمي الانترنت تشترك في الخصائص و الحاجيات و المهارات ، ثم انتشرت هذه المجتمعات الرقمية بانتشار التكنولوجيا و يعرفها قاموس الإعلام و الاتصال على أنها"مجموعة من الأشخاص يتفاعلون في الانترنت ، مثل غرف الدردشة و يتبادلون الاهتمام أما سيرج بروكس :" يعرفها على أنها مجموعة أفراد يستخدمون منتديات المحادثة،حلقات النقاش أو مجموعات الحوار..... و الذي تنشأ بينهم علاقة انتماء الى جماعة واحدة ، و يتقاسمون نفس الأذواق القيم الاهتمامات و لهم أهداف مشتركة" و يعرفها بسيوني إبراهيم حمادة "على أنها تجمعات اجتماعية ظهرت على شبكة الانترنت ، في ضوء ثورة الاتصالات الحديثة ، تجمع بين ذوي الاهتمامات المشتركة ، يتواصلون فيما بينهم ، و يشعرون كأنهم في مجتمع حقيقي."

أولا: الانتخاب:

قبل أن نتطرق الى تحديد مفهوم الانتخابات من الناحية الاصطلاحية و الإجرائية لابد الإشارة الى استعمالات هذه الكلمة قديما ، بحيث ترجع اصل كلمة الانتخابات الى اللغة الانجليزية "to vote" و ذلك سنة 1702، و أكثر قِدما الى اللاتينية "votum" و لهما نفس المعنى و هو القيام بوعود للإله، و في القرن الخامس عشر اقترب مصطلح معنى الانتخابات من التشاور، و مع بداية القرن السابع عشر اخذ المصطلح معنى "قرار مأخوذ من طرف تجمع تعبيرا عن التصويت" و مع الفقيهfuritiére في سنة 1690 عرف الانتخاب معنى الاقتراع.

بحيث يعرف الانتخاب بأنه اختيار شخص أو أكثر من بين عدد من المرشحين من طرف مجموعة من الأفراد لتمثيلهم في حكم البلاد. و يعرفه الفقه الفرنسي بأنه حق الاختيار على نحو تتسابق فيه الإرادات المؤهلة لتلك الممارسة و يضيف الفقه الدستوري الى الانتخاب وصف "السياسي" الذي يعبر فيه الناخبون عن السيادة التشريعية الوطنية و يشمل الانتخاب السياسي رئيس الدولة و الانتخابات التشريعية و الاستفتاءات.

_الحملة الانتخابية:

عرف "دنيس ماكسويل" الحملة الانتخابية بأنها : جهود اتصالية تمتد الى مدة زمنية، و تستند الى سلوك مؤسسي أو جمعي يكون متوافقا مع المعايير و القيم السائدة، بهدف توجيه و تدعيم، و تحفيز اتجاهات الجمهور نحو أهداف مقبولة اجتماعيا مثل التصويت."

أما بيسلي "Paislly" يرى أن الحملات الانتخابية هي نشاطات مقصودة للتأثير في معتقدات و اتجاهات و سلوك الآخرين، عن طريق استخدام أساليب استمالة إعلامية، تؤثر في الجمهور، و أن مفهوم إعادة التشكيل يعد أهم السمات التي تميزها بوصفها نشاطا اتصاليا، سواء كان على مستوى البناء الاجتماعي، أو على مستوى الحياة الفردية. و يمكن أن نقول بأنها مجموعة من الأعمال التي يقوم بها الحزب أو المرشح بغرض إعطاء صورة حسنة للجماهير و الناخبين عن سياسته و أهدافه، و محاولة التأثير فيهم بكل الوسائل و الإمكانيات المتاحة، من خلال قنوات الاتصال الجماهيري و ذلك بقصد تحقيق الفوز في الانتخابات.

إذا الحملة الانتخابية عملية تواصلية، الهدف منها تقديم مرشح يطمح لتولي منصب في الحكومة أو البرلمان أو في موقع من مواقع التدبير المحلي للشأن العام و تعريف الناخبين به و كفاءته على التصويت لصالحه، بحيث تجري الحملة الانتخابية داخل مساحة زمنية محددة ينص عليها القانون، تبدأ في بعض الأنظمة مباشرة عقب فتح لائحة الترشيحات، بينما في أنظمة أخرى لا تبدأ إلا بعد الانتهاء من وضع التصريحات بالترشح، و في كلتا الحالتين تمتد مدة الحملة الى غاية الليلة السابقة على اليوم المحدد للاقتراع .

و تمنع القوانين الانتخابية التجمعات السياسية و حملات الدعاية خارج المدة القانونية المخصصة لأنشطة الحملة و هي في الغالب، تتراوح بين أسبوعين و ثلاث أسابيع (و في أحيان قليلة تتجاوز ذلك)، حيث يراعي في طولها و قصرها القدر الذي يبدو للمشرع انه كاف للمرشحين و الأحزاب السياسية لمخاطبة الناخبين.

_مراحل التخطيط للحملة الانتخابية:

حتى تنجح الحملات الانتخابية و تصبح البداية الحقيقية لتحقيق الفوز في الانتخابات لابد من تحديد خطوات وجب على المرشح أن يعمل بها و التي تخص الناخبين، و العمل بهذه الخطوات و تطبيقها على ارض الواقع لابد من مراعاة بعض المؤشرات الخاصة بالأفراد من بينها الجانب الاجتماعي و السياسي و الاقتصادي و الثقافي الذي يعيش فيه الناخب ، و لتحديد هذه المؤشرات و معرفتها يتطلب على المرشح أن يقوم بدراسات مسبقة ومعمقة عن الناخبين الذين يود تقديم لهم برنامجه الانتخابي،و نحدد هذه المراحل في المخطط التالي:

ثانيا: دور وسائل الاتصال القديمة و الحديثة في العملية السياسية:

إن الدراسات العلمية التي أجراها العلماء و الباحثون حول وسائل الاتصال(التقليدية) في المجال السياسي و النتائج التي توصلوا إليها، ما هي إلا انطلاقة جديدة لإعادة النظر في دراسات تبحث عن دور و اثر وسائل الاتصال الجديدة التي تزامن ظهورها مع الانفجار التكنولوجي في مجال علوم الإعلام و الاتصال و انعكاساته على العلوم الأخرى لاسيما المجال السياسي منها.

و تعتبر الدراسات التي ظهرت مؤخرا في هذا المجال قليلة مقارنة بالدراسات السابقة التي عنيت بوسائل الاتصال التقليدية ، و لهذا سنحاول من خلال هذا العنصر محاولة رصد أراء الباحثين حول علاقة وسائل الاتصال الحديثة المتمثلة في الإعلام الجديد بعلم السياسة بعدما نشير الى أهم ما توصل إليه الباحثون عن الوسائل القديمة لتكون بذلك تكملة و انطلاقة جديدة لدراسات أخرى.

إن الحديث عن الاتصال و انتقال المعلومات يدفعنا الى العودة لقراءات العالم كارل دويتش الذي اعتبر أن التدفق المستمر للمعلومات يشكل شبكات اتصالية، و التي تمثل أي نظام يمكن وصفه بدرجة معينة من التنظيم و الاتصال و التحكم، بغض النظر عن العمليات الخاصة بنقل الرسائل سواء تمت عن طريق الكلمات كما يحدث بين الأفراد في التنظيم الاجتماعي أو خلال العصب و الهرمونات في الجسم الحي ، أو تمت عن طريق الإشارات الالكترونية.

فلكي يحقق طرف ما سواء(الحكومة أو الأحزاب التي تسعى للوصول الى مكان الحكومة) زيادة في مستوى التأثير على الرأي العام فهو بالضرورة بحاجة لعملية اتصال فكرية تبادلية مع البيئة المكونة لرأي العام، أي مع الجماهير و هذه العملية هي ما يمكن أن نسميه عملية الاتصال السياسي ، و العلاقة بين العملية الاتصالية و العملية السياسية هي علاقة وثيقة للغاية فكلا النظامين يتأثر بالأخر و يؤثر فيه، و إن كان حجم التأثير الذي يمارسه النظام السياسي على نظام الاتصال في البلدان النامية اكبر من تأثير نظام الاتصال على نظام السياسي الذي يرتبط بالسمات الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية.

فوسائل الاتصال تلعب دورا هاما في العملية السياسية بحيث أكد ماكلويد أن ثمة علاقة ارتباط بين التطور الضخم لوسائل الاتصال الجماهيري و بين المعرفة السياسية، حيث ترى معظم الدراسات أن الاتصال ليس مجرد وظيفة للنظم السياسية و الثقافية و الاجتماعية و غيرها إنما هو في الأساس على حد تعبير ولبر شرام المادة التي تتكون منها العلاقات الإنسانية و من هنا يصبح لوسائل الاتصال الجماهيري دور وظيفي في إطار العملية السياسية و الاجتماعية.

فلهذا اهتم علماء السياسة و الاتصال السياسي و الاجتماع السياسي بدراسة التفاعل بين الاتصال و النظام السياسي و العملية السياسية بصفة عامة، و أكدوا على أهمية العلاقة الجوهرية بينهما، فنظام الاتصال هو إحدى القنوات الرئيسية لتدفق المعلومات من النخبة السياسية الى الجماهير و كذا نقل مشاكل و طموحات الجماهير و تصوراتهم الى النخبة.

أما عن الدراسات و البحوث الحديثة التي اهتمت بدراسة وسائل الاتصال الجديدة و علاقتها بالجانب السياسي نجد المدخل الذي وضعه نيغروبونتي لفهم الإعلام الجديد بحيث يرى أن الميزة الأكثر أهمية التي يتصف بها هذا النوع الجديد هي أن الإعلام خرج من اسر السلطة التي كانت تتمثل في قادة المجتمع و القبيلة، الكنيسة و الدولة الى أيدي الناس جميعا، و قد تحقق هذا جزئيا عند ظهور مطبعة جوتنبرغ وتحقق أيضا عند ظهور التلغراف و اخذ سمته الكاملة بظهور الانترنت التي جاءت بتطبيق غير مسبوق و حققت نموذج الاتصال الجمعي بين كل الناس.

أما نموذج كروسبي فهو يرى أن الإعلام الجديد يمتلك ميزات فريدة مقارنة بالإعلام التقليدي و تتمثل في :

_الرسائل الفردية يمكن أن تصل في وقت واحد الى عدد غير محدود من البشر.

_ أن كل واحد من هؤلاء البشر له نفس درجة السلطة و نفس درجة الإسهام المتبادل في هذه الرسالة، فلا يوجد ما يمنع أي احد من إبلاغ رسالة معينة و التواصل مع شخص أخر، كما لا يمكن منع أي شخص من إبلاغ رسالة لجموع من الناس و تخصيص محتوى الرسالة لكل فرد على حدة.

قد تم تحديد مداخل الإعلام الجديد بالاعتماد على نموذج ماكويل الذي قدمه عن طريق منظمة اليونسكو عام 1993 تحت اسم نموذج (الإعلام الديمقراطي) و الذي يقترح هذا النموذج أن لكل مجموعات المجتمع الحق في مدخل لوسائل الإعلام و اختيار وسائل إعلام خاصة بعيدة عن السوق و الدولة و على حق المجتمعات و المنظمات المحلية في أن يكون لها الحق في الإعلام الخاص بها .

و يؤكد ماكويل أن هذا النوع من وسائل الإعلام يتسم بتشجيع المشاركة النشطة من جانب أفراد المجتمع و فشل الإعلام الجماهيري في تلبية احتياجات الجماهير و فشلها في إعطاء فرصة للتعبير للأفراد أو الأقليات هي النقطة التي يبدأ فيها الإعلام البديل الذي يعد إعلاما ديمقراطيا مشاركا و تمتد هذه المواصفات على كافة أشكال الإعلام و وسائله فلا يقتصر الإعلام البديل على وسيلة بعينها و إنما يمكن أن يتواجد في الوسائل المطبوعة (صحف ،مجلات ،نشرات) و المسموعة و المرئية مثل (الراديو و التلفزيون و الانترنت) فيرتكز هذا النموذج على أن إذا توفرت صفتان هما المشاركة و إتاحة الفرصة في حرية التعبير و الرأي فإن هذا هو أساس الإعلام الجديد.

ثالثا: دور مواقع التواصل الاجتماعي في الحملات الانتخابية بالجزائر:

تعتبر الانتخابات إحدى الآليات الناجعة لتحقيق الديمقراطية و تكريس دولة القانون، و هذا من خلال إمكانية مشاركة المواطنين في اختيار ممثليهم، وإسهامهم بصورة واضحة في تسيير السياسة العامة للدولة، كون الانتخابات مرادف للحرية و التعددية، و يفترض بأنها الطريقة الأساسية لمشاركة المواطنين في اتخاذ القرار.

و يعتبر جون ماري كوتري أن الانتخابات أصبحت تعد تجمعا اتصاليا، تتم من خلاله المواجهة العلنية الحقيقية بين الحاكم و المحكوم في المجتمع الديمقراطي التعددي مثل المجتمع الجزائري بعد دستور 23 فيراير 1989، حيث تخصص في الفترة التي تسبق الانتخابات فضاءات لتبادل الاتصال بين المواطنين و المرشحين، يعرض فيها هؤلاء برامجهم على الناخبين عبر مختلف وسائل الاتصال المتاحة، و انطلاقا من هذه الخيارات يستطيع الناخب اتخاذ قرار المشاركة الانتخابية، و اختيار المرشح أو الحزب الذي يرى أن برنامجه يتوافق وتوجهاته الأساسية.

فإذا كانت الانتخابات تمثل مرحلة واحدة من الاتصال السياسي و هي مرحلة العودة (الاتجاه الصاعد)، فان ذلك يعني انه بإمكانها أن تكون وسيلة للناخبين من اجل سماع أصواتهم و للإجابة على سياسة يقوم بها فريق معين موجود في السلطة أو في الأجهزة الحكومية و الإدارية، فهي إذن تلك اللحظة التي يواجه فيها مجموعة من الحكام المحكومين في حوار حقيقي و مفتوح.

و في الجزائر و بالرغم من أنها دخلت عهد التعددية الحزبية انطلاقا من دستور 1989، إلا انه لم يكرس من خلاله هذا المبدأ و لم يحدث ذلك إلا في ظل التعديل الدستوري لسنة 1996 الذي جسده في مادته 23 منها بقوله" عدم تحيز الإدارة يضمنه القانون".

ساهمت الحرية المتاحة عبر الانترنت عامة و مواقع التواصل الاجتماعي خاصة، في التأثير على الدعاية الانتخابية من حيث التنوع و الانفتاح و الابتكار بحيث خلقت هذه الوسائل حراكا سياسيا غير عادي، و رفعت سقف الحرية الى مستويات غير مسبوقة، كما أثرت مواقع التواصل الاجتماعي كالفايس بوك و اليوتيوب و التويتر في الرأي العام، و ساعدت على تشكيله و صناعته افتراضيا لتتجسد ردود أفعاله في الواقع الحقيقي، و المميز في هذه الوسائل الحديثة هو غياب لمقص حارس البوابة ليفتح المجال بذلك لكل الفئات العمرية قصد التعبير عن مواقفها و أرائها تجاه المواضيع و القضايا السياسية، فيما اعتبر العديد

من الباحثين أن هذه الوسائط الجديدة أصبحت لها القدرة على تغطية الأحداث بشكل موسع ، أما آخرون فاعتبروها المحرك الأساسي لمختلف الأحداث السياسية من خلال الجذب و الحشد و التعبئة أثناء الحملات الانتخابية.

فرضت مواقع التواصل الاجتماعي نفسها بقوة من خلال فتح المجال لتناول مفهوم الدعاية الانتخابية في الجزائر و التي ساعدت المرشحين على التنافس في كسب المؤيدين و جذبهم الى صفوفهم.

فتحت هذه الوسائط الجديدة المجال لكافة شرائح المجتمع الجزائري للتعبير بآرائهم و تقديم أفكارهم و انتقاد البرامج الانتخابية المعروضة، و من بين هذه الشرائح نجد فئة الشباب الذين كانوا مهمشين طيلة سنوات ، بحيث كانت الممارسة السياسية تقتصر على الشيوخ بينما هي حكرا على الشرائح الأخرى.

تعتبر هذه الوسائط الجديدة كآليات أساسية من آليات الاتصال السياسي بحيث نجحت الكثير من الأحزاب في كسب ثقة مستعملي هذه المواقع من خلال تقديمها لخدمات متعددة تروج و تسوق لمنتجها السياسي و أحيانا تنتهي بانضمام العديد من الشباب الى هذه الأحزاب.

إن تعدد و تنوع مواقع التواصل الاجتماعي دفع بمستخدميها الفعليين و المتصفحين من السياسيين(مرشحين، رؤساء أحزاب....) الى إنشاء صفحات إعلانية و تسويقية خاصة للامساك بزمام المبادرة و الحصول على موطئ قدم تنافسي في هذه الأسواق السياسية عبر الوطن، خاصة و أن التقنيات الحديثة المتوفرة تسمح بقياس فاعلية و اثر هذه الحملات في استقطاب الناخبين.

و قد استغل معدوا الحملات الانتخابية ميزات مواقع التواصل الاجتماعي و المتمثلة في خاصية الفيديو و الصوت و الصورة و النص و أصبحوا يقومون بنشر كل النشاطات و التظاهرات التي ينظمها رؤساء الأحزاب و كذلك البرامج الانتخابية بالنسبة للمرشحين بحيث بلغ استخدام الفيديو و الصور نسب عالية جدا، و ذلك يرجع الى ميزة هذا النوع من الوسائط في التأثير على المتلقي و دفعه الى المشاركة و الممارسة أحيانا.

و نجد من الميزات الايجابية لهذه المواقع هو أنها تفتح جسر التواصل بين المرشح و الناخب و بذلك الوصول الى المواطن و اختصار الزمن و المسافة و تكون في هذه الحالة علاقة تأثير و تأثر في نفس الوقت أي أن المرشح يؤثر في الناخب من خلال تقديم برنامجه الانتخابي و دفعه الى المشاركة و كذلك يؤثر الناخب في المرشح عندما يتعلق الأمر في إبداء رأيه حول المنتج السياسي و الذي سيدفع بالمرشح في الأخير الى التعديل من سياساته الانتخابية و الدعائية.

خلاصة:

و في الأخير يمكن القول أن مواقع التواصل الاجتماعي و على أنواعها، قد لعبت دورا بارزا في الحملات الانتخابية ،لما تمتلكه من ميزات و خصائص،لعل أهمها الغياب الكلي لمقص الرقابة و خلق التفاعلية بين المرسل و المستقبل ،حيث نجد أن هذه المواقع الحديثة قد فتحت المجال لكل الفئات العمرية خاصة منها فئة الشباب قصد دفعهم الى المشاركة السياسية و تبني فعل الممارسة، و السماح بالتعبير و تقديم أراء و أفكار و أحيانا اقتراحات للمرشحين و رؤساء الأحزاب، على غرار الإعلام التقليدي الذي كان يعمل فقط على نقل المعلومة و الأخبار في ظل الغياب الكلي للتفاعل مع هذا النوع من الأخبار (سياسية) التي كان ينفر منها المشاهد لأسباب عديدة أهمها انعدام الثقة حول هذا المنتج السياسي،و بالتالي فمواقع التواصل الاجتماعي غيرت تلك النظرة بالنسبة للجماهير التي أصبحت تتعامل مع هذه الأفكار و تقدم البدائل أحيانا.

قائمة المراجع:

1. عبد الحسيب ، محمد تيمور ،وعلم الين محمود ،الكمبيوترات و تكنولوجيا الاتصال ،القاهرة دار الشروق ،ص 195_207.
2. محمد عواد ، مدخل الإعلام الجديد ، إشراف فكرة تأملات في الحياة و الفكر و الإدارة ، ص 15

3. أحمد أمين فورار:موقع الفايسبوك و الشباب العربي الاستخدامات و الاشباعات،:الشباب و الاتصال و الميديا،أشغال ملتقى دولي،معهد الصحافة و علوم الأخبار،مطبعة سانباكت،تونس 2010،ص326

4. مريم نومار نريمان :استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية و تأثيره في العلاقات الاجتماعية، رسالة ماجستير،غير منشورة،جامعة باتنة،2011-2012، الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية،قسم الإعلام و الاتصال ،ص 44

5. بسمه اللدعة، ندى الخزندار: استخدامات الشبكات الاجتماعية في الإعلان،بحث مقدم لاستكمال درجة باكالوريوس في الصحافة و الإعلام،الجامعة الإسلامية، غزة ،قسم صحافة و الإعلام،38،2011.

6. عباس مصطفى صادق: الإعلام الجديد المفاهيم و الوسائل و التطبيقات، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان،2008،ص218

7. بايسوف مسعودة: الهوية الافتراضية:الخصائص و الأبعاد، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية،جامعة قاصدي مرباح، ورقلة الجزائر ،ص469

8. بسيوني إبراهيم حمادة: حرية الإعلام الالكتروني الدولي و سيادة الدولة، مع إشارة خاصة الى الوضع في الدول النامية،مركز دراسات و بحوث الدول النامية،القاهرة،2001،ص34

9. Oliver, Ihl, le vote, 2éme éd, montreschestien, paris, 2000, p 115.

10. احمد رشاد يحي الرصاص:" النظام الانتخابي في الجمهورية اليمنية: دراسة مقارنة"، أطروحة دكتوراه، جامعة عين شمس، القاهرة، 1995، ص 36.

11. محمد عبد اللطيف:" إجراءات القضاء الدستوري"، دار النهضة العربية، القاهرة، 1989، ص. 85

12. زكريا بن صغير:" الحملات الانتخابية مفهومها وسائلها و أساليبها"، دار الخلدونية للنشر و التوزيع، الجزائر، 2004 ،ص 11.

13. محمد بن سعود البشر:" مقدمة في الاتصال السياسي"، مكتبة العبيكان، السعودية، 1997، ص 108.

14. عبد الوهاب الكيالي: "الموسوعة السياسية"، المؤسسة العربية للدراسات، لبنان، 1997، ص 270.

15. عبد الإله بوحمالة:" الحملة الانتخابية: فعل ديمقراطي بأدوات تواصلية "، مجلة الحوار المتمدن، العدد 1769، 19_12_2009.

16. يشير في هذا الصدد العالم جبرائيل ألموند و الذي اهتم في تحديد موقع نظم الاتصال في النظام السياسي و شبه الوظيفة الاتصالية بالدورة الدموية : فيقول أن الاتصال يشبه الدم في قيامه بوظائفه و الاهتمام هنا لا ينصرف الى الدم في حد ذاته أي لا ينصب على الاتصال ذاته، و لكنه يتجه نحو ما يحمله الدم و ما يتضمنه من تغذية لكل النظام.

17. عزيزة عبده:" الإعلام السياسي و الرأي العام: دراسة في ترتيب الأولويات"، دار الفجر للنشر و التوزيع ،القاهرة، 2004، ص 19

18. Nicholas negroponte, being digital. Publisher vintage USA, 1996, p 37 .

19. Vin crosbie, what is new media ?, 1998.
http://www.digitaldeliverance.com/philosophy/definition/definition.html
Accessed July. 2006

20. سحر خليفة الجبوري ،الإعلام البديل ، الواقع و الأفاق ، دراسة ، كلية الإعلام ،جامعة العراق ، ص 10

21. Dimitri George Lavroff, Le droit constitutionnel de la république ,3 éme édition, Dalloz, paris, 1999, p 298.

22. Jean marie, cotteret, gouverner c'est praître, 3 eme éd. , PUF, paris, 2002, p 80.

23. محفوظ لعشب:" التجربة الدستورية في الجزائر"، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية، الجزائر، IMAG، 2001، ص 23.

المساندة الاجتماعية و علاقتها بجودة الحياة لدى كبار السن

أ. عمامرة سميرة – جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي

أ. مأمون عبد الكريم جامعة البليدة 2

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص الدراسة :

تهدف الدراسة الحالية إلى دراسة العلاقة بين المساندة الاجتماعية و جودة الحياة لدى المسنين (دراسة ميدانية بمدينة ورقلة) من مستويات اجتماعية واقتصادية وثقافية مختلفة واشتملت العينة على (60) مسن و مسنة بواقع (35 مسن) و (25 مسنة) وتم تطبيق أدوات البحث وهي قائمة المساندة الاجتماعية لسيد إبراهيم السمادوني تقنين بشير معمرية ، و مقياس جودة الحياة " الصورة المختصرة " إعداد (منظمة الصحة العالمية) تعريب (د.بشري اسماعيل أحمد) 2008.

وقد أسفرت النتائج عن :-

1- وجود علاقة ارتباطيه ودالة إحصائياً بين درجات المساندة الاجتماعية و درجات جودة الحياة لدى المسنين.

2- تختلف درجات المساندة الاجتماعية ودرجات جودة الحياة تبعاً لاختلاف للجنس (ذكور – إناث) .

3- تختلف درجات المساندة الاجتماعية ودرجات جودة الحياة تبعاً لاختلاف من المستوى الاجتماعي الاقتصادي (مرتفع – متوسط – منخفض).

Abstract:

The present study aims to examine the relationship between social support and quality of life in the elderly (field study in Ouargla) from different economic, cultural and social levels and included sample (60) elderly and elderly by (35 elderly and 25 elderly) were applied research tools which List of social support for Mr Ibrahim Alsmaduni, rationing Bashir Muammria, and quality of life "scale image shortcut" preparation (WHO) localization (D.bochra Ismail Ahmed 2008.)

The results yielded :

1- The presence of correlation and statistically significant between the degrees of social support, and degrees of quality of life in the elderly.

2.degrees of social support and quality of life scores vary depending on the different sex (males – females).

3- degrees of social support and different degrees of quality of life depends on a variety of socio-economic level (High - Mid – Low)

1–مقدمة:

تعد مرحلة الشيخوخة من أكثر المراحل العمرية التي تنبؤ الإنسان بقرب أجله والتي يكتنفها بصورة عامة نوع من الإضطرابات على المستوى الفسيولوجي والسيكولوجي والذي يتمثل بالخمول والعجز والعزلة والحزن والفراغ الكبير، بعد أن كانت حياته ترفل بالنشاط والفعالية والمتعة في المراحل العمرية السابقة لهذه المرحلة ، حيث أن فتور حيوية الحياة وفعاليتها يضفي نوعاً من الحزن والقنوط بالنسبة للمسن وخاصة عندما يشعر بفارق التغيرات التي تحدث له مع مرور الزمن وعلى كافة الأصعدة والميادين وقد يكون من أشد هذه المتغيرات وطأة عليه ومن أكثرها مدعاة للحزن والعزلة هو أنعدم حالة التفاعل مع الأسرة والمجتمع الذي يحيا فيه.

2– الإشكالية :

أن تحديد من هو المسن فيه خلاف وجدل بين العديد من العلماء والباحثين، ولكن الأغلبية تحدد سن الـ 60 سنة هو بداية لمرحلة الشيخوخة وإن كان أصبح معدل العمر الآن يتزايد وذلك بفضل الله ثم بفضل التقدم العلمي في الرعاية الصحية التي ترعى الإنسان منذ أن يكون نطفة في بطن أمه وحتى مماته، وعليه فإن العمر الزمني ليس مقياس جيد لتحديد

الشيخوخة، وربما كان أفضل تعبير عن المسن هو "كل إنسان أصبح عاجز عن رعاية نفسه وخدمتها" إثر تقدمه في العمر نتيجة مجموعة تغيرات جسمية ونفسية كالضعف العام في الصحة ونقص القوى العضلية وضعف الحواس والطاقة الجسمية والبصرية وضعف الانتباه والذاكرة وغيرها من الحواس وليس بسبب إعاقة عادية [1]

و من الأمور التي من الممكن أن تجعل الشخص المسن يدير الضغط و القلق و تخطي صعوبات الحياة تواجد الدعم و المساندة من الأشخاص المقربين له من العائلة و الأصدقاء.

أن الدعم النفسي والاجتماعي كالمساندة الاجتماعية التي تجعل الفرد يُقيّم الضغوط النفسية تقييماً واقعياً ويواجهها بنجاح ، كما تجعله أكثر إدراكاً وتفسيراً وتقييماً للحدث الضاغط [2]

ويتزود الفرد بالمساندة الاجتماعية من خلال شبكة علاقاته الاجتماعية التي تضم كل الأشخاص الذين لهم اتصال اجتماعي منتظم بشكل أو بآخر مع الفرد ، وتضم هذه الشبكة في الغالب الأسرة والأصدقاء وزملاء العمل ، وليست كل شبكات العلاقات مساندة لأنها أحياناً تعتمد على دعم وصحة متلقي المساندة [3] أي أن المساندة الاجتماعية تعتمد على صحة الفرد وسلامته النفسية ، وليس على كثرة علاقاته الاجتماعية .

وقد أكدت نتائج دراسة كل من روس وكوهين (Roos & Cohen) على أهمية الدور البارز الذي تقوم به المساندة الاجتماعية من الأسرة في تخفيف الآثار السلبية لمواجهة الفرد للضغوط النفسية [4]

كما أن الفرد يدرك الأحداث الخارجية على أنها أقل ضغطاً عندما يشعر أن المساندة والمساعدة متوافرتان له ومن ثم فإنه سيتمكن من مواجهة الحدث الضاغط بشكل إيجابي .[5]أي أن المهم هو اعتقاد الفرد في وجود المساندة التي يقدمها له الأفراد الذين يمثلون مصدر المساندة الاجتماعية بالنسبة له وكفايتها ودرجة رضاه عنها .

وباعتبار المساندة الاجتماعية وجه من وجوه العلاقات الإنسانية و المرتبط بالكثير من المتغيرات سواء النفسية و الاجتماعية و كذلك على طبيعة الحياة و جودتها للشخص المسن و ما يتبعه من تأثيرات سلبية أو إيجابية وينسجم هذا التوجه مع دعوة سيلجمان seligman الرئيس الأسبق للرابطة النفسية الأمريكية إلى أن يعمل علم النفس على دراسة ما يجعل الحياة جديرة بالعيش من خلال شعور الإنسان بجودتها أو معناها.

ولقد إرتبط مفهوم جودة الحياة بالمعنى السابق بمفهوم جودة الحياة النفسية كما يتم تدارسه في أدبيات الصحة النفسية، فقد أصبح موضوع جودة الحياة أو جودة الصحة النفسية في السنوات الأخيرة بؤرة تركيز الكثير من البحوث والدراسات. وتكمن جودة الحياة داخل الخبرة الذاتية للشخص. ويشير دينير ودينير إلى أن جودة الحياة النفسية "ببساطة شديدة تقويم الشخص لرد فعله للحياة، سواء تجسد في الرضى عن الحياة(التقويمات المعرفية) أو الوجدان(رد الفعل الانفعالي المستمر) [6]

ثم واصل دينير وآخرون (1999) دراساته في مجال جودة الحياة النفسية مؤكدًا على أن جودة الحياة النفسية ترتبط بمحاولة رصد "كيف يدرك أو يقدر الناس مختلف جوانب حياتهم النفسية؟ على سبيل المثال، إلى أي مدى يشعرا

لناس بقدرتهم على السيطرة على حياتهم الشخصية؟ إلى أي مدى يشعر الناس بأن لحياتهم الشخصية معنى وقيمة؟ إلى أي مدى يشعر الناس بامتلاكهم لعلاقات اجتماعية إيجابية متبادلة مع الآخرين [7]، ومشيرًا إلى أن هذا المنظور يسمي منظور جودة الحياة النفسية ويؤسس على ما يعرف الصحة النفسية الإيجابية بدلاً من التركيز على الخلل أو المرض النفسي الأمر الذي يتسق مع توجهات علم النفس الإيجابي.

وبالتالي أصبحت الجودة هدفاً للدراسة والبحث باعتبارها حاجة وطموح كل البشر، وخاصة المسنين وهي الهدف الأسمى نحو مستقبل أفضل للحياة، ولهذا يتمحور موضوع الدراسة الحالية حول موضوع المساندة الاجتماعية وعلاقته بمستوى جودة الحياة لدى المسنين وعلى ضوء ذلك يمكن طرح التساؤل الأساسي التالي :

- ما طبيعة العلاقة الموجودة بين المساندة الاجتماعية و جودة الحياة لدى المسنين ؟

وللإجابة على تساؤلات الطالبة السابقة اقترحت الفرضيات التالية كتعليلات مؤقتة لها:

1. توجد علاقة ارتباطيه ودالة إحصائياً بين درجات المساندة الاجتماعية و درجات جودة الحياة لدى المسنين.

2. تختلف درجات المساندة الاجتماعية ودرجات جودة الحياة تبعاً لاختلاف للجنس (ذكور – إناث) .

3. تختلف درجات المساندة الاجتماعية ودرجات جودة الحياة تبعاً لاختلاف من المستوى الاجتماعي الاقتصادي (مرتفع – متوسط – منخفض).

3- أهمية الدراسة

- تكمن أهمية الدراسة في ابراز دور المساندة الاجتماعية في رفع مستوى جودة الحياة لدى كبار السن .
- معرفة الفرق في المستوى الاقتصادي و الاجتماعي للمسنين في كل من المساندة الاجتماعية و جودة الحياة .
- معرفة طبيعة العلاقة الموجودة بين جودة الحياة و المساندة الاجتماعية و ما هي الخدمات التي من شأنها ان ترفع من مستوياتهم.

4- هدف الدراسة :إن الأهداف المرجوة من هذه الدراسة:

- دراسة أثر المتغيرات المتعلقة بالمساندة الاجتماعية على درجات جودة الحياة.
- معرفة مستوى جودة الحياة لدى فئة المسنين.
- التعرف على أثر متغيرات: الجنس، الحالة الاجتماعية، الاقتصادية ، على مجالات جودة الحياة و المساندة الاجتماعية من نظرة المسنين.

5- المفاهيم الاجرائية للدراسة:

5-1- المساندة الاجتماعية(Social Support)

تعرف المساندة الاجتماعية "بأنها وجود أو توفر الأشخاص الذين يمكن للفرد أن يثق فيهم ، وهم أولئك الذين يتركون لديه انطباعاً بأنهم في وسعهم أن يعتنوا به ، وأنهم يقدرونه ويحبونه" . [8]

والتعريف الإجرائي للمساندة الاجتماعية هو "الدرجة التي يحصل عليها المسن على مقياس المساندة الاجتماعية"

5-2- جودة الحياة : تعريف جودة الحياة وفقا لمنظمة الصحة العالمية (1993):

إدراك الأشخاص إلى مكانهم في الواقع ووضعهم في الحياة وتشمل العديد من المكونات منها الثقافة والقيم والنظام التي من خلاله وله علاقة بأهدافهم وتطلعاتهم واهتمامماتهم في ضو ء تقيمهم لجوانب حياتهم التي تشمل الرضا عن الحياة، الأنشطة المهنية، وأنشطة الحياة اليومية (**WHO,1998**)

و التعريف الاجرائي لجودة الحياة :هي مجموعة من المؤشرات القابلة للملاحظة والقياس المباشر وهي الدرجة التي يحصل عليها المسن تبعا لمقياس جودة الحياة لمنظمة الصحة العالمية.

6- إجراءات الميدانية للدراسة:

6-1- منهج الدراسة: يعني منهج البحث: الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة [9] اتبعنا في هذه الدراسة المنهج الوصفي الإرتباطي الذي يعنى بتحديد الظروف والعلاقات التي توجد بين الوقائع كما يهتم بتحديد الممارسات الشائعة والاتجاهات عند الأفراد [10]

وقد ارتأينا إتباع هذا المنهج لتلائمه مع طبيعة الدراسة حيث يساعدنا المنهج الوصفي الإرتباطي على "وصف العلاقة بين المتغيرات وصفا كميا، أي تحديد الدرجة التي ترتبط بما متغيرات كمية بعضها بالبعض الآخر" [11]

6-2- عينة الدراسة ومبررات اختيارها : تتميز مرحلة الشيخوخة بخصائص نفسية واجتماعية تجعلها من المراحل المهمة في حياة الإنسان ففيها تغيرات فيزيولوجية و نفسية قد تجعل الفرد يدخل في دوامة الامراض العضوية و النفسية.

وإن كانا بصدد دراسة المساندة النفسية و جودة الحياة لدى المسنين فإن اختيار هذه الفئة تحديداً قد جاء من منطلق طبيعة هذه الفئة وخصوصيتها ، إذ يبدو أن المسنين أكثر الفئات تأثراً و حساسية بسبب المرحلة العمرية .

6-3- إجراءات الدراسية: ولقد تم إجراء الدراسة الأساسية على عينة تقدر ب 60 مسن و مسنة بواقع (35 مسن) و (25 مسنة) وتم اختيار أفراد العينة بطريقة عشوائية وكان تطبيق المقياسين تطبيقياً فرديا .

7- أدوات الدراسة :

7-1- مقياس المساندة الاجتماعية: اعد هذه القائمة إبراهيم السمادوني (1997) و تتكون القائمة من 30بندا موزعة على بعدين هما:

- بعد الاسرة و تقيسه 15 بندا. - بعد الأصدقاء و تقيسه 15 بندا.

و يجاب عنها بأسلوب تقريري و تصحح إجابات المفحوص ضمن أربعة بدائل هي: لا و تنال 0 و قليلا و تنال درجة 1 و متوسطا و تنال الدرجة 2 ما كثيرا فتنال الدرجة 3 .

ولقد قام بشير معمرية بتقنين القائمة على البيئة الجزائرية و استخرج معاملات ثبات و صدق تجعلنا نستطيع تطبيق القائمة في الدراسة الحالية.

2-7- مقياس جودة الحياة " الصورة المختصرة World Health Organization Quality Of LifeWHO QOL – BREF)إعداد (منظمة الصحة العالمية / 1996) تعريب (د.بشري إسماعيل أحمد) 2008: وضع هذا المقياس منظمة الصحة العالمية(1996) ليقدم بروفيل مختصر عن مستوي الجودة السائد في حياة الفرد . وهو يتكون من 26 بند ، يتضمن بندين (2) لجودة الحياة العامة و للصحة العامة و بند واحد فقط من الـ 24 بعد الذي تتكون منها الصورة الأصلية لمقياس جودة الحياة والذي أعدته أيضاً منظمة الصحة العالمية (1995، والمكون من 100 عبارة) ، لتصبح الصورة المختصرة شاملة و متكاملة

8- الأساليب الإحصائية: استخدم الباحثان في عرض وتحليل بيانات البحث كلٍ من:

8-1- معامل الارتباط بيرسون: ويستخدم معامل ارتباط بيرسون الذي يرمز له بالرمز"ر" في حالة وجود بيانات كمية معبر عنها بالدرجات الخام [12]،ويعتمد حساب معامل الارتباط بين متغيرين من مستوى المسافات المتساوية أو من المستوى النسبي[13].

8-2- اختبار ت (T test): يستخدم هذا الاختبار لفحص فرضية تتعلق بالوسط الحسابي، ويجب تحقق الشرطين التاليين:

1. يجب أن يتبع توزيع المتغير التوزيع الطبيعي، ويستعاض عن هذا الشرط بزيادة حجم العينة إلى اكثر من 30 مفردة.
2. يجب أن تكون العينة عشوائية أي لا تعتمد مفرداتها على بعضها.

تم استخدامه لمعرفة الفرق بين متوسطين لعينتين غير مرتبطتين، كما تم استخدامه لإيجاد صدق أدوات القياس.

8-3- تحليل التباين : هو طريقة لاختبار معنوية الفرق بين المتوسطات لعدة عينات بمقارنة واحدة ويعرف أيضاً بطريقة تؤدي لتقسيم الاختلافات الكلية لمجموعة من المشاهدات التجريبية لعدة أجزاء للتعرف على مصدر الاختلاف بينها ولذا فالهدف هنا فحص تباين المجتمع لمعرفة مدى تساوى متوسطات المجتمع ولكن لا بد من تحقيق ثلاثة أمور قبل استخدامه وهي:

1- العينات عشوائية ومستقلة.

2- مجتمعات هذه العينات كلاً لها توزيع طبيعي.

3- تساوي تباين المجتمعات التي أخذت منها العينات العشوائية المستقلة.

9- عرض نتائج الدراسة ومناقشتها:

9-1- مناقشة النتائج على ضوء الفرضية الأولى:

"**توجد علاقة ارتباطيه ودالة إحصائياً بين درجات المساندة الاجتماعية و درجات جودة الحياة لدى المسنين**."وبعد المعالجة الإحصائية تم التوصل إلى النتيجة التالية:

الجدول رقم (01) يوضح الارتباط بين درجات أفراد عينة الدراسة على مقياسي المساندة الاجتماعية وجودة الحياة

		جودة الحياة
المساندة الاجتماعية	معامل الارتباط بيرسون	4530,**
	مستوى الدلالة	0000,
	حجم العينة	59

*الارتباط دال عند مستوى الدلالة ألفا(α)1(0.0) .

من خلال الجدول رقم (01) أعلاه نلاحظ أن معامل الارتباط بين درجات أفراد عينة الدراسة في مقياس المساندة الاجتماعية ودرجاتهم في مقياس جودة الحياة قد بلغ 0,45 وهذه القيمة متوسط وطردية أي أنه كلما زادت درجات أفراد عينة الدراسة في مقياس المساندة الاجتماعية زادت معها درجاتهم على مقياس جودة الحياة كما أن هذه القيمة دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة ألفا (α=0.01) بمعنى أنه توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المساندة الاجتماعية وجودة الحياة لدى المسنين وبالتالي يمكن القول بأن قبول فرضية البحث الأولى، ونسبة التأكد من هذه النتيجة هي 99% مع احتمال الوقوع في الخطأ بنسبة 1%.

ويؤكد الباحثون أن المساندة الاجتماعية يمكن أن تلعب دوراً هاماً في التخلص من الاضطرابات السيكوسوماتية ، حيث يزداد احتمال التعرض لهذه الاضطرابات كلما نقص مقدار المساندة الاجتماعية ، كما إنها تسهم في التوافق الإيجابي والنمو الشخصي للفرد .

كما توصل كترونا وآخرون (Cutrona et al) إلى أن المساندة الاجتماعية كانت عاملاً جوهرياً للحالة الصحية الجسمية ، وأن الصحة النفسية ترتبط بالتفاعل بين الضغوط والمساندة الاجتماعية . [7]

و هذا ما وجده علي علي (2000) في دراسته التجريبية كان من أهدافها التعرف على دور المساندة الاجتماعية والعاطفية خاصة من الأسرة والرفاق في تخفيف تأثير الصراعات النفسية التي تواجه طلاب الجامعة المقيمين مع أسرهم ومقارنتهم مع الطلاب المقيمين في المدن الجامعية ، والتي تساعدهم على المواجهة الإيجابية لأحداث الحياة الضاغطة في حياتهم الجامعية وفي تقليل الآثار السلبية الناتجة من ضغوط البيئة الجامعية .(**علي علي،2000**).

يشير (**Diener&Diener1995**) إلى أن جودة الحياة النفسية تحل بديلاً في كثير من الدراسات لمفهوم الصحة النفسية الإيجابية، كما ورد هذا المصطلح في تعريف منظمة الصحة العالمية والذي ينص على أن الصحة النفسية حالة من الشعور بالسعادة (**أحمد عبد الخالق، صلاح مراد، 2001**) كما ويرى (**Masse et al,1998**) أن مصطلح الصحة النفسية يتضمن بصفة عامة عاملين أساسيين هما: الضيق أو الكدر النفسي، وجودة الحياة النفسية. وهو ما يشير إلى أن الصحة النفسية تتكون من بعدين احدهما سلبي ممثلا في الضيق أو الكدر الانفعالي، والثاني إيجابي ممثلاً في ممثلاً جودة الحياة النفسية.

من خلال هذا يتبين أن هناك علاقة بين المساندة الاجتماعية بإعتبارها عنصر فعال في زيادة مستوى جودة الحياة لدى المسنين لان المساندة الاجتماعية المقدمة من طرف الأسرة و الأصدقاء تجعل المسنين يعيشون بطريقة مريحة مما تؤثر إيجابا على مستور رضاهم عن الحياة و بالتالي تزيد من جودة الحياة لديهم.

9-2- مناقشة النتائج على ضوء الفرضية الثانية:

"**تختلف كل من درجات المساندة الاجتماعية ودرجات جودة الحياة تبعاً لاختلاف تبعا للجنس (ذكور – إناث)**."وبعد المعالجة الإحصائية تم التوصل إلى النتيجة التالية:

الجدول رقم (02) يوضح الفروق بين الجنسين في درجاتهم على مقياسي (المساندة الاجتماعية، جودة الحياة)

الجنس		إختبار ليفين للكشف عن التجانس (F)	مستوى الدلالة	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة (T)	مستوى الدلالة	القرار
المساندة الاجتماعية	ذكور	0.641	0.427	35	75,42	5,952	57	-3,05	0.003	دال
	إناث			24	79,95	5,008				
جودة الحياة	ذكور	1.248	0.269	35	85,77	13,115	57	-,790	0.431	غير دال
	إناث			24	88,70	15,167				

من خلال الجدول أعلاه رقم (02) وبالنظر إلى اختبار التجانس ليفين (**F**) والذي بلغ 0,64 في مقياس المساندة الاجتماعية و1.24 في مقياس جودة الحياة وهي قيمتا غير دالتان إحصائيا عند مستوى الدلالة (α=0.05) نستنتج أن هناك تجانس بين مجموعتي الذكور و الإناث مما استدعى تطبيق اختبار(T_{test}) لعينتين مستقلتين متجانستين.

كما أن المتوسطات الحسابية والتي بلغت بالنسبة للذكور في مقياس المساندة الاجتماعية (75,42) وبالنسبة للإناث (79,95) نلاحظ أن هناك فرقا بينهما وهذا ما يجرنا إلى القول بأنه توجد فروق بين الجنسين في المساندة الاجتماعية،وهذا ما أكدته قيمة اختبار الدلالة (T_{test}) والتي بلغت (3,05-) وهي قيمة دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة ألفا (α=0.01) وبالتالي يمكن القول بأنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الجنسين في درجاتهم على مقياس المساندة الاجتماعية، وهذه الاختلافات أو الفروق هي لصالح الإناث، ونسبة التأكد من هذه النتيجة هي (99%) مع احتمال الوقوع في الخطأ بنسبة (1%).

و جاءت هذه النتيجة معاكسة لما وجده **هشام عبدالله** (**1995**) بدراسة كان من أهدافها بحث العلاقة بين المساندة الاجتماعية من حيث حجمها ودرجة الرضا عنها وكل من الاكتئاب واليأس ، وكذلك دراسة التأثير والتفاعل المشترك لكل من الجنس ونوع العمل على المساندة الاجتماعية (الحجم و الرضا) والاكتئاب واليأس وذلك لدى عينة من الطلبة والعاملين في المجتمع المصري ، وتكونت العينة الكلية من (328) فرداً كان منهم (169) من الذكور ، (159) من الإناث ، وتراوحت أعمارهم بين (45,19 _ 00,50) سنة، وتوصل الباحث إلى وجود علاقة ارتباطيه دالة سالبة بين المساندة الاجتماعية (الحجم والرضا والدرجة الكلية) وكل من الاكتئاب واليأس لدى أفراد العينة الكلية ، وكذلك أتضح وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في المساندة الاجتماعية (الحجم والرضا والدرجة الكلية) لصالح الإناث أي أن الإناث أكثر إقامة للعلاقات الإيجابية من الذكور ، وبين الطلاب والعاملين في حجم المساندة الاجتماعية لصالح العاملين ، كذلك اتضحت فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في مستوى الاكتئاب واليأس لصالح الإناث.

و لقد أشار حسين فايد (1998) أن المرأة بدون علاقات اجتماعية موثوق فيها تكون أكثر تعرضاً للإصابة بالاكتئاب عند مواجهة الأحداث السلبية الشديدة ، وأكثر إحساساً بمثل هذه الأحداث ، وهذا التأثير المزدوج قد يمثل نمطاً لعوامل استهداف اجتماعية أخرى . [15]

أما فيما يخص المتوسطات الحسابية للذكور في مقياس جودة الحياة فقد بلغت(85,77) وبالنسبة للإناث (88,70) نلاحظ أن هناك فرقا بينهما، غير أن قيمة اختبار الدلالة (T_{test}) والتي بلغت (0,79-) جاءت غير دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة ألفا (α=0.05) وبالتالي يمكن القول بأنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الجنسين في درجاتهم على مقياس جودة الحياة، وهذا يعني أن الفرضية الثانية مقبولة جزئيا،ونسبة التأكد من هذه النتيجة هي (95%) مع احتمال الوقوع في الخطأ بنسبة (5%).

ويرى الباحثان أن المسنين يتعايشون مع نفس الظروف داخل حرم الجامعة بالإضافة إلى الأعباء الأكاديمية، وبالتالي فإن مدى رضاهم عن جودة الحياة يكون متقارباً جداً، وتتفق هذه النتيجة مع نتيجة العديد من الدراسات التي بينت عدم وجود فروق في الرضا عن جودة الحياة تعزى للجنس مثل دراسة **إبراهيم** (**2011**)، ودراسة **إسماعيل** (**2011**) ودراسة **أبو العلا** (**2009**) ودراسة **مجدى** (**2009**) والتي تشير إلى أنه لا يوجد تأثير دال لعامل الجنس في الشعور، ويفسر أن

إدراك جودة الحياة يشعر بها جميع الناس سواء كانوا ذكور أو إناث وتختلف نتائج هذه الدراسة مع دراسة **العادلي** (**2006**): على وجود فروق دالة إحصائيا بين الذكور والإناث من حيث مدى إحساس الطلبة بجودة الحياة، وكانت الفروق لصالح الذكور، وكذا نتائج دراسة **البهادلي وكاظم** (**2006**) والتي أشارت إلى أن الذكور قد حققوا درجات مرتفعة على مقياس جودة الحياة فيما يتعلق في جودة شغل الوقت إدارته أكثر من الإناث.

هذا ما أشار إليه **عبد الغفار** (**1995**) في نتائج دراسته أن الذكور أكثر قدرةً على التفاعلات الاجتماعية، بينما الإناث يمكن أن يملن إلى الانطوائية و التقوقع حول الذات ويمكن أن يكون للأهل دورا في ذلك، ومن ثم قد تجد صعوبة الأنثى في التوافق مما يؤثر على جودة الحياة وبينما بينت نتائج دراسة "عبد الحميد (2008) أن مستوى الرضا عن الحياة كان أعلى لدى الذكور. ويعزو الباحثان ارتفاع مستوى الطمأنينة والاستقرار النفسي لدى المسنين الذكور مقارنة بالإناث إلى طبيعة العادات والتقاليد والثقافية السائدة في المجتمع والتي تتيح مجالاً أوسع للذكور .

أي أن المساندة الاجتماعية المرتفعة قد تلعب دوراً كبيراً في خفض الاضطرابات الإكتئابية سواء كانت المرأة تخبر أو لا تخبر ضغوطاً ، إذ أن المساندة ترفع من تقدير المرأة لذاتها وفعاليتها ، أما إدراكها لعدم وجود مساندة اجتماعية فإن ذلك يشعرها بعدم القيمة وعدم القدرة على المواجهة وتكون هنا بداية الاضطرابات الإكتئابية .[14]

9-3- مناقشة النتائج على ضوء الفرضية الثالثة:

"**تختلف كل من درجات المساندة الاجتماعية ودرجات جودة الحياة تبعاً لاختلاف تبعا المستوى الاقتصادي والاجتماعي(مرتفع – متوسط – منخفض)**."وبعد المعالجة الإحصائية تم التوصل إلى النتيجة التالية:

الجدول رقم (03) يوضح الفرق بين أفراد عينة الدراسة في درجاتهم على مقياسي (المساندة الاجتماعية، جودة الحياة) حسب المستوى الاقتصادي والاجتماعي

مصدر التباين		مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	Fقيمة	مستوى الدلالة	القرار
المساندة الاجتماعية	بين المجموعات	448,732	2	224,366	7,73	,0010	دال
	داخل المجموعات	1624,929	56	29,017			
	الكلي	2073,661	58				
جودة	بين المجموعات	6343,746	2	3171,873	36,11	,0000	دال

الحياة	داخل المجموعات	4918,186	56	87,825			
	الكلي	11261,932	58				

من خلال الجدول رقم(03) نلاحظ أن الفرق بين أفراد عينة الدراسة في درجاتهم على مقياسي (المساندة الاجتماعية، جودة الحياة) تبعا لمتغير المستوى الاقتصادي والاجتماعي هو فرق واضح،وهذا ما أكدته قيمتا (F) والتي بلغتا 7,73 في مقياس المساندة الاجتماعية، و36,11 في مقياس جودة الحياة،وهي قيمتان دالتان إحصائيا عند مستوى الدلالة (α=0.01) مما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد عينة الدراسة في درجاتهم على مقياسي (المساندة الاجتماعية، جودة الحياة)تبعا لمتغير المستوى الاقتصادي والاجتماعي، ونسبة التأكد من هذه القيمة هو 99% مع احتمال الوقوع في الخطأ بنسبة1%.

وبما أن اختبار الدلالة الإحصائية (F) لا يحدد لصالح من الفروق في حالة ما إذا كانت الفروق دالة كما في هذه الحالة فإننا نلجأ إلى استخدام معامل الشيفي (**Scheffe**) وهذا لتحديد لصالح من الفروق وهذا ما بينه الجدول رقم (04) حيث نلاحظ أن متوسط الفروقات كانت لصالح أفراد عينة الدراسة الذين كان مستواهم الاقتصادي والاجتماعي مرتفعا، وبالتالي فإن الفروق بين أفراد عينة الدراسة في درجاتهم على مقياسي (المساندة الاجتماعية، جودة الحياة) تبعا لمتغير المستوى الاقتصادي والاجتماعي هي لصالح ذوي المستوى الاقتصادي والاجتماعي المرتفع.

الجدول رقم (04) يوضح المقارنات البعدية بهدف تحديد لصالح من الفروق

المساندة وجودة الحياة		معامل الشيفيه للمقارنات البعدية			
المستوى الاقتصادي والاجتماعي(I)		المستوى الاقتصادي والاجتماعي(J)	متوسط الفروقات (I-J)	الخطأ المعياري	مستوى الدلالة
المساندة الاجتماعية	**منخفضة**	متوسطة	-0,17143	1,93150	0,996
		مرتفعة	-6,61429*	2,23031	0,017
	متوسطة	منخفضة	,17143	2,23031	0,996
		مرتفعة	-6,44286*	2,23031	0,002
	مرتفعة	منخفضة	6,61429*	2,23031	0,017
		متوسطة	6,44286*	1,70343	0,002

جودة الحياة	**منخفضة**	متوسطة	-4,17143	3,36032	0,468
		مرتفعة	-27,35714*	3,88016	0,000
	متوسطة	منخفضة	4,17143	3,36032	0,468
		مرتفعة	-23,18571*	2,96352	0,000
	مرتفعة	منخفضة	27,35714*	3,88016	0,000
		متوسطة	23,18571*	2,96352	0,000

*متوسطات الفروق دالة عند (α=0.05).

وهذا ما أكدته بعض الدرسات مثل دراسة (**Grassi et al : 2000 , Shima : 1994**) إلى أن الأفراد الذين يتلقون مساندة اجتماعية أقل سجلوا معدلات أعلى من القلق والاكتئاب والحزن والخوف المرضي مقارنة بالمرضى الذين يتلقون مساندة أكبر منهم .

كما أكدت نتائج بعض الدراسات على أهمية المساندة الاجتماعية للفرد خاصة (درجة الرضا) في مواجهة الضغوط النفسية وآثارها على الصحة كما في دراسة (**Buunk & Hoorens1992**) [15]

ويعزو الباحثان وجود فروق في درجات جودة الحياة و المساندة الاجتماعية لدى المسنين ترجع هذه النتيجة إلى خصائص كل من المستوى الاجتماعي و الاقتصادي والتي يتضح وجود فروق بينهما ومن ثم تؤثر هذه الخصائص على إدراك كل منهما للحياة والتمتع بها ويعود إلى المستوى الاقتصادي الذي يمكنهم من تحمل الأعباء الحياة.

و يمكن إرجاع الفروق أيضا ذلك بأن أصحاب المستوى المرتفع إقتصاديا و اجتماعيا قد يتميزون عن متوسطي و منخفضي المستوى الاقتصادي و الاجتماعي ، في عدة أشياء منها الانتقال وحرية التنقل سواء بمفرده أو بمساعدة أحد، والانفتاح على العالم الخارجي المحيط، وإقامة علاقات اجتماعية.

المراجع:

[1]- حامد عبد السلام زهران (1997). الصحة النفسية والعلاج النفسي . ط3 ، عالم الكتب ،القاهرة .543.

2-Charles H. & Rudolph M. (1991) life stressors , personal and social resources . And depression : a 4years structural model . Journal of abnormal psychology . Vol (100) . No (1)..370

[3]- Lepore S. (1994) social support encyclopedia of human behavior . Vol (4) .247

3- علي علي (1997): المساندة الاجتماعية ومواجهة أحداث الحياة الضاغطة كما تدركها العاملات المتزوجات مجلة الدراسات النفسية ، المجلد (7) ، العدد (2) ، رابطة الأخصائيين المصريين النفسيين المصرية ،القاهرة. 12.

[4]- أرجايل مايكل (1993): سيكولوجية السعادة ، ترجمة فيصل يونس ، العدد (175) ، سلسلة عالم المعرفة الكويت .47.

5-Diener,E., & Diener, M. (1995). Cross cultural correlates of life satisfaction and self esteem. Journal of Personality and Social Psychology.653 - -663.

6-Diener, E., Suh, E. M., Lucas, R. E., & Smith, H. E. (1999). Subjective well-being:Three decades of progress. Psychological Bulletin.276-302.

7-Sarason I , & Sarason B, (1986) experimentally provided social support Journal of personality and social psychology , Vol (50) .129.

[8]- العساف صالح بن محمد (1995): دليل الباحث في العلوم السلوكية ، مكتبة العبيكيان ، الرياض ، السعودية .90.

[9]- فان دالين ديوبولد ،ب،فان دالين ، ترج محمد نبيل نوفل وآخرون،(2003) : مناهج البحث فيالتربية وعلم النفس ،مكتبة أنجلو مصرية القاهرة. 231.

[10]- أبو علام رجاء محمود (2004) : مناهج البحث في العلوم النفسية و التربوية ، دار النشر للجامعات القاهرة ، مصر. 231.

[11]- عبد الكريم بوحفص (2005): الإحصاء المطبق في العلوم الإجتماعية والإنسانية ،ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر . 211.

[12]- البهي ، فؤاد (1979) : علم النفس الإحصائي وقياس العقل البشري ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، دار الفكر العربي.244.

13- محمد الشناوي ومحمد عبد الرحمن (1994): المساندة الاجتماعية والصحة النفسية مراجعة نظرية ودراسات تطبيقية . ط1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة. 62.

[14]- حسين فايد. 1998.الدور الدينامي للمساندة الاجتماعية في (8) . العدد (2) رابطة الأخصائيين المصريين النفسيين المصرية ، القاهرة.186.

15-Rutter M. (1990) psychological resilience and protective mechanisms in j rolf . A Masten . D Cicchetti . K Nuechte Lein & S Weintraub . Risk and protective factors in the development of psychopathology . Cambridge university press..182

المتقاعد في سوسيولوجيا الحياة اليومية

أ.حمادي منوبية

جامعة قاصدي مرباح بورقلة

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الملخص:

تهدف الدراسة إلى الكشف عن المجالات الاجتماعية التي ينقسم إليها المجال العمراني بمدينة تقرت،و إبراز الخصوصية الثقافية للمجالات الاجتماعية التي يتفاعل مع المتقاعد الجزائري ،فلقد انطلقت الدراسة من المشكلة المفترضة وهي أن الانتقال الإجباري للمتقاعد من الخصوصية الثقافية لمجال العمل إلى الخصوصية الثقافية لمجال الحياة الاجتماعية ينعكس على هويته وتفاعلاته الاجتماعية اليومية بالإضافة لبيان نوع الهوية الناتجة في كل مجال .

ومن إجراء البحث الميداني والمسح الاجتماعي ودراسة الحالة التي أجريت في هذا المجال تبين أن الهوية الناتجة للفرد في مجال العمل وفي الحياة اليومية مرتبطة بخصوصية النموذج الثقافي الذي يتفاعل معه الفرد المتقاعد ،والذي تحكمه دينامكية الزمان و المكان وكيفية تأدية الأدوار مهنيا و سوسيويوجيا فحضارة العمل تحكمها سلطة القيم و المعايير التنظيمية التي يسعى الفرد ضمنها تحقق ذاته ،لذلك كشفت الدراسة أن المجالات الاجتماعية لكل منها حضارتها التي تحكمها ضمن النموذج الثقافي فالمتقاعد حتى يتمكن من إنتاج و إعادة إنتاج هويته ومجالات تفاعله السابقة فلا بد أن يحضى بأنشطة بديلة تغطي وقت فراغه وعلى شبكة من الأدوار الاجتماعية التي من خلالها يحضى بمجموعة من المكانات التي تمكنه من إثبات ذاته وهويته الفردية والاجتماعية ضمن حضارة المجال الاجتماعي .

Résumé:

L'étude vise à découvrir la civilisation des espaces sociaux qui est divisé dans l'espace urbain de Touggourt, Et de mettre en évidence la spécificité culturelle des espaces du développement social interagit avec le retraité algérien, a lancé l'étude du problème supposé est que la transition obligatoire pris sa retraite de la spécificité culturelle de l'Emploi à la spécificité culturelle au domaine de la vie sociale se reflète sur l'identité et les interactions quotidiennes sociales. Ainsi que d'indiquer le type d'identité résultant dans chaque espacé.

L'enquête des recherches, la découvrent sociale et l'étude des cas menés dans cet espace montrent que l'identité résultant de l'individu dans le espace du travail et dans la vie quotidienne liée à la spécificité du modèle culturel qui interagit avec la personne à la retraite , qui est régie par la dynamique du temps et du lieu, et comment réaliser rôle professionnels et sociaux.

La civilisation du travail est régie par le pouvoir des normes et des valeurs réglementaires dans lesquels l'individu cherche à vérifier la même chose, si l'étude a révélé que leurs espacé respectifs de la civilisation sociale Régi dans le modèle culturel. Pour que le Retraité puisse produire et reproduire d'identité et les espaces d'interaction précédentes s' fait qu'il fasse des activités que consacrent et occupent tout le temps vide sur le cité afin d'acquérir des capacités que vérifient L'identité individuelle et sociale dans l'espace social.

المقدمة :

إن وضعية التقاعد ليست وضعية مجردة ومفرغة من كل ما هو ثقافي و اجتماعي بكل أبعاده التفاعلية بل هي وضعية انتماء جديدة تحكمها تفاعلات اجتماعية تؤطرها قيم ومعايير أخرى غير التي كان عليها العامل قبل أن ينتقل إلى هذه الوضعية،وعليه فإن المتقاعد لا يعيش وضعية تقاعد بصورة آلية وميكانيكية وحتمية من خارج ذاته،بل يعيش هذه الوضعية انطلاقا من المعاني الذاتية الخاصة به التي تشكل نموذجه الثقافي الخاص الذي يترجم ويفهم مضامين هذه الوضعية ويدرك ذاته ويفهم هويته في المجال الاجتماعي التفاعلي الذي يتواجد فيه وبناءا على كل ذلك يؤسس نموذجه الديناميكي لأفعاله وتفاعلاته.

ففي دراستنا للتقاعد ننتقل من دراسته كوضعية اجتماعية تحكمها عوامل نفسية واقتصادية واجتماعية تفرض نفسها على الفرد من الخارج بصورة آلية ،وحتمية إلى دراسة المتقاعد في حد ذاته كفرد اجتماعي يتفاعل وفق نموذج المعاني الثقافية المستقرة لديه نسبيا مع مجاله الاجتماعي بكل مضامينه الثقافية كذلك .

لا يمكن اعتبار الإنسان مجرد عون تحكمه الحتميات الاجتماعية كما تراه الوظيفية الكلاسيكية أو كفاعل استراتجي على أقصى تفكير كما تراه الوظيفية المحدثة، أو الفردانية المنهجة لريمون بودون أو مجرد عون يقوم إلا بردود الأفعال للتفاعلات الذاتية.لكن الإنسان قادر على التدخل والتأثير على الحتميات التي تحدده إنتاج المجتمع الذي تنتجه وليس مجرد إنتاج المجتمع.لكن هذه القدرة والكفاءة التي يمكن أن يتمتع بها الفرد في صناعة و إنتاج المجتمع و التحكم في الحتمية الاجتماعية التي تحدده ليس كمعطى اجتماعي نظري له بل هي عملية اجتماعية تاريخية ثقافية وليدة تاريخانية المجتمع والذي تتدخل في عملية التنشئة الاجتماعية،والتي من خلالها يقاس مستوى التطور الحضاري والحداثة الاجتماعية إذن فالقدرة الذاتية في تجاوز الفرد للوضعية الاجتماعية التي تحددهم هو مؤشر على مستوى تحضر المجتمعات و تطور الافراد ودرجة الوعي الذي يتمتعون به. فكيف يتفاعل المتقاعد الجزائري مع خصوصية النموذج الثقافي لحضارة الحياة اليومية في غياب مجال العمل؟هل يعمل على إعادة إنتاج مجال تفاعله الرئيسي؟وهل ينعكس هذا التغير على أفعاله وهويته؟ وانطلاقا من هذا التصور قمنا بهذه الدراسة والتي نسلط فيها الضوء على الحضارات المختلفة التي يعيشها ويتفاعل معها المتقاعد الجزائري في خضم الخصوصيات المختلفة للنموذج الثقافي. ومنه جاءت أسئلة التالية كما يلي:

-هل يشكل مجال العمل الإطار الرئيسي لإنتاج الهوية الفردية و الاجتماعية للفرد الجزائري؟ و هل الخصوصية الثقافية لمجال العمل تعمل على إنتاج و إ عادة إنتاج هوية الفرد ؟

-فهل يتقبل الفرد المتقاعد هذا التحول والتغير في الخصوصية الثقافية بين مجال العمل ومجال الحياة الاجتماعية؟

- هل يرفض الفرد المتقاعد هذا التحول والتغير في الخصوصية الثقافية بين مجال العمل ومجال الحياة الاجتماعية؟

وعليه جاءت الفرضيات :

-إن الانتقال الإجباري للمتقاعد من الخصوصية الثقافية لمجال العمل إلى خصوصية النموذج الثقافي لمجال حضارة الحياة الاجتماعية ينعكس على هويته وتفاعلاته اليومية .

-كلما كانت هوية المتقاعد فاعلة مع مجال العمل فإنه في انتقاله للخصوصية النموذج الثقافي الريفي للمجال الاجتماعي يتنافس معها فيعمل على إعادة إنتاج هويته الفردية والاجتماعية .

-كلما كانت هوية المتقاعد مستلبة مع مجال العمل فإنه في انتقاله للخصوصية الثقافية للمجال الريفي يتلاءم معها فتنتج لديه فاعلة .

1- الدراسات الاقتصادية والسيكولوجية والسيوسيولوجية للتقاعد:

يعتبر موضوع التقاعد من المواضيع المهمة التي حظيت بالاهتمام والدراسة في المجتمع الصناعي والحضارة الصناعية، فالدراسات الاقتصادية عند تناولها للتقاعد إما تركز على العلاقة بين هذه الوضعية الاجتماعية الجديدة،للعامل السابق وما آل إليه وضعه المادي بعد التقاعد، فدراسة "أمزيان نعيمة"1 (جامعة الجزائر 2005) والتي تناولت من خلالها أثر وضعية التقاعد على المتقاعد من الناحية المادية وما يتبع ذلك من أثار على المناحي الأخرى النفسية والاجتماعية والصحية ،أي على مكانة ودور المتقاعد كمسن،وعليه توصي هذه الدراسة أن هذه الوضعية الجديدة تتطلب رعاية خاصة من طرف المجتمع أو المجال الاجتماعي التفاعلي للفرد، فنستنتج من هذه الدراسة أن مرحلة التقاعد هي مرحلة قصور وعجز تتطلب رعاية خاصة ونوعية من طرف المجتمع إن لم يحدث ذلك تصاب البنية الاجتماعية بالاختلال وعدم التوازن .

وهناك شكل آخر من الدراسات الاقتصادية وخاصة تلك التي تمت في بعض البلدان العربية و المشرقية والخليجية التي تربط بين التقاعد كمتغير مستقل وآثاره الاقتصادية كمتغير تابع من ضمنيها الآثار المالية على صناديق التأمين والمعاشات والآثار على المواد البشرية من تسرب الكفاءات الخدامات.

أما الدراسات السيكولوجية فتناولت موضوع التقاعد من منظورين المنظور الأول يقوم بربط التقاعد كوضعية جديدة وما يترتب عن ذلك من حالات انفعالية ووجدانية لدى الفرد المتقاعد ،فدراسة" (Pretti)برتي"2 التي قام بها 1975 بعد أن صنف نوعين من التقاعد، التقاعد الإجباري والتقاعد الاختياري توصل إلى أنه هناك تباين بين النوعين فيما يتعلق بدرجة تأثير كل منهما على الحالات الانفعالية والوجدانية للمتقاعدين، فالمتقاعدين اختياريا أكثر تصورا لذاتهم،وتعددا وتنوع في علاقاتهم من المتقاعدين إجباريا .

والمنظور الثاني للمقاربة السيكولوجية يقوم بدراسة اتجاهات العمال إزاء التقاعد المبكر ومدى ارتباطات ذلك ببعض المتغيرات الشخصية والذاتية ،ومن بين الدراسات الميدانية الدراسة التي قام بها سعد بن أحمد آل شويل الغامدي في 2002 عن اتجاهات المعلمين نحو التقاعد المبكر في مدينة مكة المكرمة وعلاقة ذلك بمتغيرات السن،عدد سنوات العمل،المرحلة التعليمية التي يعمل بها المعلم المؤهل الدراسي للعلم ، مادة التخصص ، الحالة الاجتماعية فمن بين نتائج هذه الدراسة وجود اتجاه سلبي نحو التقاعد المبكر لدى50 % من المبحوثين 3 ونفس المنحى ذهبت إليه دراسة بيان محمد عبد الرحمن سما عنة 2008 4 على عينة من معلمي شمال الضفة–فلسطين حيث قامت الباحثة بدراسة اتجاه المعلمين نحو التقاعد المبكر .

أما الدراسات السوسيولوجية تناولت دراسة وضعية التقاعد وعلاقته بالتوافق الاجتماعي والأسري كمتغير تابع، وخلصت معظم هذه الدراسات إلى أن تقاعد رب الأسرة يترتب عنه اختلالات على المستوى العلاقات الاجتماعية والأسرية بين أفراد البنية الاجتماعية المعنية والأسرية المعنية به.ومن هذه الدراسات الدراسة التي قامت بها "ليلى عبد الله محمد جمال شرف"20085 على عينة من عائلات وأسر المتقاعدين في مدينة جدة وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمها ما يلي:

1–أن أغلب متقاعدين هذه الأسر بلغوا سن القانونية التقاعد الإجباري وذلك من أجل ضمان استحقاق المعاش الكامل .

2– تتميز أسر هؤلاء المتقاعدين بكبر الحجم مما يؤثر على حجم الإعالة وزيادة المسؤولية الاجتماعية .

3– أن أغلب هؤلاء المتقاعدين يعيشون حالة فراغ نظرا لافتقارهم لأي نشاط اجتماعي أو اقتصادي مما يؤثر على مكانتهم ودورهم الاجتماعي والأسري .

4– إن هؤلاء المتقاعدين يعشون حالة تدمر واستياء من المجتمع كون أنهم يرون أنه تم التخلي عنهم وإهمالهم بعد كل ما قدمه من مساهمات ونشطات خلال فترة عملهم .

تبين لنا من كل الدراسات السابقة على مختلف تخصصاتها ومشاربها الفكرية والنظرية ، أنها تتناول التقاعد كوضعية جديدة تتميز بخصوصية نوعية عن المرحلة السابقة في مسار المهني لكل فرد ، هذه الوضعية تفرض نفسها من الخارج ولها تأثيرها السلبي عليه كون أنها تحدث له اختلالات انفعالية وجدانية أو مالية اقتصادية واجتماعية كما رأينا ،وعلى العموم إن الفرد المتقاعد يكون في كل الحالات موضوع معدوم الذاتية أمامها ، وكأن هذه الوضعية حسب هذه الدراسات بما تنتجه من أثار سلبية نفسية اقتصادية أو اجتماعية قدر محتوم على الفرد، فما على المجتمع ومؤسساته إلا أن يتدخلا من أجل توفير الرعاية والحماية القبلية أو البعدية للأفراد الذين يعشونها .

2– العمل سوسيولوجيا :

إن المقصود من العمل في نظر ابن خلدون هو"ابتغاء الرزق"، وتعريف الرزق هو "الحاصل أو المقتنى من الأموال بعد العمل والسعي، إذا عادت على صاحبها بالمنفعة وحصلت له ثمرتها من الإنفاق في حاجاته"، لقد وضع ابن خلدون تعريفه هذا بالاستناد إلى الفقه ثم زاده تثبيتا الحديث6 .

العمل عند آلان توران7 A. Touraine بحيث يعتبر أن العمل هو بكل امتياز فعل تاريخي فهو ليس بوضعية أو حالة ولا مجرد نية أو قصد بل هو نشاط طبيعي يقوم به فرد أو مجموعة ما والذي بواسطته لا تتغير فقط ظروفها المادية أو الظروف المحيطة بها،بل أن دوره أعمق من ذلك يتمثل في أن يعي هذا الفرد أو هذه المجموعة البشرية نفسها بأنها فاعل تاريخي Acteur Historique أي حامله أو منتجه للتغيير أي منتجة للثقافة و للحضارة. هو مختلف الجهود المجسدة في الأفعال والأدوار التي يقوم بها الأفراد في الحياة اليومية،من أجل تحقيق ذواتهم وضمان المكانة الاجتماعية المرموقة في مختلف المجالات السوسيوثقافية،و إشباع مختلف متطلبات الحياة الضرورية منها والكمالية،بحيث يسمح العمل للأفراد بإنتاج هوياتهم الفردية والاجتماعية ضمن النموذج الثقافي .

3– التقاعد:

وعرف كمنج (Cumming) التقاعد : بأنه انتقال الفرد من مرحلة العمل المتواصل إلى مرحلة تتسم بالراحةوالهدوء. ويعرف ميلر(Miller)التقاعد بأنه أزمة هوية،(Identity crisis)وقد تؤدي هذه الأزمة على شعور المتقاعد بالتدني في احترامه لذاته وتقديرها(selfesteem) Lower self respect and مما يجعله يحجم عن المشاركة في النشاطات الاجتماعية، بالإضافة إلى إضعاف شعوره بالالتزام نحو أدواره الاجتماعية الأخرى، ويعرف)العبيدي (التقاعد بأنه الفرد الذي عمل لفترة من حياته في القطاع الحكومي أهله له معاشا للتقاعد.8 ويرى باركر (parker) أن هناك ثلاثة معان للتقاعد أولها يقصد به الانفصال أو الانسحاب من عمل يكتسب منه الفرد، وثانيها يشير إلى الانسحاب نهائيًا من قوة العمل، وثالثها يعني نهاية كل نشاط يسهم به الفرد فيما عدا الأنشطة الروتينية التي يقوم بها لصيانة كيانه 9.

عرفه أتشلي (Atchley) ولعله أشهر تعريف للتقاعد وهو بأنه الحالة التي يكون الفرد فيها مرغمًا أو مختارًا ليعمل أقل من ساعات الدوام المعتادة،ويكون جزء من دخله على الأقل من معاش التقاعد اكتسبه نتيجة سنوات في الخدمة .10 فالتقاعد ما هو إلا عملية اجتماعية تتضمن تخلي الفرد اختياريا وإجباريا عن عمل ظل يقوم به معظم وبالتالي انسحابه من القوى العاملة في المجتمع وتحوله إلى الاعتماد جزئيا على الأقل على نظام معين للكفاية المادية هو نظام التأمين الاجتماعي .

4– الهوية :

فعلم النفس الاجتماعي يعتبر الهوية عامل من عوامل الشخصية،فإن علم الاجتماع ينتقل من دراسة الهوية إلى وحدة التحليل الكلية للفرد متعدد الانتماءات، لأن الفرد المتعدد أصبح منتوج مجالات التفاعل المتعددة والمتنوعة وحتى المتناقضة،وبالتالي الانسجام في هذه الوحدة لا يأتي من خارج الفرد(خارج الهوية)،وإنما يأتي من قدرة الفرد على اختيار المعاني والتفاعلات التي تحقق له هذه الوحدة، و هذا الانسجام في الذات10، يرى "جورج هربرت ميد «G.H.Mead»"أن الهوية هي وحدة أو كتلة ذات علاقة ضيقة مع حالات اجتماعية ،حيث يجد الفرد نفسه في حالة اندماج وسط هذا المجتمع الذي ينتمي إليه،فبالنسبة له الفرد يؤثر في نفسه بنفسه،ويكون هذا ليس بطريقة مباشرة، ولكن يأخذ بعين الاعتبار وجهة نظر الآخرين،الجماعة الاجتماعية والثقافية التي ينتمي إليها، وهو لا ينظر إلى ذاته، إلا جرد نفسه ونظر إليها كأنها شيء معدوم القيمة مستنداً في ذلك إلى تصرفات وموافق الآخرين داخل مجال اجتماعي خاص بالفرد نفسه من جهة، وبتلك التصرفات اتجاهه من جهة أخرى، وما يساعده على أن يعرف نفسه أو يقيمها.11

يقدم توصف الهوية الفردية من منظور شبه الشخص لنفسه واختلافه عن غيره مدخلين للتحليل،يمثل أولهما في أبعاد الذات في علاقتها بالمعطى الثقافي الاجتماعي،ويتصل ثانيهما بالذات الداخلية أو ما يطلق عليه مع "ميشيل فوكو " أركيوجية الذات ،أي مستويات الذات باعتبارها"ذوات"متدخلة ولصنف الهويات الأخرى بناء عن تلك العلاقة12 .

وعُرفت الهوية بأنها الشفرة Code التي يمكن الفرد عن طريقها أن يعرف نفسه، في علاقته بالجماعة الاجتماعية والثقافية التي ينتمي إليها، وعن طريقها يُتعرَّف عليه باعتباره منتمياً إلى تلك الجماعة.13

وتماشيا مع مضمون دراستنا فإن الهوية الفردية من وجهة نظرنا هي ذلك الوعاء الحامل والمتضمن لنسق المعاني في لحظة معينة من تفاعلات الفرد التي تمكنه من ضبط علاقاته بذاته وبالموضوعات الخارجية سواء كانت اجتماعية أو غير اجتماعية وهيكلتها على ضوء ذلك،أوهي محصلة مختلف المعاني التي يكونها الفرد عن ذاته وعن الموضوعات الأخرى انطلاقا من خبراته البيوغرافية و واللحضاوية التي ينطلق منها فـي :

أولا- إقامة علاقات تفاعلية مع الآخرين على انه ذات مختلفة عنهم.

ثانيا – القيام بأفعاله وبناء مشاريعه واستراتيجياته14 .

ويجد ربنا أن نبين الفرق بين مفهوم الهوية الشخصية والهوية الفردية ، فالشخصية تتضمن هوية الفرد أثناء الفعل الفردي في مستوياته العقلية والنفسية والاجتماعية، في وضعية ثقافية يعبر عنها الفرد باسم الجماعة ، ونقرأ فيها بصماته المميزة ،أما الهوية الفردية فهي كما أشرنا سابقا دائما في علاقة مع الآخر. وبالتالي فالهوية الفردية هي جهد في الذهب نحو الآخر لاكتساب بطانة الذات، وعودة من الآخر نحو الذات لإثبات وجودها المتميز وهذا ما ذهاب إليه «p.Tap » عن هذه الحركة الانعكاسية .15

ترى«Zavalloni. M»بأن الهوية الاجتماعية هي النواة المركزية للإدراك الفردي،أي أنها نتاج مجموعة معينة من المكونات النفسية والاجتماعية ،فهي بنية معرفية وصيرورة تمثلات للذات التي بواسطتها ينظم الأفراد تجاربهم لدى هي بناء ذاتي مصور للواقع الإجتماعي والثقافي16.

إن الهوية الاجتماعية لا تنفصل عن الثقافة التي تتغذى منها، فحسب » Durkheim «فإنه يوجد فينا ضمير جمعي و آخر خاص، فالأول يتمثل في أنساق الأفكار وأحاسيس والعادات التي لا تعبر عن شخصية الفرد و إنما يعبر عن الجماعة التي ينتمي إليها لأن هذا الكائن الجمعي"être colletif"هو من مكونات النواة الثقافية أو الجماعية للهوية . وعليه فإن الهوية الجماعية هي المشاركة الوجدانية الجماعية وأساس كل أنـواع ودوائر الهويات فهي ترسي الشعور بالهوية من الانتماء خلال الشعور بالانتماء أو الشعور بالقيمة المرجعية .

ومن هنا يمكن القول بأن الهوية الاجتماعية هي وليدة اختلف المجالات الاجتماعية التي يتفاعل معها الأفراد،ومن خلال هذا تفاعل تتولد صورة الفرد لذاته،وتمثلتاه لصورة الآخرين بالنسبة إليه وذلك من خلال تميز الاختلاف الموجود بينه وبينهم،ويعود هذا الاختلاف إلى خصوصية النموذج الثقافي الذي يتبناه كل فاعل اجتماعي هذا النموذج الثقافي الذي تحكمه ديناميكية الزمان المكان.فالهوية هي نتاج التنشئة الاجتماعية التي يتلقها الفرد عبر مرحل حياته.

الهوية المهنية هي بعد من أبعاد هوية الشخص النفسية والاجتماعية، ولكنها في نفس الوقت محددة لأنماط من تفاعلات هذا الشخص في المجالات الاجتماعية التي يتواجد فيها وينشط داخلها.

حسب المنظور نظرية سوسيولوجية المؤسسة، أن هذه الأخيرة تصبح هيئة للتنشئة الاجتماعية، أي مكان لغرس قيم ومعايير تعطى للعامل في نهاية المطاف شخصيته الفردية والاجتماعية، أي تُنمي فيه روح الانتماء إلى مجموعة معينة كما يرى ذلك "كلود دوبار C.Dubar » « "في كتابه التنشئة الاجتماعية وبناء الهويات الاجتماعية المهنية أن:" التنشئة

الاجتماعية هي عملية تشريب أو بناء لهوية مهينة، التي تعني تنمية روح الانتماء وبناء علاقة مع الآخرين في العمل". أي إعطاء للعامل شخصية الأنا وشخصية الانتماء للجماعة أو الشعور بالانتماء، لأن الهوية لا تعني فقط الانتماء بقدر ما تعني الشعور بالانتماء إلى الطرف الآخر، فالميزة الحاسمة التي تبين الانتماء إلى مجموعة حسب فيليب برونو » « Ph.Bernauxهو حصول هذه le savoir intuitif de groupe الفرد أو العامل على الحدسية للمجموعة التي ينتمي إليها المعرفة الحدسية تعني أن العامل أخذ على عاتقه ماضي وحاضر المشروع المستقبلي للمجموعة التي ينتمي إليها، وحسب "فيليب برونو" هناك ثلاث آليات أساسية يمكن من خلالها العامل أن يتحصل على هويته في المؤسسة التي يعمل فيها وهي: التكوين، الخبرة المهنية، الاعتراف بالانتماء.17

5- خصوصية النموذج الثقافي :

الخصوصية الثقافية هي العناصر الثقافية التي يشترك فيها بعض أفراد بعض الفئات ومعترف بها اجتماعيا،وتظهر جليا في المجتمعات المهنية المتعددة ،فكل فئة لها ثقافتها الخاصة،حسب المجال العمل الذي تنشط فيه.18 فالخصوصية الثقافية تنبع من الأعمال والمهن المختلفة داخل المجال الاجتماعي ولهذا تشترك كل جماعة مهنية في خصوصية الثقافية،وذلك عن طريق تبادل معاني ورموز تحكمها معايير محددة

قد لا يفهما بقية أعضاء المجتمع.وقد حدد الدكتور"معتز بالله عبد الفتاح" مفهوم الخصوصية الثقافية يتحدد من خلال خمسة أسئلة رئيسة هي :

- سؤال الهوية: حيث يسعى الفرد إلى تعريف ذاته وانتماءاته على أساس القطر أو اللغة أو الديانة... الخ
- سؤال التراث: ويتضمن التساؤل عن أبرز الرموز التاريخية التي يستعيدها الأفراد ويعتزون بها، وهل يتم التمسك بالتراث باعتباره أحد مكونات الهوية، أم يتم التخلص منه باعتباره عبئا ثقيلا .
- سؤال الواقع: وهو تساؤل الأفراد و الأمم عن واقعها المعيش، وعن مدى تخلفها أو تقدمها عن بقية الأفراد و الأمم ومعيار ذلك التقدم أو التخلف .
- سؤال الفرصة البديلة: ويتعلق بالخيارات المطروحة، ومدى التعارض بينها، وهو يطرح قضية البدائل المتنافسة19 .
- سؤال المستقبل:ويتعلق بتأثير هذا الاستيراد الثقافي من الآخر على الهوية، فهو يطرح كرد فعل لكافة الأسئلة السابقة، حيث يحاول البحث في اتصال القضايا السابقة بعضها ببعض وكيف تؤثر في النهاية على سؤال الهوية .

أما النموذج الثقافي فيشمل على ما اختاره المجتمع من تمثلات والقيم والأفكار والمعايير في تفاعله مع الواقع و تشمل مستوى القدرة على الخلق أو الطريقة التي يفهم بها المجتمع قدرته على الفعل والإنجاز .

فعندما نقارن مفهوم الثقافة بالمنظور الأنثروبولوجي والمفهوم الثقافة بالمنظور السوسيولوجي ،نلاحظ أنه هناك قفزة نوعية فلم تعد تنظر للثقافة على أنها مجرد طائفة منظمة"رالف لينتون R.Linton"من الاستجابات المكتسبة يتميز بها مجتمع معين دون غيره .بل هي القدرة على التأثير و الفعل من أجل إنتاجها كذلك كما أن الثقافة ليست عبارة عن بناء من المعتقدات والقيم و المعايير يخضع لها الإنسان و تحدد سلوكاته إزاء الآخرين و لايمكن أن يتجاوزها بل هي قيمة نهائية تتمثل في مجمل والمكونات العقائدية والفكرية والمادية التي يفهم الفاعل سواء كان أفراد أو الجماعة عالمه الطبيعي والاجتماعي والإمكانات التي يضعها ويسخرها كوسائل من أجل ملأ الزمان و المكان بالعمل والفعل كما يرى مالك بن النبي و"آلان توران" كذلك.20

ويتبين لنا من التعاريف السابقة أن النموذج الثقافي هو مجمل التصورات والتمثلات،والقيم والأفكار التي ابتكرها مجتمع ما في تفاعلاته مع الواقع ،فهذا النموذج يتعلق إذا بالمجتمع بكامله خلال فترة تاريخية معينة وبالتالي إن الانتقال من حقبة تاريخية

إلى أخرى مؤشر على أن هذا النموذج بكل ما يتضمنه قد تغيرمحتواه. أما بالنسبة لنا إن النموذج الثقافي هو مجمل التمثلات والقيم،والأفكار، والأفعال والأعمال التي أنتجها المجال الإجتماعي والتي تعمل على تأطير الأفعال والتفاعلات التمثيلية والتفاعلية في هذا المجال فتنسبغ بذلك هوياتهم أو تتشكل وفق خصوصية هذا المضمون الثقافي الذي يعتبر هو في نفس الوقت هذا المجال. 21 وعليه إن الخصوصية النموذج الثقافي لحضارة العمل ناتج من صورة النموذج الثقافي لحضارة الحياة اليومية، وهذه الأخيرة يتم إعادة إنتاجها وفق الأدوار المتعددة في المجال الاجتماعي .

6- مجالات التفاعل الاجتماعي :

هو فضاء من مجموعة عماليات متبادلة تؤدي إلى تأثير ثنائي الاتجاه بين الأفراد الجماعات ويكون وفق شبكة من التفاعلات المتبادلة،هو العلاقة أو العلاقات الشخصية بين الأفراد أو بين فردين على الأقل، التي يكون من خلالها أفعال هؤلاء الأفراد خاضعا للتأثير المتبادل حيث أن كل فرد يغير فعله و سلوكه بناء على استجابة الأخر22 .

تلعب طبيعة التفاعلات دورا مهما وأساسيا في تغير المجالات الاجتماعية ،لأن المجال يتميز بطبيعة التفاعلات،بين مختلف عناصره.و لتفاعل اتجاهين وفق العماليات الاجتماعية الأول ايجابي و يضم(التوافق، والتكيف،وتماهي،والاندماج،التلاؤم،التنافس...)أما الاتجاه الثاني ويضم(التنازع،الصراع،التمايز،..)23 و تكون هذه العماليات ضمن الجماعة وذلك لأن الجماعة من وجهة نظر ديناميكية تضم مجموعة من الأفراد الذين تجمعهم أهداف مشتركة والذين ينسجون علاقات بينهم أثناء وجودهم وجه لوجه فيتفاعلون و يتأثرون بكيفية متبادلة في إطار جملة من المعايير يتحاكمون إليها فالتفاعلات هي القوة الداخلية للفعل الاجتماعي .

7- التأصيل السوسيولوجي للتقاعد:

إن معالجتنا لموضوع المتقاعد من الزاوية التغير الاجتماعي الذي يحصل في مجالات تفاعله اليومية وهويته استدعى منا العديد من المشارب والمقاربات السوسيولوجية التي تعالج الموضوع من جوانب مختلفة.

فلقد كانت البداية بالمقاربات النظرية المفسرة للعمل ورأينا أن هذه النظرية ترجع أهمية للعمل في تشكيل هوية الأفراد،وذلك من خلال تفسيرها لدواعي العمل ولما توفره المؤسسة من ظروف فيزيقية ونفسية ليتمكن العمل من تحقيق استقراره واثبت ذاته.

فكانت البداية من النظرية "ابن خلدون" الذي اهتم بطرق المعاش والكسب واعتبار أن أوجه النشاط الإنساني تختلف من منطقة إلى أخرى،وأن طبيعة النشاط الممارس ترتبط بطبيعة العمران ولهذا صنف المجالات العمرانية إلى بداوية وحضرية، وقسم الصنائع على حسب المجال الذي توجد فيه،فالبد وهم أقرب للفلاحة والحدادة وغيرها من الحرف اليدوية وبالتالي تنعكس على طبيعة أفعالهم وطريقة عيشهم ،أما الحضر فهم يهتمون بالصناعة والتجارة وهذه المهن بدورها تنعكس على علاقاتهم وهويتهم.فلهذا اعتبر"ابن خلدون" المعاش إمارة وتجارة وفلاحة وصناعة فلهذا حاول تتبع أوجه المعاش في كل المجتمعات، بينما اهتمت مدرسة العلاقات الإنسانية ل"إلتون مايو"بدراسة العلاقة الإنتاجية والروح المعنوية للعمال،وخاصة المشكل الإنساني في الحضارة الصناعية،والمشاكل الاجتماعية للحضارة الصناعية والظروف السيكولوجية المحيطة بالعمل داخل المنظمة،وكيف تعمل هذه الظروف على تلاءم العامل مع ظروف على تحسين المردودية في الإنتاج، والتي تسهل اندمج العامل وتمكنه من تحقيق هويته .

كما أوضحت نظرية الدوافع والحاجات عند"ماصلو"و"آلدرفر"و"هرزبرغ"اهتمام لإنسان بسعي لإشباع حاجاته وكل ذلك من أجل تحقيق الذات. وقد اهتمت النظرية التفاعلية الرمزية في هذا المجال بتحليل سلوك الأفراد والأدوار التي يتفاعل الأفراد من خلالها فيما بينهم في مجال العمل والمكانة التي يشغلنها في مؤسسة. كما بينت التفاعلية الرمزية أهمية المهن وبأنها مركز التفاعل الاجتماعي داخل المجتمع24.

ومن هنا انتقلنا من تحليل العمل و مجاله إلى البحث عن نظريات سوسيولوجية عالجت التقاعد عن العمل ،وكيف ينظر الأشخاص إلى مرحلة التقاعد . فلقد عالجت نظرية النشاط التقاعد عن العمل من زاوية البحث عن نشاط بديل أو الاستمرار في نفس النشاط ،وهذا من خلال ما قدمه كل من " فريدمان" و"هافيجرست" و"ميلر" فلقد ركز على أهمية الأنشطة البديلة في حالة فقد المتقاعد لعمله والتي تمكنه من شغل وقت فراغه وإعادة توافقه. أما نظرية الانسحاب أوفك الارتباط لكل من "كمنج وهنري"التي بدورها ركـزت عمليات التفاعل بين المتقاعد المسن، والآخرين من أفراد المجتمع داخل النسق الاجتماعي واعتبرت التقاعد في سن محدد يضعف التفاعل الاجتماعي والروابط الاجتماعية للمتقاعد مع الأفراد الآخرين في المجتمع.أما نظرية الأزمة فلقد وجدنا أصحاب هذه النظرية ينظرون إلى أهمية الدور المهني بالنسبة للفرد داخل المجتمع فقيام الشخص المتقاعد بعمل ما يعد في غاية الأهمية بالنسبة له،حيث يكسبه الدور المهني هويته، ويمكنه من وضع نفسه في علاقات مع الآخرين ،ويرجعون أزمة التقاعد إلى الشخص الذي لا يعرف نشاطا آخر يقوم به إلا عمله بالإضافة إلى تغير الوضع الاقتصادي والاجتماعي والحالة الصحية... الخ والتي تنعكس على حياته الأسرية و الاجتماعية.

لكن النظرية الشخصية وأنصارها ينظرون إلى التغيرات المصاحبة للتقدم في العمر على أنها نتيجة للتفاعل بين التغيرات الاجتماعية الخارجية،والتغيرات البيولوجية الداخلية.فمن خلال تحليلنا لهذه النظرية وجدنا أنها حاولت الربط بين الجوانب الاجتماعية والنفسية ،لكن وجدنا تكامل الشخصية من عدمه فهو يعود إلى طبيعة المجال السوسيو ثقافي الذي كان يتفاعل معه المتقاعد أثناء العمل وخصوصية المجالات الحياة الاجتماعية .

أما نظرية التوافق فوجد"أتشلي"أن التقاعد لدى العديد من الأشخاص المتقاعدين يتضمن إعادة تنظيمهم لمدرج الأهداف الشخصية في ضوء عمليتين هما التسوية الداخلية،حيث إعادة النظر والمراجعـة الداخـلية لمعايير اتخاذ القرار ومناقشة الفرد لأهدافه وطموحاته مع الآخرين،وعملية المقارنة بين أهداف الفرد وأهداف الآخرين. فلاحظنا من تحليلات"أتشلي" للتقاعد أن مدرج الأهداف يتسم بالتغير من مرحلة عمرية لأخرى. ويتطلب ذلك من المتقاعد أن يتكيف مع الأدوار الجديدة،حيث أرجع عملية التوافق إلى المقارنة بين أهداف الفرد وأهداف الآخرين.

1 –7–إنتاج و إعادة إنتاج هوية المتقاعد:

وفي و معالجتنا لموضوع التقاعد وجدنا أن هناك تغير يطرأ على الهوية المتقاعد وتفاعلاته الاجتماعية وهذا ما قدنا إلى البحث عن مقاربات سوسيولوجية تحليل مفهوم الهوية و كيف يتم إنتاج وإعادة إنتاج الهوية ضمن خصوصية المجالات الاجتماعية ،ومن هنا تناولنا مختلف الاتجاهات التي فسرت مفهوم الهوية. فالنظريات النفسية عالجت الهوية من اتجاهات مختلفة ،فلقد اهتمت النظرية النفسية عند"اريكسون" و"جيمس مارشا" بتشكل الهوية وتحديد رتب هوية الأنا .

– فالنظرية النفسية الاجتماعية والتي تزعمها كل "تاجفيل"و"تيرنر"حيث بين العلاقة بين الذات والتصنيف الاجتماعي بناء على هذا التصور النظري نجد أن المتقاعد يكتسب هويته الفردية في ظل تفاعله مع المحيط الاجتماعي بالإضافة إلى عوامل أخرى من بين هذه العوامل نجد كل ما يتعلق بالمكان أو المحيط والزمـن .

أما التناولية النفسية الإيكولوجية ،فلقد ركزت على العملية التفاعلية التي تربط الفرد بمحيطه هذا المحيط الذي يقع في خارج الإنسان،فنجد"م.زفالوني"اعتبرت الهوية النفسية الاجتماعية كنقطة التقاء بين الفرد والمجموعة ،واستنتاجنا أن هذا المنظور النفسي الإيكولوجي يرى أن الهوية تتكون من المضمون والبنية والتنظيم الديناميكي الحيوي للمحيط الداخلي الذاتي كوسط مراقبة وتوقع في نفس الوقت كانعكاس للأفعال اليومية.وهنا يظهر جليا دور الآخر في تكوين الهوية وذلك من خلال العناصر التالية:الفاعل،الصورة،الآخر .

-الهوية النفسية والاجتماعية: الناتجة من تداخل المحيطين الذاتي والموضوعي. فهذه المقاربة تنظر للمتقاعد على أنه ذات ترتبط بالمحيط الداخلي والخارجي وهويته ناتجة عن هذا التداخل بين المحيطين.

وما يهمنا في دراستنا هو النظريات الاجتماعية ووجهة نظرها للهوية وتحليلها للفعل الاجتماعي والذي تناولته مختلف المشارب السوسيولوجية،فنحن نسلط الضوء على الجانب التفاعلي للهوية وللفعل الاجتماعي ضمن خصوصية النماذج الثقافية للمجال الاجتماعي.

تنظر الوظيفية إلى المجتمع باعتباره نسقا اجتماعيا واحدا،كل عنصر فيه يؤدي وظيفة محددة وتؤكد كذلك على ضرورة تكامل الأجزاء في إطار الكل وعليه ترى الوظيفية المجتمع باعتباره نسقا اجتماعيا متكاملا،يقوم كل عنصر من عناصره بوظيفة معينة للحفظ على اتزان النسق واستقراره،وتوازن المجتمع واستـمراره، فلقد اعتبرت هذه المقاربة أن الهوية لا تنفصل عن الثقافة التي تتغذى منها،فحسب"دوركايم" فإنه يوجد فينا كائن اجتماعي أو بالأحرى جمعي وآخر خاص،فالأول يتمثل في أنساق الأفكار والأحاسيس والعادات التي لا تعبر عن شخصية الفرد وإنما تعبر عن الجماعة التي ينتمي إليها لأن هذا كائن الجمعي هو من مكونات النواة الجماعية للهوية.فعرفنا أن التنشئة الاجتماعية من المبادئ الأساسية التي يستمد منها الفرد هويته واستنتجنا أن"دوركايم" في تحليله للهوية ركز على أهمية الأدوار الاجتماعية في حياة الفرد وخصوصا الدور المهني، فيرى أنه بفقدان الدور المهني يفقد الفرد هويته الفردية والاجتماعية لأن النسق الاجتماعي عبارة عن مجموعة وظائف متكاملة مع بعضها البعض فبفقدان الفرد لدوره المهني ويؤثر على توازن أدواره الاجتماعية وهذا ما ينطبق على هوية الفرد المتقاعد وأدواره الاجتماعية،لهذا ترى هذه المقاربة بخروج المتقاعد من مجال العمل، وفقدنه لدور المهني يفقد هويته الفردية والجماعية ويرجع ذلك لغياب وظيفته ولأن المجتمع نساق متكامل من الوظائف المترابطة مع بعضها البعض .

أما النظرية التفاعلية الرمزية فهي تهتم بالتفاعل الذي يحصل بين الذوات الاجتماعية من خلال المواقف التي يعيشها الأفراد في الحياة اليومية والوقف على المعاني التي ينتجها الأفراد .

وقد بين"هربرت بلومر"أن على الفرد يستوعب أدوار الآخرين الاجتماعية التي نعيشها حصيلة تفاعلات بين البشر بعضهم بعض أو بينهم وبين المؤسسات لاجتماعية في المجتمع.حيث أنها تنظر لأدوار البشر بعضهم تجاه عن هذا الرمز.فـتصـورا النظرية التـفاعلية لـمجتمـع على أنه شبكة من الأدوار وذلك عن تأدية الافراد لأدوارهم بناء على جملة التوقعات المفروضة.

أما"كولي" فلقد قام بدراسة الذات الاجتماعية في المجتمع وهذا ما ذهب إليه "هربت ميد"، فنلاحظ أن أغلب المنظرين التفاعليين اهتم بدراسة الرموز كوسيلة تواصل وتفاعل فهي وتشمل عند" ميد" اللغة، وعند" بلومر" المعاني، وعند"جوفمان" الانطباعات والصور الذهنية.وهو ما ذهبنا إليه من خلال تحليل الطرق التي يتفاعل من خلالها الأفراد لمعرفة كيف تنتج الذات.

وتبينا لنا أن الفرد يحقق وعيه الذاتي من خلال وعيه بهويته الاجتماعية،ويتفق على ذلك كل من "ميد" و"كولي"على أن الذات لا تولد مع الإنسان وإنما تنمو وتتشكل نتيجة الخبرات الاجتماعية وتأويلها وبهذا تكون لديه تصور لذاته ويتم كل ذلك عبر مراحل التنشئة الاجتماعية.

ونستنتج أن الأدوار والمراكز ترتبط ارتباط كبيرا بتفاعلات التي تتم عبر الزمن و المكان داخل المجال الاجتماعي الذي يشكل الوعاء الذي تنتج فيه الهويات الفردية والاجتماعيـة وتعيد إنتاجـه .وهـذا ما اعتـباره جوفمان مسرح الحياة اليومية،فلقد كانت التفاعلية الرمزية محل اهتمامنا في هذه الدراسة، وهذا لأنها تتطابق مع متغيرات الدراسة،وعليه وتوصينا إلى نتيجة مفادها أن تتعدد الذوات بتعدد الأدوار الاجتماعية التي يؤدها الأفراد المكانة التي يشغلنها ضمن خصوصية النماذج الثقافي الناتجة عن عملية التفاعل ضمن المجالات الاجتماعية،ولهذا فالفرد في مجال حضارة العمل

يعمل على إنتاج وإعادة هويته المهنية و عن طريق تأديته لدور المهني ضمن الخصوصية الثقافية لمجال العمل، وعند التقاعد يسعى الأفراد إلى تحقيق الوعي ذاتي من خلال إنتاج وإعادة إنتاج أدوره الاجتماعية والمهنية ،ومن هنا يعد تشكيل هويته الفردية والاجتماعية وهذا ما توجه إليه أنتوني جيذنز.

وهذا ما أدى بنا إلى معالجة الأدوار وتحليلها من وجهة سوسيولوجية عن طريق تحديد مفهوم الدور والمكانة ومدى ارتباطهما بالهوية بنماذج الثقافية الموجدة في البناء الاجتماعي للمجال الاجتماعي و لقد تم معالجة مفهوم الدور والمكانة لأنهما من المفاهيم السوسيولوجية الأكثر تطابقا والأكثر تدخل وتقارب مع مفهوم الهوية الفردية والاجتماعية لدى فإن دراسة الأدوار الاجتماعية تسهل لنا دراسة مفهوم الهوية وذلك من خلال ما يلي:

أ– الدور والمكانة في البناء الاجتماعي :

ارتباط مفهوم الدور الاجتماعي بمفهوم البنية الاجتماعية وهذا ما اهتمت به المقاربات السوسيولوجية، بحيث لايمكن تأدية الأدوار خارج التنظيم البنية الاجتماعية،وعليه نستنتج أن الدور هو السلوك المتوقع ينجم عن المكانة الاجتماعية فهو الجانب الديناميكي والوظيفي للمكانة،فنجد الدور والمكانة يتضمنان ديناميكية العمل الاجتماعي والمهني. لدى وجدنا أن التفاعل الذي يتم في المجالات الاجتماعية ناتج عن تأدية الأدوار المهنية والتي تكسب المجالات الاجتماعية خصوصيتها الثقافية،وعليه فإن مهنة الفرد تعتبر أهم الأشياء الأساسية أو أحد المصادر الرئيسية لتحديد مركز ومكانته في المجتمع بالنسبة للمجتمعات المتحضرة، والذي يسمح له بممارسة أدوار اجتماعية متنوعة والتي تعمل على إنتاج وإعادة إنتاج البنى الاجتماعية وكذاك يمكنه الدور المهني والاجتماعي من توسيع شبكة مراكزهم الاجتماعية و هذا ما أشر إليه "جاكوب مرينو."

–استنتجنا من التعاريف التي تناولنها أن مفهوم الدور الاجتماعي مرتبط بمواقف التفاعل الاجتماعي التي يلعب الفرد فيها أدوارا تتضمن شخصية أو أكثر تستلزم إجادة الفرد لدوره والقدرة على تصور دور الآخرين، أو القدرة على القيام به في داخل نفسه بالنسبة لدوره.ويساعد انسجام الجماعة وتماسكها أن يكون لكل فرد في الجماعة دور يؤديه مع قدرته على تمثيل أدوار الآخرين داخليا يساعد ذلك على إدراك عملية التوقع ،إذ أن الشخص الذي يقوم بنشاط في الجماعة ويعجز عن توقع أفعال الآخرين لعجزه عن إدراك أدوارهم وعلاقة دوره بدورهم لن يتمكن من تعديل سلوكه ليجعله متفقا مع معايير الجماعة و مما يؤثر ذلك على هويته.

ب– سوسيولوجيا الدور:

فالنظرية البنائية الوظيفية اهتمت بدراسة الدور،وفي تحليلها لمفهوم الدور والمكانة بينت أن الفرد كصورة مركبة من المكانات والأدوار،وهو ما تعرض إليه "بارسونز"بحيث اعتبار الدور والمكانة كوحدة اكبر من الفعل في حالات التحليل الشامل.و بأن السلوك المرتبط بكل دور يبقى ثابتا بغض النظر عمن يحتل تلك المكانة. ويمكن اعتبار المجتمع ككل هو والمؤسسات مختلفة فيه شبكة من الأدوار تحكم كلا منهما معايير وقيم ثابتة وبهذا تنفي هذه النظرية قدرة الأفراد على التأثير والتأثر في النسق الثقافي لتغيره أو تطويره مما يؤدي إلى جمود دور الفرد وعدم قيامه بعملية التغير دوره إزاء المواقف المختلفة.

أما التفاعلية الرمزية فهذا الاتجاه يعطي الفردية والاستقلالية الذاتية للفاعلين تجاه الإكراهات الثقافية للدور أو للتحديدات المجالية.معنى ذلك أنها ترفض الفكرة الوظيفية التي تطرح الفرد في علاقة برؤيتها الكلية للمجتمع كعون وتنفي عنه جانب العفوية والحرية والإبداع في فعله،وهو ما يبرر رفض علم اجتماع الفعل الرؤية الوظيفية للمقاربة البنيوية الوظيفية.وهو ما ذهبنا إليه في دراستنا بحيث استنتجنا أن الفاعل اجتماعي عقلاني وحر في اختيار الأدوار ضمن الوسط السوسيو ثقافي الذي ينتمي إليه، وذلك لإشباع مصالحه والبحث عن تحقيق ذاته .

أما"إفرنج جوفمان" اهتم بتحليل الأدوار في سوسيولوجيا الحياة اليومية الناتجة عن الوعي الذاتي والذي يتمثل في مقدرة الإنسان على تمثل الدور،فالتوقعات التي تكون لدى الآخرين عن سلوكنا في ظروف معينة فالأفراد يعملون على إنتاج مجالات تفاعلهم من خلال وعيهم الذاتي بالأوضاع التي يشغلونها .

-2-7-إنتاج وإعادة أنتاج بنية المجالات الاجتماعية:

فلقد استنتجنا يسعى الفرد إلى إنتاج إعادة إنتاج المجالات الاجتماعية التي يتفاعل معها وذلك من خلال الممارسات التي يقوم بها داخل المؤسسات الاجتماعية،عن طريق امتلاكه(قواعد،موارد) التي تشكل الملامح الأساسية للفعل الإنساني. لذلك فالبناء يعبر عن نفسه بالضرورة من خلال الفعل الموجه نحو المعاني فالفعل الإنساني مبني بواسطة البنى و هو يبنيها في آن واحد. أي أن المنظومة يبنيها الفاعل وهي التي تبني الفاعل في الوقت نفسه. وهو ما أشر إليه "انتوني جيدنز ."

8- الإطار المنهجي للدراسة :

فلقد استخدامنا البحث الميداني والمنهج الوصفي ودلك بتباع أسلوب المسح الاجتماعي،وأسلوب دراسة الحالة الذي مكننا من رصد الحياة اليومية لأفرد في المجالات الناتجة عن الموقف التي يتفاعلون ضمنها، ولقد تمت هذه الدراسة في مدينة تقرت في سنة2011 في ولاية ورقلة وهي منطقة صحراوية بالجنوب الجزائري تعرف تحول عمراني والاجتماعي كبرين اللذان مكننا من معرفة خصوصية المجالات الاجتماعية بمدينة تقرت .

أما التقنيات المستخدمة فلقد استخدمنا الملاحظة والمقابلة وكذلك السجلات والتقرير والوثائق الإدارية.وكل هذا لمعرفة خصوصية النموذج الثقافي للمجال الاجتماعي، والأساليب التي يستخدمها المتقاعدين في إعادة إنتاج مجال عملهم وأدوارهم المهنية ضمن مجالات الحياة اليومية.

-كما سمحت لنا هذه التقنيات والأساليب من تحديد المجالات العمرانية بمنطقة تقرت ودلك بتطرق إلى طبيعة البناء ونمط الشغل ،والهياكل والمؤسسة الإدارية المجودة بكل بلدية من بلديات مدينة تقرت، النشاط السائد في كل منطقة.وطبيعة العلاقات التي تربط أفراد المجتمع.ومن تقسيمها إلى أربعة بلديات [أ،ب،ج ،د]

-المسح الاجتماعي ودراسة الحالة يسمح لنا من معرفة خصوصية الثقافية لمجالات العمل المختلفة التي كان يتفاعل معهاالمتقاعدون،كما مكنتنا من معرفة خصوصية المهن المختلفة،وكيف يعمل المتقاعدون على إعادة إنتاج هويتهم المهنية من خلال تفاعلهم مع الحضارات المختلفة وهذا من خلال العودة إلى وعيتهم الذات .

الخلاصة:

فلقد كشفت لنا الدراسة الميدانية عن تصنيف المجالات العمرانية بمدينة تقرت إذ وجدنا منطقة وادي ريغ تنقسم إلى مجالين عمرانيين مجال عمراني ريفي و مجال عمراني حضري .

- المتقاعد وإعادة إنتاج لهويته ومجالات تفاعله في الحياة اليومية :
- **لمجال العمراني الريفي :**

كشفت النتائج أن المتقاعد بعد انتقاله من الخصوصية الثقافية لمجال العمل إلى خصوصية النموذج الثقافي الريفي يعمل على إنتاج وإعادة هويته الفردية والاجتماعية. ويتم ذاك من خلال ما يلي :

- الوعي الذاتي للمتقاعد الذي يتم من خلال الوعي بأدوار الآخرين والعودة لممارسة الأنشطة المجودة في الحياة اليومية،وعليه ترى هذه المقاربة التفاعلية السوسيولوجية أن انتقال الإجباري للمتقاعد من مجال العمل إلى مجالات الحياة الاجتماعية ينعكس على تفاعله ويتحدد انطلاقا من واقع المجالات الاجتماعية وخصوصية النموذج الثقافي الذي يتفاعل معه ومدى تطابقها من حيث طريقة التفاعل والوعي بالأفكار المتداولة في مجال عماله، من هنا يحث التغير في أدوار الفرد ومركزه

الاجتماعي و نظرا الاختلاف بين مستويات ثقافة جماعة ما وأخرى،ولا يتوقف الاختلاف عند مجال الجماعات الاجتماعية المتمايزة بل انه يظهر في صلب تكوين المجتمع الواحد.حيث تظهر الفوارق بين الفضاءات الاجتماعية وتظهر حالة الوقوف علي خصوصية الوعي الذي يعكسه المجال الاجتماعي. فالمتقاعد الواحد يمتلك خصوصيته الثقافية ولكن من دون التقاطع مع المنظور الثقافي العام للجماعة يعيش حالة اغترب فالمتقاعد في الريف التقرتي لا يدخل في حالة في اغتراب أثناء تفاعله مع المجالات الاجتماعية اليومية لأنه يرجع لنشاط البديل والمتمثل في العمل الفلاحي بدراجة الأولى وغيره من الأنشطة لدلك نجد :

•تعمل المجالات الاجتماعية على إنتاج المجال العمراني من خلال الأنشطة التي يمارسها المتقاعدين والذين يقومون بإعادة إنتاج هذه المجالات الاجتماعية ضمن خصوصية النموذج الثقافي للحياة اليومية.

•أن أغلب الحالات التي عالجنها تنتقل من الخصوصية المجال التنظيمية المهنية(إدارية كانت أوصناعية أو تجارية أو الخداماتية)إلى الخصوصية الثقافية للحضارة الفلاحية وتلاؤمهم معها لأنها النشاط الرئيسي السائد .

•أن أغلب المتقاعدين في المجالات الريفية والمتمثلة في بلديات [أ،ب،ج] يتجهون إلى العمل الفلاحي،وتبين لنا أن البلديات الريفية تمتلك نفس الخصوصية الثقافية.

•أوضحت نتائج الدراسة أن المتقاعدون في شتى المجالات المهنية يمتلكون هوية فاعلة ويعملون على إعادة إنتاجها عند أدائهم لأدوارهم السوسيولوجية في الحياة اليومية و تفاعل بشكل كبير مع المجال الفلاحي. و أن المتقاعد في المجال الريفي يستغل أغلب وقت فراغه في المجال الفلاحي بحيث تنتج لديه ثقافة فلاحية .

•أغلب المتقاعدين في المجال الريفي مستواهم التعليمي منخفض ويتميزون باتساع شبكة أدوارهم الاجتماعية وهو ما يؤدي إلى اتسع دائرة علاقات المتقاعد الواحد بحكم الارتباط بتغير العلاقات الذي تجسده مستويات انتقاله من مجال العمل وتفاعله مع سوسيولوجيا الحياة اليومية،ليكتسب رؤى وتصورات جديدة لكن التصورات الجديدة التي يكتسبها هذا المتقاعد،لا تعني انقطاعه عن المعارف السابقة التي اكتسبها بل أن النماذج الثقافية يتم بلورتها وتنظيمها من خلال ترشيح القيم والمعايير الجديدة بالقديمة في خضم تفاعل المتقاعد مع المجال سوسيوثقافي للحياة اليومية.

– المجال العمراني الحضري :

أظهرت النتائج أن المتقاعد بعد انتقاله من الخصوصية الثقافية لمجال العمل إلى خصوصية النموذج الثقافي للمجال الحضري يعمل على إنتاج وإعادة هويته الفردية والاجتماعية عن طريق الأدوار السوسيو مهنية التي يقوم بها في المجال الاجتماعي الحضري يتميز بتنوع الأنشطة المجودة فيه ،والمتمثلة في النشاط التجاري بدرجة الأولى وأنشطة أخرى لدى توصلت الدراسة إلى النتائج التالية :

– أن أغلب المتقاعدين يتنوع مستواهم التعليمي و يمارسون أعمال مختلفة تغطي أوقات فراغهم ، وهناك من يتجه إلى المجال التجاري وهذا لاتساع دائرة التجارة في المنطقة.

– ومن نتائج التي توصلنا إليها أن المتقاعدين يتنافسون مع الخصوصية النموذج الثقافي الحضري نظرا للعوائق التي يعمل على إنتاجها المجال الاجتماعي .

– أغلب المتقاعدين في المجال الحضري يطالبون بالاستفادة من خبرتهم في مجالات عملهم ،وبأن يستفيدا الشباب من خبرتهم .

–توصلنا بأن بلدية [د] تشكل المركز الحضري بالمنطقة وتتنوع فيها العلاقات الاجتماعية،وأن أغلب المتقاعدين في كلا المجالين يحافظون على مكانتهم ويعملون على تحقيق ذواتهم ضمن المجال الاجتماعي .

•يشكل العمل مجال التفاعل الرئيسي بعد الأسرة في إنتاج هوية الفرد،فإن المتقاعد في تفاعله مع خصوصية النموذج الثقافي ريفيا كان أو حضاريا لكي يتمكن من إنتاج وإعادة هوية المهنية،وذلك عن طريق اكتساب أدوار اجتماعية سوسيولوجية التي ينتجها الفرد والتي تتحكم في أفعاله و تسمح له بتحقيق هويته وذاته و يشكلون هوية خاضعة .

•وقت الفراغ الذي يمثل عاملا أساسيا في تغير هوية المتقاعد فعلى المتقاعد أن يستغله في الأنشطة التي تسمح له بتوسيع دائرة مكانته من خلال الأدوار التي يقوم بها بالقيام بأعمال والتخطيط الأنشطة المختلفة سواء داخل المنزل أو خارجه من على المستوى الفردي أو الجماعي .

والمخطط المولي يشرح المراحل النظرية لهذه العملية :

وعليه فإن المتقاعد لا يعيش وضعية تقاعد بصورة آلية وميكانيكية وحتمية من خارج ذاته،بل يعيش هذه الوضعية انطلاقا من المعاني الذاتية الخاصة به التي تشكل نموذجه الثقافي الخاص الذي يترجم ويفهم مضامين هذه الوضعية ويدرك ذاته ويفهم هويته في المجال الاجتماعي التفاعلي الذي يتواجد فيه وبناء على كل ذلك يؤسس نموذجه الديناميكي لأفعاله وتفاعلاته.لهذا فالمتقاعد في انتقاله من خصوصية الثقافيةلمؤسسة العمل إلى المجال الاجتماعي للحياة اليومية ،فإنه يسعى إلى إيجاد (قواعد،موارد) من أجل إبراز قدراته على إعادة إنتاج مجال تفاعله المهني.فليتمكن المتقاعد من إعادةإنتاج مجال تفاعله المهني يحتاج المصادرالتالية:

-أولا ملكية وسيلة الإنتاج:أي المؤهل الذي يستطيع من خلاله ممارسة نشاطه مهنيه.

-ثانيا علاقات السلطة وذلك من خلال تفاعله مع أعضاء الجماعة التي ينتمي إليها .

-ثالثا تاثير جماعات التوزيع وهو ما يسمه "فيبر" جماعات المكانة .

وعليه يتم التغير الاجتماعي من خلال تغير مجموعة الأدوار الاجتماعية المنظمة التي يقوم بها المتقاعد والتي تتصل بمجال معين من مجالات الحياة الاجتماعية والتي تخضع لمعايير وقواعد اجتماعية، ومن هنا فإن إنتاج وإعادة إنتاج المجالات الاجتماعية يتم بممارسة الذات الاجتماعية لأفعالها ويتم عن طريق التفاعل اليومي وجه لوجه في زمان ومكان معاينين وهو ما ذهب إليه "انتوني جيدنز ."

قائمة المراجع :

-1أمزيان نعيمة ، الاثارالسوسيو اقتصادية لحدث التقاعد على فئة العمر الثالث، رسالة ماجستير في علم الاجتماع الديمغرافي،منشورة، جامعة الجزائر، 2005.

2- Pretti,P.O." Voluntary and Involuntary Retirement of Aged Males and their Emotional Satisfaction, Use-fulness -1975.Vol .6.(2)pp 131.138

-3سعيد بن أحمد شويل الغامدي، اتجاه المعلمين نحو التقاعد المبكر في مدينة مكة المكرمة و علاقته ببعض المتغيرات، جامعة أم القرى ، مذكرة الماجستير، منشورة ، المملكة العربية السعودية،2002.ص2

-4بيان محمد عبد الرحمان سماعة،اتجاه معلمي المدارس الثانوية الحكومية في محافظات شمال الضفة-فلسطين نحو التقاعد المبكر و اثر بعض المتغيرات عليه، مذكرة ماجستير في الإدارة التربوية، منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس- فلسطين، 2008 .ص12،13

-5ليلي عبد الله محمد جمال شرف،توافق المتقاعدين مع الحياة الأسرية والاجتماعية في مدينة جدة، رسالة ماجستير ،مشورة، المملكة العربية السعودية، 2008 .

-6بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت، 1978.ص

-7 Alain Touraine La Sociologie de l'action OPCIT P.P.37 à 70

-8بن صنيتان، ، التقاعد، المركز العربي للدراسات الأمنية : الرياض ،السعودي،1993.ص15

-9باركر (ستنالى) ،العمل والتقاعد،ترجمة ممدوحة محمد سلامة،مجلة علم النفس ،العدد 6 ،1988 ،ص ص91،98

Schenkman- Atchley, Robert C. The Sociology of Retirement Cambridge-10 .New York. P 1976. 8

-11محمد المهدي بن عيسى وإيناس بوسحلة، مداخلة بالملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات

الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري،أيام 27 28 29 فيفري 2010 ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة الجزائر،ص 09

-12الشريف الجرجاني، التعريفات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1988 ، ص 257.

- 13 C. HALPERN, Identité (s) l'individu la groupe, la société, sciences humaines, Editions, 2009p p28,32

-14عبد الله الشامي رشاد ، إشكالية الهوية ، الكويت : سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة

الفنون والآداب ، 1997 ، ص 8

-15محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان و الهوية ، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، الجزائر،2003. ص97

-16 M. G.Mugny, Psychologie sociale expérimentale, Cours de Mars 2001 ,P9

-17 ORIL,M. les identités collectives en question .in bulletin IDERIC , 1989, P8

-18-محمد المهدي بن عيسى،علم الاجتماع التنظيم (من سوسيولوجية العمل إلى سوسيولوجية المؤسسة)،ط1، مطبعة امابلاست للطباعة والنشر، الجزائر، 2010 ، ص 239.

-19-محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع ،دط ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006.ص50

-20-في الخصوصية الثقافية May, 24, 2009, 01:31:45

: 04bb14.netsolhost.com/.../Moataz%20Abdel%20.

-21-محمد المهدي بن عيسى، مرجع سابق، ص78

-22-من تحليل الأستاذ الدكتور المشرف محمد المهدي بن عيسى في إطار حصص الإشراف ودراسات مخبر الهوية الفردية والجماعية في ظل التحولات والتشكلات الاجتماعية للمجتمعات (مخبر السوسيولوجيا في جامعة قاصدي مرباح ورقلة.)

-23-عبد الرازق أمقران،في سوسيولوجيا المجتمع دراسات في علم الاجتماع،ط1،المكتبة العصرية،الجزائر،2009 .ص 193

-24-محمد مسلم ،مقدمة في علم النفس الاجتماعي،ط1،دار قرطبة،الجزائر،2007ص ص 20 ،21.

-25- حمادي منوبية ،هوية العامل المتقاعد وتفاعلاته بعد انتقاله إلى الحياة الاجتماعية اليومية، دراسة ميدانية بولاية ورقلة ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير،منشورة،جامعة ورقلة،الجزائر ،2013/2012.ص 78

تحليل لمفهوم سيكولوجية البدانة

أ.كريمة مقاوسي
جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الملخص:

البدانة كما تعرف علميا بأنها الزيادة في الشحوم المختزنة في الجسم وتعد عاملا فعالا في الإصابة بالأمراض المهددة لحياة الإنسان لخطر الموت حيث تتسبب في إصابة الإنسان بالعديد من الأمراض المزمنة كالسكري وارتفاع ضغط الدم والسرطان...الخ .

هناك عدة أسباب لها علاقة بالإصابة بالبدانة ، سواء البدانة المتمركزة في البطن او البدانة المتمركزة في الوركين منها :أسباب عضوية وأخرى وراثية، ونفسية....الخ.، ومن خلال الدراسات التي أجريت على البدانة توصلوا إلى أن هناك العديد من القواسم المشتركة بين مختلف الشخصيات التي تعاني البدانة ،وكذلك حاولوا الربط بين نمط البدانة ونمط الشخصية لدى البدين.

الكلمات المفتاحية:البدانة ،البدانة المتمركزة في البطن،البدانة المتمركزة في الوركين، تحليل شخصية البدين، سمات شخصية البدين.

Abstract :

Obesity defined scientifically as being the augmentation of fats stocked in the human body, and it can cause many illnesses which can menace the human life such as :diabetes, high blood pressure, cancer….etc.

There are other causes of obesity, whether the android obesity or the gynoid obesity.

Among them we can mention: organic, genetic or psychological ones.

Different studies were made to find the relationship between the type of obesity , and the type of personality of obese people, and they all realized that people suffering from this problem share many common points between them.

Keywords: Obesity, android obesity, gynoid obesity, obese personality analysis, personality type obese

مقدمة

في جسم الإنسان يوجد الكثير من الخلايا الشحمية مكلفة بتخزين الفائض من الطاقة في الجسم، وتكون هذه الأخيرة على شكل لبيدات Lipides، إن مجموع الخلايا الشحمية هذه يطلق عليها "الكتلة الشحمية " تكون في الجسم بنسب متفاوتة بين الأشخاص وذلك حسب السن و الجنس، إن وجود زيادة واضحة في هذا النسيج يعطينا ما نطلق عليه بالبدانة l'obésité، ولقد أصبحت البدانة ضريبة الحياة الراقية وفرط التغذية في العديد من البلدان وهي عامل هام جدا فيما يدعى المتلازمة المميتة أو المربع المميت والذي يتضمن :

- البدانة .
- الداء السكري.
- ارتفاع الضغط الشرياني .
- فرط الشحوم الثلاثية في الدم .

وتعد البدانة الاضطراب الإستقلابي الأكثر شيوعا، حيث يعادل انتشارها 20-30 % وقد يصل في بعض الأحيان إلى أكثر من 50% من مجموع السكان في بعض المجتمعات، ومن المعروف أن النسيج الشحمي يزداد حصرا في حال كون الوارد من الطاقة على شكل أغذية يفوق المقدار المطلوب لقيام أعضاء الجسم المختلفة بوظائفها المتنوعة، وبعبارة أخرى تنتج البدانة عن اضطراب في توازن الطاقة ينجم إما عن زيادة الكمية الواردة من الطاقة أو عن نقص في استهلاك تلك الطاقة، ولكن غالبا تعكس البدانة زيادة في الطاقة الواردة أكثر من أن يكون ذلك تعبيرا عن نقص في استهلاكها.[1]

1-تعريف البدانة وأعراضها وأنواعها:

1-1تعريف البدانة : هناك تعاريف عديدة للبدانة نذكر منها ما يلي:

-تعريف وائل أبو هندي:" البدانة هي مشكلة معقدة نتيجة لمجموعة من العوامل النفسية والجسدية والاجتماعية تبدأ من الطفولة وتستمر طوال حياة الفرد.

يتبين من هذا التعريف أن البدانة ليس لها سبب معين وإنما تعود إلى عدة عوامل منها ما هو نفسي ومنها ما هو اجتماعي ومنها ما يعود إلى سبب جسدي، وكلها مرتبطة بمراحل الطفولة وتستمر معه خلال النمو.

-"تعرف البدانة على أنها الوزن الجسدي الذي يزيد عن 20 % من الصفات العامة للطول والوزن" [2]

يتضح من هذا التعريف أن زيادة وزن الشخص أكثر من 20 % من الوزن الطبيعي تعتبر بدانة.

-"هي تراكم الدهون تحت الجلد وداخل مكونات الجسم بشكل عام"

يتضح من هذا التعريف أن البدانة تحدث بسبب ازدياد حجم الخلايا الدهنية أو بزيادة عددها.

نستنتج من خلال ما سبق أن البدانة عبارة عن الوزن الجسدي الذي يزيد عن 20 % من الصفات العامة للطول والوزن وتؤدي إلى وجود الكثير من الدهون وهناك عوامل عديدة تشترك وتؤدي إلى ظهور البدانة منها العوامل الجسدية، والاجتماعية، وكذلك اختلال في السعرات الحرارية .

1-2أعراض البدانة:

1 - اضطراب العمليات الأيضية راجع إلى الزيادة في الوزن:

*تذبذب في نسبة الدهون.

*ارتفاع نسبة البولة في الدم.

*احتمال الإصابة بمرض السكري.

2 - الأمراض التي تنجم عن البدانة:

*ارتفاع ضغط الدم.

*حصى المرارة.

*تصلب في الشرايين. [3]

ومن أعراض البدانة أيضا :

-عدم القدرة على تحمل الحرارة.

-انقطاع التنفس عند القيام بأي مجهود.

-يمكن أن ترى رواسب من الدهون في الفخذين والبطن والتي تسبب الإساءة للشخص[4].

1- 3أنواع البدانة :

بالنظر إلى تشعب هذا الموضوع وتداخل أسبابه النفسية الجسدية الوراثية والبيئية الاجتماعية فقد كان من الصعب حصر كل الأنواع المنبثقة عن هذه الأسباب، وسنكتفي في هذا البحث بعرض الأشكال العيادية الأكثر شيوعا والأكثر تداولا بين الباحثين سواء في الكتب الأجنبية أو العربية وهي :

1-3- 1البدانة المتمركزة في البطن:OBESITE ANDROIDE:هذا النوع من البدانة هو أكثر حدوثا لدى الذكور منه لدى الإناث، حيث يصيب الإناث في مرحلة النشاط الجنسي، أحيانا تصيب الأطفال قبل سن البلوغ.[5]

الكثافة الدهنية تخص:البطن-الجذع-الرقبة-الوجه-الورك-الأطراف السفلية، بمعنى أن الدهون تتركز على البطن ثم تغزو تدريجيا كل الجزء العلوي للجسم[6].

البدانة المتمركزة في البطن تخص غالبا الأشخاص كثيري الأكل والشرب، وحصيلتهم الغذائية تثبت أن لديهم استهلاك حريري كبير جدا، هذا النوع يتميز بمضاعفات كثيرة على مستوي القلب-والشرايين-والعمليات الأيضية وتؤدي على المدى الطويل إلى مرض السكري-تصلب الشرايين- ارتفاع نسبة الكولسترول في الدم- ارتفاع نسبة البولة في الدم، هذا النوع يسهل تداركه كليا أو جزئيا بالحمية الغذائية، إذا كانت مضاعفاته في مرحلتها الأولى.(7)

1-3-2-البدانة المتمركزة في الوركين :OBESITE GYNOIDE: هذا النوع من البدانة هو الأكثر حدوثا لدى النساء في مرحلة النشاط الجنسي وتظهر مع بداية البلوغ، الهرمونات الأنثوية هي المسؤولة عن تركيز الدهون في الجزء السفلي من الجسم على شكل خط أفقي مرورا بالصرة (8).

الكتلة الدهنية تكون بصفة كثيفة على الحوض ثم تنزل إلى الفخذ إلى الركبتين ثم الكاحل(9).

الأبحاث في ميدان الغذاء بالنسبة لهؤلاء الأشخاص بينت أن البدانة لديهم لا تعود إلى الإفراط في الأكل وإنما إلى نسبة بروتيد/الدهون الغير المتوازنة، ويعود الفضل في هذا التقسيم للعالم ج. فاقو "J-VAGO"، وهذا التقسيم جليل الفائدة، إذ أنه يساعد على تحديد احتمالات حدوث التأثيرات الجانبية للبدانة، فالبدانة المتمركزة في الوركين تؤدي إلى الدوالي-الفتاق والآم المفاصل وأمراضها أما مضاعفاتها على القلب والشرايين والعمليات الأيضية فهي أقل حجما من البدانة المتمركزة في البطن. (10)

حيث يرى العالم وولف سميث "WOLF SMITH" بأن نوعية الشحوم المتمركزة في البطن هي أكثر خبثا وخطورة من الشحوم المتمركزة على الوركين، إذ أن الشحوم في البطن تحتوي على أحماض دهنية مؤذية تترسب تدريجيا داخل الأوعية الدموية لتتسبب لاحقا في انسدادها.(11)

هذا مع العلم بأن التقسيم العيادي ينظر بعين الاعتبار إلى السن الذي تبدأ فيه ظهور البدانة، وعلى هذا الأساس تقسم البدانة إلى:

-البدانة المبكرة:وهي التي تحدث قبل سن العشرين وتسمى هذه البدانة بالنمو المبالغ في جسم المريض، وهي كناية عن زيادة عدد الخلايا الدهنية، وهذه الزيادة تتحدد في سن العشرين لتبقى ثابتة بعد ذلك، حيث تجعل من علاج هذا النوع من البدانة عسيرا إذا لم نقل مستحيلا، وهي عادة تتركز حول الوركين.

-البدانة المتأخرة : وهي التي تحدث بعد سن العشرين، وفيها يكون عدد الخلايا الدهنية طبيعيا إلا أنها تكون ضخمة بحيث يصل حجمها إلى100 ميكرون في حين أن الحجم العادي للخلية الدهنية لا يتعدى 20-30 ميكرون، وهذا النوع من البدانة يتركز عادة حول البطن، وهو أسهل علاجا من البدانة المبكرة. (12)

2-قياس البدانة: قبل التطرق لقياس البدانة يستلزم معرفة الوزن المفضل الذي يجب أن يتمتع به كل إنسان وذلك باللجوء إلى قياسات ومعادلات حسابية، من بين هذه القياسات مؤشر كتلة الجسم BMI"INDEX BODY MASS" الذي هو مقياس متعارف عليه عالميا للتمييز بين البدانة والنحول والوزن المثالي .

مؤشر كتلة الجسم الذي حددته منظمة الصحة العالمية، يرتبط بمتغيرين بسيطين هما الوزن والطول وفقا للمعادلة التالية:

مؤشر كتلة الجسم =الوزن بالكيلوغرام / مربع الطول بالمتر(13).

مثال : عندما يكون شخص طوله 1م و 55 سم والوزن 75 كلغ فيكون حساب مؤشر كتلة الجسم كما يلي:

مؤشر كتلة الجسم=75/(1.55)(1.55)=31.25 وبالتالي هذا الشخص يعاني من البدانة

ويعطي هذا المؤشر فكرة عن نسبة الشحوم في الجسم، فلو قمت ذات مرة بحساب قياساتك بنفسك كشخص بالغ فسوف تعرف أن هناك أرقاما عالمية تخبرك بأنك تحت الوزن الصحي أو الطبيعي أو فوق الوزن الصحي أو تعاني البدانة فإن مؤشر كتلة الجسم يكون كالتالي.(14)

تحت الوزن الصحي	18.5
طبيعي	19.5-18.5
يعاني من البدانة	أكثر من 20

3-العوامل التي تؤدي إلى البدانة:

كثيرا ما يتبادر إلى الذهن عند الحديث عن البدانة السؤال التالي:هل إذا أفرط الإنسان في طعامه فقط يزداد وزنه ويصبح بدينا؟ أم هل يصبح الإنسان بدينا لعدم ممارسته الرياضة؟

والحقيقة أنه ليس كل من يفرط بالأكل يصبح بدينا، ولا كل من يمارس الرياضة نحيفا، فالإفراط في الأكل وحده لا يؤدي بشكل منفرد إلى البدانة، بل المسألة ابعد من ذلك، فهناك أسباب عديدة تساعد في حدوث البدانة، وهناك العديد من الأشخاص الذين نراهم يفرطون في تناول الطعام، إلا أن وزنهم طبيعي أو ربما يكون زائدا قليلا، فما هي الأسباب الحقيقية للبدانة؟

إن الأسباب المؤدية لظهور البدانة متعددة وليست محددة في سبب واحد، بل ربما يكون تراكم بعض الأسباب لدى معظم البد ناء سبب لذلك، ومن أهم تلك الأسباب أو العوامل نجد ما يلي:

3-1-العوامل الجينية والوراثية: قد يكون الميل إلى البدانة أمرا وراثيا حيث يمكن أن تورث جوانب من فسيولوجيا الجسم من الآباء، وقد يعاني الشخص من خلل وراثي بسبب زيادة وزنه، فإذا ما كان أحد الوالدين يعاني من البدانة فإن أطفاله يتعرضون لذلك بنسبة 25-30% وتصل هذه النسبة إلى 80% إذا ما عانا كلا الوالدين من البدانة، كما أن هناك أدلة على أن الاستعداد للبدانة يورث أيضا، وقد أثبتت بعض الدراسات أن 25-40 % من حالات البدانة ترجع إلى العوامل الوراثية.(15)

وبينت دراسات أن أطفال الآباء البدينين له احتمال اعلى على حدوث البدانة عند البلوغ من اطفال الآباء الغير البدينين، وهذا وراثي بشكل كبير، ويفترض أن هناك تأثيرات وراثية على كمية الغذاء أو ربما حتى تفضيلات للأطعمة ذات القيمة المغذية على المنخفضة في حدوث البدانة.(16)

وهذا في واقع الأمر هو ما عالجته "مجلة نيوانكلند الطبية" الأمريكية في تقريرين نشرتهما مؤخرا، ويظهر منهما رجحان كفة التكوين الوراثي "الجيني" كعامل مؤثر على درجة البدانة، حيث قام علماء من الولايات المتحدة والسويد بتحليل سجلات الأوزان والأطوال على توائم متبناة، ولدى استعراض أولئك العلماء المعلومات المتعلقة بأحوال "247" توأما مثيلا "أي من بويضة واحدة لكل توأمين و"426" توأما عاديا"أي من بويضتين لكل توأمين"، تبين لهم أن التوأمين المثيلين يكبران وهما محتفظان بوزن متشابه حتى ولو تربيا في كنف أسرتين مختلفتين من حيث النمط المعيشي، وأن الأكثر احتمالا بأن يكبروهما أشبه شكلا بوالديهما الطبيعيين منهما بالزوجين الغريبين اللذين يتبنيانهما، وفي ذلك يقول ستانكارد"STANKARD " من جامعة بنسلفانيا أنه إذا كان

أحد الأبوان الطبيعيان كلاهما بدينين فإن الأطفال الذين ينجبانهما يكونون بدينين أيضا، لدى حوالي80%من الحالات.[17]

إذا العلاقة واضحة بين الوراثة وبيئة الشخص:الآباء يمدون أبناءهم بالجينات، وفي صدد الحديث عن الجينات، قال باحثون بريطانيون أن جينا منتشرا جدا يبدوا أنه يجعل الناس عرضة للإصابة بالبدانة وهذا الجين له تأثير على"DNA "، حيث أجريت دراسة مسحية لأكثر من نصف الأوروبيين الذين يعانون البدانة، موجود لديهم هذا الجين، الذي يؤثر على مناطق في المخ متصلة بالشهية .

من خلال ما سبق نتوصل أنه إذا كان أحد الوالدين يعاني البدانة أو كلاهما فهناك احتمال كبير أن يورث الأبناء هذه البدانة، أما من ناحية الجينات فهناك جين يكون مسؤولا على البدانة لأنه يؤثر على مناطق في المخ متصلة بالشهية.

3-2-العوامل الغذائية: إن أي نقطة تحول في تاريخ استهلاك الإنسان للمواد الغذائية أصبح واضحا، حيث أن عدد الأفراد الذين لديهم نظام غذائي غني جدا أي أكثر من اللازم يساوي آو يتجاوز العدد الذي لديهم نظام غذائي سيئ.[18]

وذلك يرجع إلى أن المجتمعات مرت بعدة مراحل تطورت فيها الحياة الاجتماعية والاقتصادية بسرعة وبصورة غير تدريجية توفرت فيها المواد الغذائية بصورة كبيرة وبنوعيات هائلة ولم يتبع هذا التطور توعية صحية لتحديد الاختيار وتنظيم الغذاء وكان هناك غياب وقصور للتوعية الصحية والغذائية ولم تعطي الأهمية الملائمة مما تسبب في ظهور طفرة في الوزن في معظم البلاد العربية مع عدم ممارسة الحركة والمشي والخلود للراحة والاسترخاء والنوم بعد الوجبات الدسمة.

-انتشار الأغذية والمشروبات والتي تزود الجسم بالطاقة الحرارية العالية والخالية من العناصر المغذية وتحرم الجسم من تناول الأغذية المفيدة بما تسببه من شبع لدى من يتناولها دون فائدة.

-زيادة تناول الوجبات السريعة والمختلفة ذات السعرات الحرارية العالية بدون تنظيم وبصفة مستمرة له دور مهم في انتشار البدانة.[19].

إذا الإفراط الزائد في تناول الأغذية في مرحلة الطفولة يؤدي إلى زيادة الخلايا الدهنية، حيث يمكن أن يتحدد النسيج الدهني بطريقتين:

-زيادة عدد الخلايا الدهنية.

-زيادة حجم الخلايا الدهنية.

إذا البدانة مرتبطة بتناول كمية كبيرة من الأطعمة والسكريات منها بشكل خاص، هذا يعني زيادة كميات الطاقة الواردة، الأمر الذي يؤدي إلى تخزين البروتينات، السكريات في الأنسجة وذلك ضمن عملية التمثيل الغذائي، وانطلاقا من هذا المبدأ يرى بعض الأطباء بأن علاج البدانة يجب أن يتوجه للتقليل من رغبات المريض الغذائية ومن نهمه، ويختلف هؤلاء فيما بينهم حول طريقة تحقيق هذا الهدف العلاجي، فيلجأ بعضهم إلى استعمال العقاقير المسماة بمضادات الشهية بالرغم من أثارها السلبية، في حين يرى قسم آخر من الأطباء أنه يمكن تخفيف من شهية البدين عن طريق استهلاك الأطعمة المحتوية على الألياف الفقيرة بالمردود الغذائي.[20]

ومن هنا نتوصل إلى إن الإفراط في استهلاك الطاقة، وأيضا نوعية الغذاء، يلعبان دورا هاما في حدوث البدانة.

3-3-العوامل البيئية: وزن الجسم محدد من قبل تفاعل حيوي معقد وعوامل بيئية، الجينات لا تستطيع توضيح أن الأشخاص الذين ينتمون إلى بيئات اقل بدانة تزداد بدانتهم عندما ينتقلون إلى بيئات تكثر فيه نسبة البدانة، التفسير لذلك زيادة البدانة بسبب البيئة الحديثة، اختيار الغذاء الغير صحي، إلى جانب غزو الأسواق بالأطعمة الجاهزة التي تشجع زيادة

استهلاك السعرات الحرارية، في المقابل ليس هناك أي نشاط طبيعي يقوم به المراهقون لحرق هذه السعرات على الرغم من توصيات الخبراء بالقيام بتمارين رياضية لمدة 30د يوميا[21] .

إن المرء يتزايد استهلاكه من الغذاء بتأثير واحد أو أكثر من العوامل التالية:

-العادات الغذائية المكتسبة من سلوك الوالدين.

-فقدان القدرة على السيطرة والتحكم ونقص العزيمة والإرادة والضعف أمام الاستجابة لإغراء تناول الطعام[22]

إن الزيادة الهائلة في انتشار البدانة خلال السنوات 20 الماضية هو تعبير عن تغيرات جذرية في المجتمع الحديث لما يتوفر عليه من الأطعمة الغنية بالدهون والمستساغة جدا والمرتبطة بنمط الحياة والتي تزيد من السعرات الحرارية من الكربوهيدرات والبروتينات[23].

نستنتج من هذا بأن السلوك والتعلم وأنماط التغذية وتغيير البيئة التي يعيش فيها الشخص كلها عوامل تؤدي إلى البدانة.

3 -4-الغدد والهرمونات: قد يكون وراء القليل جدا من حالات البدانة تتعلق بالغدد أو الهرمونات، وإحدى هذه المشكلات المرضية هي "قصور الغدة الدرقية" حيث لا تفرز القدر الكافي من هرمون "الثيروكسين" الذي يضبط معدل الأيض، ومن بين المتاعب الأخرى المتعلقة بالهرمونات والتي تسبب زيادة الوزن ما يعرف بمتلازمة "كوشينج" هي حالة نادرة تحدث بسبب زيادة افراز هرمون "الكورتيكوستيرويد" في الجسم وقد يتسبب في البدانة أيضا كل من الأنسولين الذي تفرزه البنكرياس، وعند حقن الجسم بالأنسولين يتزايد الإقبال على تناول الأغذية وذلك بسبب أن الأنسولين يعمل على تخفيض مستوى السكر في الدم، الأمر الذي يزيد من الإحساس بالجوع والرغبة في تناول أغذية بكميات اكبر، وكذلك هرمونات الهيبوتلاموس وهرمونات الغدة النخامية، وقد تؤثر الهرمونات الجنسية على البدانة، فعند البنات يتحدد مستوى دهون الجسم أثناء المراهقة بتوازن الهرمونات الجنسية الأنثوية، وتحدث التغيرات في الطاقة والرغبة في أنواع معينة من الطعام خلال مراحل متعددة من الدورة الشهرية[24] . توصل الباحثون في مجال الغدد والهرمونات إلى نتيجة مفادها بأن انخفاض كمية الطاقة التي يستهلكها الجسم هي السبب الرئيسي المؤدي للإصابة بالبدانة، وقضى هؤلاء الباحثون سنوات عديدة في سبيل إثبات صحة فرضيتهم القائلة بأن انخفاض الأيض الأساسي" الذي هو كمية الطاقة اللازمة للجسد كي يقوم بعملياته الحيوية التنفس، نبض القلب، حيث كلما زاد وزن الجسم زاد معه الأيض الأساسي، وفي الحالة الطبيعية هناك تعادل بين الطاقة الواردة والطاقة المستهلكة، واختلال هذا التوازن يؤدي إلى مظاهر عيادية مختلفة، فإذا زادت الكمية المستهلكة أدى إلى الهزال، أما إذا زادت الطاقة الواردة أدى ذلك إلى البدانة " الناجم أصلا عن كسل إفراز الغدة الدرقية هو المسؤول بشكل أساسي عن الإصابة بالبدانة، ويرى هؤلاء الأطباء بأن لا فائدة ترجى من تعاطي الحبوب المخفضة للشهية في علاج البدانة وذلك من خلال اعتمادهم على العقاقير المحتوية على الهرمونات الدرقية لأن من شأن هذه الهرمونات أن ترفع الأيض الأساسي، فهي تزيد من استهلاك الجسم للطاقة الواردة إليه وهكذا تعالج البدانة، ومن أكثر حجج هؤلاء العلماء حجة العالم دافيدسون"DAVIDSON" القائلة بأن الإنسان العادي يستهلك حوالي 12طن من المواد الغذائية خلال 25عاما ومع ذلك نلاحظ بأن وزنه لا يزيد بأكثر من كيلوغرام واحد فقط طيلة هذه المدة

ويخلص"دافيدسون" إلى نتيجة مفادها بأن الجسم يمتلك آليات فيزيولوجية معينة تقوم بتعديل استهلاك الأطعمة تبعا لحاجات الجسم من الطاقة، وبذلك تحافظ هذه الآليات على التوازن بين الطاقة الواردة وبين الطاقة المستهلكة، كما

يرى "دافيدسون" بأن هذه الآليات الفيزيولوجية المعدلة هي ذات طبيعة عصبية هرمونية تتركز أساسا على المراكز العصبية الموجودة في ما تحت المهاد[25] . يتضح من ذلك أنه يوجد العديد من الهرمونات ذات تأثير قوي على عمليات التغذية والقدرة على المحافظة وثبات الوزن نذكر منها هرمون النمو الذي تفرزه الغدة النخامية، هرمون الثيروكسين الذي تفرزه الغدة الدرقية، الهرمونات الجنسية وغيرها، وعند حدوث اختلال في واحد أو أكثر من هذه الهرمونات فإن ذلك يؤثر تأثيرا مباشرا في وزن الإنسان.

3-5-تقلص وانعدام النشاط البدني: لم يكن الإنسان على مدى تاريخ البشرية أكثر خمولا واقل حركة مما أصبح عليه في السنوات الخمسين الأخيرة إذ تزامن ضعف النشاط البدني مع تطور وسائل التقنية والرفاهية التي أنعمت بها الإنسانية وبالذات في مجال الاتصالات والمواصلات، ومع ما ساهم به التقدم السريع للمجتمعات الحديثة من ايجابيات، إلا أن هذه الرفاهية والراحة أثرت في نمط الحياة اليومي للفرد سلبيا وترتبت عليها عادات سيئة الكل يعيها:كسل-خمول مفرط- الم في الظهر..الخ وتدمير صحة الفرد عل المدى البعيد مما أدى إلى تضخم المشكلات الصحية والنفسية على الفرد ومن ثم المجتمع وانتشار الأمراض التي نطلق عليها "أمراض العصر" أو أمراض نمط الحياة كالبدانة، الداء السكري وأمراض الشرايين، وهذه المشكلات تزداد انتشارا بطريقة تدعو إلى القلق ليس فقط لأنها تصيب نسبة عالية من الناس بل لأنها أيضا بدأت تظهر في أعمار مبكرة من المفترض أن تكون هي السن الأكثر إنتاجية في عمر الإنسان، لقد أصبح قلة النشاط البدني مشكلة تتسارع في الانتشار وخصوصا في المجتمعات التي تقدمت سريعا، حيث أصبح الإنسان معتمدا على الآلة، ونقص اعتماده على نشاطه البدني وبذلك فقد الإنسان إحدى أهم وظائفه ككائن ينتقل بجهده من مكان إلى آخر.[26]

من الناحية المثالية يفترض أن يدوم النشاط الجسدي اليومي 30 دقيقة تقريبا إذا كان معتدل الكثافة قصد حرق جيد للوحدات الحرارية، أما النشاطات الأقل كثافة فتحتاج إلى المزيد من الوقت حتى تفضي إلى النتائج نفسها.

لكن الواقع المعيشي والحركي يعكس وجود إجراءات تبعد كل أشكال التعب الجسدي عمدا من المهن وأنماط الحياة، مع مساهمة التقدم التكنولوجي في التقليل من النشاط الجسدي(خاصة في البلدان المتقدمة) مما زاد من صعوبة حرق الوحدات الحرارية الفائضة واللافت أن أصحاب الوزن الزائد يكونون عادة اقل نشاطا على الصعيد الجسدي من أصحاب الوزن العادي. [27]وهذا ما ذهبت إليه الدراسة التي أجراها كل من ليبمان Leibman وآخرون عام 2003 بدراسة هدفها تقويم العلاقة بين مؤشر كتلة الجسم ومتغيرات نمط الحياة المتعلقة بالنشاط البدني والتغذية الصحية من خلال دراسة مقطعية وذلك باستخدام استبيان تم توزيعه على 8487 شخص، وقد بلغت نسبة الذين لديهم مؤشر كتلة الجسم أكثر من 25 كغ/م^2 65%، أظهرت الدراسة ارتباطا سلبيا بين مؤشر كتلة الجسم وممارسة الأنشطة البدنية، وارتباطا سلبيا بين مؤشر كتلة الجسم وتناول الأطعمة الغنية بالألياف.[28]

والسبب يكمن عادة في الثقل الملقى على عاتق مفصلي الركبتين في وضعية الوقوف مثلا قد يؤثر سلبا على نشاط ذلك الشخص حيث تصبح حركات الركبتين محدودة كثيرا أو بالتوازن يكون النشاط محدودا إجباريا والذي يعطي فرصة الاقتصاد في الطاقة الحرارية وهذا ما يساعد على بقاء البدانة .[29]

والعاملان السابقان هما النظام الغذائي و قلة النشاط الحركي في استمرارهما مع بعضهما البعض يؤديان إلى تأكيد البدانة. [30]

وفي محاولة لتفسير ذلك، قارن الباحثون العادات الغذائية ومستويات النشاط الحركي (الجسدي) وأحجام أجسام الصينيين الذين يعيشون في أمريكا الشمالية وولدوا في أسيا، لكنهم يعتمدون أنماط حياة مختلفة عن تلك التي يطبقها الصينيون الموجودون في أسيا، فالصينيون في أسيا يستهلكون وحدات حرارية أكثر مما يفعل الصينيون في أمريكا الشمالية، لكنهم يستمدون نسبة ضئيلة من وحداتهم الحرارية من الدهون مما يفضي إلى وزن اقل وجسم نحيل، والواقع يرتكز غذائهم مبدئيا على النباتات ويحصلون على 30 % من البروتينات من مصادر غير حيوانية كما أنهم ينفقون المزيد من الوقت في ممارسة نشاطات حيوية مثل الركوب على الدراجات الهوائية والمشي ويخصصون وقت للجلوس اقل مما يفعل الصينيون.

في أمريكا الشمالية، هؤلاء الذين ازدادت ساعات جلوسهم، كما يعتمدون على النظام الغذائي الأمريكي كلما مضى وقت أطول على وجودهم نتيجة ذلك تزداد عندهم حالات البدانة وزيادة الوزن عموما مع زيادة معدلات الأمراض المزمنة مثل :السرطانات والسكتة الدماغية [31]

في الماضي كان الأفراد نشيطين جسديا لان العمل يتطلب جهدا عضليا أما التقدم الهائل في التكنولوجيا فيجب على الأفراد أن يجدوا وقت الفراغ ومصادر مالية للحفاظ على صحتهم من خلال الاشتراك في النوادي أو شراء أجهزة لكي يكونوا نشيطين، إضافة إلى ذلك خطر الشوارع المزدحمة يثبطان من عزيمة المرور العادي، حيث مهما كانت المسافة قصيرة فإنها تتم بالسيارة. [32]

3-6-العوامل النفسية: إن بدايات البحث في هذا المجال كانت على يد العالم الكسندر"ALEXANDER" الذي عاد بالعادات الغذائية إلى المراحل الفمية والشرجية، حيث يرى بأن العوامل النفسية من شأنها أن تؤثر في التوازن الهرموني وبالتالي في إفراز الغدد، كذلك تؤثر في شهية الشخص وعلى كمية الطعام التي يتناولها، وترى كذلك أن البدانة مرض جسدي يعود في جذور نشأته لأسباب نفسية، وفي دراسة أجراها باحثو جامعة "مينيسوتا" كانت نتيجتها اعتراف 44 % من المفحوصين بأنهم يزيد استهلاكهم للطعام لدى تعرضهم للإرهاق النفسي.

حيث لاحظ الباحثون خلال مسح عام لألفي شخص أن 47 % من المراهقين التهموا الطعام بسبب الملل والكآبة وقد شعروا بالندم بعد الأكل وتمنوا لو كانوا نحفاء.

إذا يلعب العامل النفسي دورا كبيرا في التحكم في شهية الإنسان ووظائفه اليومية، وتؤثر العوامل النفسية بشكل مباشر على نوعية الأكل وكيفيته، فهناك كثيرا من الناس يأكلون بشراهة عند إحساسهم بالحزن أو الضجر أو الغضب.

كما وجد أن بعض الأشخاص البدينين يعانون من النهم العصابي، فهم يأكلون كميات كبيرة جدا من الأطعمة الدسمة في وقت قصير، ثم يحاولون التخلص من الطعام عن طريق إحداث القيء أو القيام بالتمارين العنيفة للتخلص من الطاقة الزائدة، ويوجد في الدماغ مراكز مسؤولة عن الشهية والجوع والشبع وتنظيم الوزن، تعطي هذه المراكز الشعور بهذه الأحاسيس وتجعل الشخص يأكل الكمية الكافية لإمداد الجسم بطاقة تكفي لاحتياجه، وفي حين أن مراكز التغذية تجعل الشخص يقدم على الطعام، فإن مراكز الشبع تعمل على كبح أو إيقاف مراكز التغذية مما يجعل الشخص راغبا في التوقف عن تناول الطعام، والية عمل مراكز التغذية معقدة جدا، وهناك عدة أسباب تساعد في إرباك عمل مراكز التغذية، ومنها الضغوط النفسية والعوامل الوراثية كما سبق، وهذه المراكز حساسة جدا بحيث أن اقل ضغط نفسي يمكن أن يحدث خللا عميقا في عملها وبالتالي يؤدي إلى زيادة مفرطة للوزن، كما أن البدانة قد تكون احد الأعراض المهمة لبعض الأمراض النفسية وخاصة الاكتئاب، إذ قد يلجأ المصاب بمرض الاكتئاب إلى الفرار من مشكلته النفسية بتناول القدر الكبير من الطعام، بل إن أي حزن عميق، أو كآبة شديدة، أو حداد مؤلم، أو هموم طويلة أو إفراط في التفكير وغيرها من الضغوط النفسية يمكن أن تخل بتوازن الشهية مما يؤدي بالتالي إلى البدانة[33]

ووجدت دراسة أجراها "أندروهيل " ANDROHILمن جامعة "ليدز" أن 14 % من الأشخاص في عمر"13 و18 عاما" يتعرضون للسخرية لكونهم بدناء، وذلك على الرغم من أن ما يقرب من نصف هؤلاء الأشخاص لم يكونوا مصابين بالبدانة من الوجهة الطبية، وقال أن كل هؤلاء الذين يتعرضون للسخرية يبدوا عليهم نقص تقدير الذات وعدم الرضا عن أجسادهم، كما يكونون أكثر عرضة لقلة التحصيل الدراسي، وتتسم نظرتهم للعمل بالتدني ويعانون العزلة الاجتماعية، وقد أظهرت الأبحاث أن البدينين يشعرون بإعاقة تفوق إعاقة من فقد أحد أطرافه مما يؤدي به إلى اضطراب عملية تناول الطعام.(34)

من هنا نتوصل انه ليس هناك خصائص نفسية(نموذجية)لتفسير حدوث البدانة أو تأثيرها على سلوك الغذاء، فالبدانة آلية دفاعية ضد بعض الصدمات التي يتعرض لها الفرد في حياته.

وهناك بعض العوامل المؤدية للبدانة وتؤثر فيها بشكل ثانوي منها:

-عامل الجنس -عامل السن-الأدوية –المراهقة(35)

4-تحليل شخصية البدين: إذا كنا في مجال مناقشة البدانة من الوجهة النفسية فلا بد لنا من تناول شخصية البدين في ضوء التحليل النفسي، وفي هذا الصد نركز على البدين الذي أصيب بالبدانة قبل بلوغه سن العشرين، خلال الدراسات التي أجريت على البدين توصلوا إلى أن هناك العديد من القواسم المشتركة بين مختلف الشخصيات التي تعاني البدانة وأبرزها :

1- إدمان الطعام: إن البدين ينظر للطعام على أنه موضوع مغر، جذاب لا يقاوم ولكنه مخيف في الوقت ذاته وهذا بغض النظر عن أنواع الأطعمة الذي يدمنونها، وهذا المشهد يمثل الغذاء بطريقة ساحرة وفاتنة ولكن أيضا فاحشة في ذات الوقت، وذلك بحيث يتركز تفكير الفرد واهتمامه على الغذاء ولا شيء غير الغذاء، فالبدين يحس بأن في جسمه فراغ لابد من سده حتى ولو أزعجه ذلك، بل وأحيانا يجعله يقرف من نفسه إلا أنه يحس بنقص لا يمكن احتماله ولا يعوض إلا من خلال الطعام، فالبدين يحس أيضا بأن هذا الشيء (الطعام) السحري هو الوحيد القادر على تخليصه من قلقه النفسي وتعويض شعوره بالفراغ في الوقت ذاته، ومن هنا ينشأ هذا التعلق بالطعام ذلك الشيء المحبوب والمكروه في آن معا (ثنائية العواطف) تدفع بالبدين إلى الحالة التي نسميها بإدمان الطعام، فالبدين يحقق كفاية نرجسية من خلال الأكل ولكن هذه الكفاية لا تلبث أن تتحول إلى جرح نرجسي لمجرد رؤية صورته في المرآة على أن مادة الإدمان هنا سهلة ومتوفرة إذ تكفي بعض النقود لشرائها، وهو قد يقوم بهذا العمل (التهامها) بشراهة أو بتردد، بحب أو بكره، بقرف أو باشتهاء ولكنه في النهاية يلتهمها .

مما تقدم نستطيع أن نقول بان هؤلاء المرضى هم في الواقع مدمنون- مدمنو- طعام فالعلاقة المشروحة أعلاه هي علاقة ادمانية تمثل نكوصا طفو ليا نحو الغذاء، ومدمن الطعام يلجأ له ويباشر تناول طعامه كلما وجد نفسه أمام ضغوطات نفسية، صراعات، نزوات داخلية، عوامل ضغط خارجية .

إذ إن البدين أمام هذه الأوضاع يحس بحاجة لتعويض فوري، والطعام بالنسبة إليه هو أسهل التعويضات وأقربها لمتناول يده.

ولو أردنا مناقشة ظاهرة إدمان الطعام من وجهة نظر طبية لوجدنا أن السلوك الغذائي لهؤلاء المرضى يخضع لرقابة عصبية آلية من قبل المراكز العصبية اللحائية المسؤولة أساسا عن الأعمال الإرادية، وهذه الرقابة إنما تتم عن طريق الناقلات العصبية، ولكننا نود أن نذكر في هذا المجال بأن الجسم الإنساني وإن كان يخضع لرقابة عصبية في تحديد وزنه إلا أنه قادر في الوقت ذاته على التكليف مع زيادة أو نقصان الشحم في جسمه ضمن حدود معينة وهذه الحدود

تحددها الوراثة لوحدها، وعند هؤلاء المرضى المصابين بالبدانة تكون الرقابة العصبية لسلوكهم الغذائي هي رقابة معطلة أو على الأقل فهي مشوشة وهم يبدون بالفعل وكأنهم لا يستطيعون التحكم بما يدخل أجسامهم.

2– الإرادة المسلوبة: إن حديثنا عن إدمان الطعام يفسر وجها من وجوه فقدان البدين لسيطرته على نفسه أمام الطعام الذي يسلب إرادته، ومن ناحية التحليل النفسي فإن المسبب الرئيسي في ذلك هو "الأم"، إن البدين يسقط بدانته على أمه وإحساس البدين بملكية أمه له، هي التي تسلبه إرادته، إن التحليل النفسي انطلاقا من تحديده للنرجسية الأولية والنرجسية الثانوية يرى بأن الطفل عندما يولد لا يملك القدرة على تأمين استمرارية حياته وهو يتبع أمه أو من يقوم بدورها لتأمين هذه الاستمرارية، وفي هذه المرحلة يدرك الطفل المفهوم التشريحي لجسده وهدا ما يسميه المحللون بالجسم الأول، و الجسم الأول هو الجسم ذو الحاجات أي أنه الجسم الفيزيولوجي وبعد تأمين هذه الحاجات يبدأ الجسم الثاني أو الجسم الشهواني بالظهور الذي يسيطر على الجسم الأول، والطفل يحس بملكية أمه له سواء في جسمه الأول الذي تؤمن الأم استمرار يته أو في الجسم الثاني حيث تؤمن الأم للطفل كفايته الغلمية وخاصة خلال المرحلة الفمية وهذا ما أدى بالمحللين إلى استعمال صفة "الفائقة القوة للأم في هذه المرحلة" LA MERE TOUTE PUISSANTE

3–الطعام كعامل تعويضي: كما رأينا أثناء تعرضنا لدور الأم في إحداث اضطرابات السلوك الغذائي لدى طفلها، فإن الأم عندما لا تستجيب لحاجات طفلها بشكل ينسجم مع هذه الحاجات فإن الأم تضع طفلها أمام خيارين:

فهو إما يرضيها بقبوله الطعام الذي تقدمه له وإن كان لا يعجبه وهذا ما يحدث عادة في حال وجود رغبة لدى الأم في تذويب طفلها .

أما الخيار الثاني فهو طبعا امتناع الطفل عن تناول هذا الغذاء لأنه لا يعجبه وبهذا يمارس هذا الطفل أولى مظاهر تمرده، ففي الحالة الأولى يتحول الطفل إلى البدانة التي تكرسها العلاقة الذوبانية مع الأم، أما في الحالة الثانية فإن الطفل يتحول إلى الهزال، وهكذا نلاحظ بأن الطعام عند البدين هو دعوة للأم لتظهر عطفها ولتذوبه فيها وهو يلجأ له كعامل تعويضي كلما أحس بحاجة للأمن العاطفي وللدعم المعنوي.

4–الطفل –القضيب: إن عملية الولادة تترك للأم شعورا بالفراغ في بطنها، والأم وإن تظهر ردة فعل نفسية ظاهرة عقب الولادة إلا أن غالبية الأمهات اللواتي وضعن حديثا يعشن هواما يختلف حدة من حالة لأخرى ليأخذ طابعاً ذهانيا في بعض الحالات مفاده بأن الطفل لا يزال داخل بطنهن، حتى أن بعضهن يعشن هذا الهوام لفترة طويلة، فهن وإن رأين الطفل ينمو أمامهن إلا أنهن يرفضن أن يقطعن الحبل المشيمي بمعنى أنهن يتابعن افتراضهن بأن هذا الطفل يرتبط بهن من خلال حبل مشيمي –نفسي وهمي بالطبع، وانطلاقا من عقدة غياب القضيب فإن هؤلاء الأمهات يعاملن الطفل وكأنه قطعة مفقودة من جسدهن تماما كإحساسهن بفقدان القضيب، وهكذا فإن هذه الأم تعتبر طفلها بمثابة قضيب ويزداد هذا الاعتبار عندما يكون الطفل ذكرا، وهذا الاعتبار يدفع المرأة لرفض الوظيفة الأبوية لأنها تريد أن يكون هذا الطفل ملكا خاصا لها لا ينازعها احد في هذه الملكية، وهي إما أن تعرض طفلها وكأنه قطعة رائعة وإما أن تخبئه وتخفيه ولكن غالبا ما تتراوح تصرفات الأم بين الموقفين، وهذا ما يوضح الإرادة المسلوبة التي شرحناها، هذا ما يجعل غالبية البد ناء يدركون دور أمهم وإن كانوا لا يستطيعون تفسير تفاصيل هذا الدور ويسقطون بدانتهم عليها[36]

5–غياب الهوية الذاتية: مما تقدم توصلنا بأن البدين يعيش إحساسا بإيحاء من أمه مفاده بأنه لم يغادر قط بطن أمه، وبالتعبير التحليلي فهو يحس بأنه زائدة قضيبية "appendice phallique" لأمه، وفي مرحلة المراهقة حيث تبتدأ النرجسية فإن البدين يصبح تواقا لممارسة غرائزه الذاتية، وفي هذه المرحلة فإن المراهق الذكر يحصل على استقلاليته بسهولة اكبر من الفتاة لأن ممارسة الشاب لغرائزه هي أكثر سهولة من ممارسة الفتاة لغرائزها وعندما تجد الفتاة عقبات

تمنعها من ممارسة هذه الغرائز فإنها تصب كل اهتمامها على غريزة التغذية فتجد فيها تعويضا نرجسيا، وصعوبة ممارسة الفتاة لغرائزها هو السبب في أن النساء هن غالبية في الإصابة بمرض البدانة .

وهكذا فإن الطعام بعد أن كان في البداية تأمين استمرارية الحياة تحول إلى لذة غلمية في فترة الرضاعة أثناء المرحلة الفمية فإلى رغبة في إرضاء الأم وتجنب غضبها أثناء المرحلة الشرجية ومن ثم تحول الطعام كما رأينا إلى عامل تعويضي لفقدان الشعور بالأمان أثناء المرحلة الأوديبية وهاهو يتحول أخيرا أثناء المراهقة إلى متنفس للتعويض عن الحرمان من ممارسة الغرائز وعن الكبت.

6-العلاقة الذوبانية :لقد اتضحت هذه العلاقة من خلال ما تناولناه سابقا فالطفل يستجيب لأمنية أمه بالاحتفاظ به في بطنها من خلال رغبته في الذوبان في هذه الأم، والبدين يتمنى لو أنه لم يولد ولم يترك بطن أمه الرائعة ويتمنى لو أنه عاش في جسدها وتنعم بداخله إلى الأبد على أن ثنائية العواطف لدى البدين تدفعه إلى الخوف من أمه، الهرب منها، كرهها ومحاولة التملص منها وما إلى ذلك، إلا أنه يدرك بأن تحقيق رغبته بالذوبان في أمه إنما يعني موت رغبته، موت شهواته وجنونه وهذه المخاطر الثلاث هي اكبر وأصعب مخاوف الإنسان.(37)

وهكذا نصل إلى نتيجة مفادها بأن رغبة البدين بالذوبان في أمه إنما تقف عند حدود معينة فهو يدرك بأنه ليس كلية ملك لأمه، ووالدة البدين تستخدم ابنتها البدينة كتوظيف، ولكن لهذه الأم توظيفات شهوانية أخرى من فنية وأدبية ودينية وغيرها، وعندما تعي البدينة انشغال أمها بهذه التوظيفات فهي تدرك استحالة أن تكون أمها لها لوحدها، مما يتسبب في إحباطها، ومن خلال هذا الإحباط تبدأ مشاعرها بالنقص.

وإذا كان الهزيل يرفض الطعام إصرارا منه على التحرر من الذوبانية والهرب من استحواذ الأم، فإن البدينة تقبل على الطعام وتبالغ فيه رغبة منها في تأكيد رغبتها الذوبانية، فعن طريق الطعام تحس البدينة بأنها تتقرب من أمها وتستعيد في ذاكرتها المرات الأولى لشعورها بالكفاية عن طريق ثدي الأم

من خلال هذا المنحى التحليلي فإن الإفراط في الطعام قد يكون دفاعا تمارسه البدينة أمام الموت، ورغبتها فيه وصولا للذوبان في أمها والعودة إلى الفردوس المفقود بتعبير المحللين النفسانيين، ففي هذه الحالة فإن كل لقمة تلتهمها البدينة إنما تكون بديلة لرغبتها في الموت مع احتفاظ هذا البديل "الطعام" بطبيعته كواحد من أنواع التدمير الذاتي الذي تمارسه البدينة نحو نفسها.

7-الطعام بوصفه كفاية نرجسية: ولالتهام الطعام لذة أخرى فالأكل الذي تتناوله البدينة خلسة إنما يشعرها بانفصالها عن أمها، ثورتها عليها وتأكيدا على استقلاليتها، وثنائية العواطف هذه هي التي تجعل من الطعام حلا هروبيا من العقدة الذوبانية ومن فكرة الموت المرافقة لها، فالطعام هو شيء يمكن للبدينة امتلاكه والتمتع به بمعزل عن الآخرين والطعام بهذا يختلف عن الأم التي لا يمكن للبدينة امتلاكها بسبب اهتمام الأم بتوظيفات أخرى غير ابنتها البدينة، هكذا يتحول الطعام في النهاية إلى كفاية نرجسية تؤمن للبدين نشوة ذاتية لا تحتاج إلى موضوع، إذ أن البدينة في وجود الطعام تستطيع أن تقول لنفسها :"أنا لا أحتاج إلى أخر، وحتى أنت يا أمي فأنا لا أحتاجك فقد وجدت بديلا عنك لا يسبب لي الإحباط الذي تسببه لي أنت من خلال انشغالك عني بأمور أخرى"، على أن العزلة المرافقة للبدينة إنما تشكل ملاذا للبدينة تهرب إليها من العالم الخارجي

5-سمات شخصية البدين:لقد حاول بعض العلماء أمثال "جوردن البورت"GORDON ALLPORT، "شلدون"CHELDON ، " ابراهام ماسلو"ABRAHAM MASLOW"الربط بين نمط البدانة ونمط الشخصية، إن مريض البدانة يتصف بالسمات الشخصية التالية:

-**المزاج الدوري**:وهي شخصية متفتحة على العالم اجتماعية تحب الناس مرحة ولكنها لا تطيق الحياة بمفردها وتنجح في المجالات الاجتماعية ولكنها في الوقت ذاته تصاب بنوبة كآبة وحالة هبوط عام في الروح المعنوية وميل شديد إلى العزلة والانطواء ثم تعود ثانية للمرح والانطلاق.

فنحن إذا راقبنا مريض البدانة لرأيناه يأكل عندما يفرح، عندما يحزن، عندما يضطرب وعندما يهدأ، فالبدين إذن يستجيب لكافة المثيرات الاجتماعية والنفسية بالأكل.

-قلة الحركة والنشاط.

-قلق وتوترات نتيجة الإهمال والحرمان.

-يوجه عدوانيته نحو ذاته، فنجده يسرف في طعامه حتى يصاب بالبدانة[38].

6-البدانة والصحة: كان من المعتقدات السائدة قديما أن البدانة من علامات الصحة والعافية، ومظهر من مظاهر القوة، ويظهر أن ذلك كان نتيجة لما يعانيه المجتمع آنذاك من فقر وضعف وقلة تغذية، أما اليوم ومع انتشار الخيرات وتنوع المأكولات فقد أصبحت البدانة داء يجب الحذر منها، وبذل الجهد للوقاية من حدوثها، وعلاج من يعانون من أثارها.

6-1-الآثار الصحية للبدانة: إن البدانة ليست مشكلة جمالية أو نفسية فقط، وإنما هي مشكلة صحية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، فالأشخاص الذين يحملون حوالي 20 % من وزنهم زيادة على الوزن الطبيعي يكونون أكثر عرضة لكثير من المشكلات الصحية ومنها الموت المبكر بنسبة تساوي ضعف غيرهم من الأشخاص ذوي الأوزان الطبيعية وتظهر على شكل:

6-1-1-السرطان: أظهرت العديد من الدراسات وجود علاقة بين البدانة والسرطان وذلك بسبب زيادة الدهون في الجسم، حيث ترتبط بشكل كبير بالوفاة بسرطان الرئة-القولون المستقيم -الكبد -البنكرياس وكذاك سرطان الكلى.[39]

خلصت دراسة في عام 2003 إلى أنه كلما زاد وزن الشخص، زادت فرص تعرضه للإصابة بالعديد من أنواع السرطانات، فالدراسة التي قامت بها جمعية السرطان الأمريكية على900000 من الأفراد فوق سن السادسة عشر خلصت إلى أن زيادة الوزن يمكن اعتبارها عاملا متسببا في 20 % من الوفيات بسبب السرطان في النساء و14 % في الرجال، وقد ظهر ثمة ارتباط بين العديد من الأورام السرطانية بما فيها أورام المعدة وعنق الرحم وبين البدانة .

فالدهون ترفع كمية الأستروجين في الدم مما يزيد من أخطار الإصابة بسرطانات الجهاز التناسلي، وخلصت نفس الدراسة إلى أن البدانة تتصل بشكل مباشر بسرطانات البنكرياس والكبد والمعدة.

6-1-2-داء السكري:يلازم داء السكري "النوع الثاني" عادة البدانة لدى البالغين ومن ثم يشار له غالبا بالسكري المهاجم للكبار، والنوع الثاني من داء السكري هو مرض ممتد مدى الحياة "مزمن" حيث يعجز البنكرياس عن إنتاج الأنسولين الكافي أو تصبح أنسجة الجسم مقاومة للأنسولين، وهذا الأخير ضروري بشكل أساسي للجسم من اجل توظيف وتخزين الطاقة ويقوم بذلك من خلال التحكم بمستوى السكر في الدم، وحينما تفشل هذه الآلية بسبب عدم وجود انسولين كاف أو عدم استخدامه بشكل مناسب فإن مستوى السكر في الدم يجب أن يتم التحكم فيه من خلال النظام الغذائي وبعدها تبدأ أعراض هذا المرض في الظهور، وفي حالة عدم التحكم في المرض فقد يضر بالعين والقلب والكليتين والأوعية الدموية والأعصاب، وقد أجريت دراسة طويلة على 51 من المرضى الكنديين في سن 17 سنة إلى 33 سنة ممن أصيبوا بالنوع الثاني من داء السكري وتم تشخيص حالاتهم في سن 17، وقد خلصت هذه الدراسة أن نسبة منهم قد ماتوا بسبب أمراض تتعلق بالسكري وآخرون أصيبوا بالعمى في سن 20، وتم بتر إصبع قدم آخرين منهم، كما أنه في 56 حالة حمل على مدى الدراسة انتهت 35 حالة فقط بمواليد أحياء.

في منطقة الخليج يستدل من دراسة وطنية أجريت مؤخرا في دولة الإمارات على 6609 فرد في عمر 18 سنة، أن نسبة انتشار مرض السكري من النوع الثاني تبلغ 19.6 %، كما يوجد 15.2 % من أفراد المجتمع لديهم اعتلالات في استقلاب السكر وهذا راجع إلى السعرات الحرارية التي يستهلكها الفرد يوميا، حيث كانت النتيجة الطبيعية لهذا التغيير ارتفاع معدلات البدانة[40]

6-1-3- الالتهاب العظمي المفصلي: يؤثر هذا النوع من اعتلال المفاصل على مفاصل الركبة والفخذ وأسفل الظهر، وتمثل البدانة ضغطا إضافيا على هذه المفاصل مما يؤدي إلى تآكل الغضاريف التي تحميها وينتج عن ذلك الم والتهاب بالمفصل وألم أسفل الظهر التي تعد من أشهر المشكلات الصحية المعتادة التي تسببها البدانة.

6-1-4-ضغط الدم المرتفع: يعد ضغط الدم المرتفع من الآثار الجانبية للبدانة، كما يعتبر واحد من العوامل المهددة بالإصابة بأمراض القلب، وكلما اكتسب الشخص وزنا اكتسب أنسجة دهنية، وكما في الأعضاء الأخرى من الجسم فإن هذه الأنسجة تعتمد على الأكسجين والمغذيات في الدم حتى تبقى، ومن ثم يتزايد الاحتياج للأكسجين والمغذيات، كما تتزايد كمية الدم التي تدور في الشرايين، ويتدفق المزيد من الدم فيها وهذا يعني ضغطا زائد على جدران الشرايين واكتساب الوزن بسبب زيادة مماثلة في مستوى الأنسولين، وزيادة هذا الأخير يصاحبه احتباس الصوديوم الملح والماء، مما يزيد كثافة الدم، أضف إلى ذلك أن زيادة الوزن تصاحبها غالبا زيادة حركة القلب وتقليل في قدرة الأوعية الدموية على نقل الدم، وكل تلك العوامل قد تزيد من ضغط الدم، حيث أثبتت إحدى الدراسات التي أجريت في عام 2004 أن مستويات ضغط الدم لدى المراهقين قد ارتفعت بشكل كبير منذ 1988 وذلك بسبب زيادة الوزن.

6-1-5-البهر: "التوقف المؤقت للتنفس أثناء النوم":يعد ذلك من المشكلات الخطيرة أيضا التي تزيد معدلاتها بين الذين يعانون البدانة بشكل خاص، ويحدث البهر أثناء النوم عندما يتوقف الشخص عن التنفس لفترات قصيرة حوالي 10 ثواني أو أكثر وذلك بسبب الوزن الزائد والدهون حول منطقة الرقبة حيث تغلق الأنسجة الرخوة في الحلق ممرات الهواء بشكل متقطع أثناء النوم، وفترات توقف التنفس هذه قد تتعدد لما يقرب من مائة مرة في الليل مما يتسبب في مشكلات الصداع والإعياء وذلك كله يعد من التأثيرات المقلقة .

ويعتبر بعض الخبراء هذه الحالة ببساطة نتاجا لتراكم الدهون، فقد تبين أن معظم الذين يعانون من اختناق النوم لديهم مؤشر وزن جسم يتعدى 20 % كما أن الرقبة الضخمة مرتبطة باختناق النوم عند الرجال والنساء الذين يشخرون، وفي الإجمال يكون الرجال الذين يتعدى حجم رقبتهم 43 سم، والنساء اللواتي يتعدى حجم رقبتهم 40سم أكثر عرضة لاختناق النوم

ففي إحدى الدراسات وجد توقف التنفس أثناء النوم عند 77 % من المبحوثين الذين لديهم مؤشر كتلة الجسم فوق 30 %. [41]

6-2-البدانة مرض سيكوسوماتي: أشار بعض الأطباء النفسانيين والجراحين العالميين أمثال "ماكسويل مالتز"MALTAZ MAXWAL و "روك"ROCK إلى أن الأمراض السيكوسوماتية هي التي تصيب بعض وظائف الجسم أو بعض الأجزاء منه، وتكون هذه الأمراض من الحدة بحيث تقاوم عمليات العلاج النفسي. ويؤكد "مايكل هالبرستام""M-Halberstame" على أن الانفعالات والعوامل النفسية تلعب دورا بارزا في أمراض الجسم مثل ضغط الدم، أمراض القلب، البدانة ....الخ وتعرف هذه الأخيرة على أنها زيادة الكتلة الشحمية في الجسم، ويرى "هالبرستام" أن الدراسات الإكلينيكية بينت أن نسبة 62-65 % من حالات البدانة ترجع إلى عامل نفسي بحت، ومن جهة أخرى أثبتت الدراسات في مجال علم الجراحة والأعصاب أن مركز الانفعالات ومركز الشبع يوجدان في الهيبوتلاموس، بالإضافة إلى مراكز

أخرى مثل النوم، الجنس، اللذة، لذلك فإن حالة القلق والانفعال الزائد تؤدي إلى تعطيل مركز الإحساس بالجوع والشبع، وبالتالي لا يشعر الفرد بالشبع فيتناول مزيدا من الطعام دون أن يدري بذلك، إلى أن يشعر الفرد فيما بعد بأن وزنه أصبح أكثر من اللازم، وأن منظر الجسم أصبح غير مرضي، مع اضطراب المظهر الخارجي للجسم تدريجيا مما يترك أثرا سيئا على جمال الجسم وعلى نظرة الفرد لذاته، ويؤكد أيضا "شاركوفسكي" "E.SHARKOVSKI" في جامعة صوفيا أن حالة البدانة ترجع إلى عوامل نفسية واضحة وقد تصاحب البدانة بعض الاضطرابات مثل : الأرق، اضطراب نظام النوم، أو زيادة النوم عن حدوده، ضعف وبرود جنسي، ويرى "شاركوفسكي" أن مثل هذه الحالات تستخدم الطعام كبديل لإرضاء النفس، والبدين إذا بدأ الطعام لا يتوقف عادة حتى ينتهي الطعام من أمامه أو حتى يشعر بالانزعاج[42].

ويرى علماء التحليل النفسي أمثال "فرويد"FREUD"، أدلر"ADLER"، "يونج"YUNG"، "سوليفان"SULLIVAN" أن الإنسان قد تدفعه دوافع لا شعورية إلى تناول الطعام بكثرة في حالات القلق الاكتئاب والضيق مما يؤدي إلى إصابته بالبدانة، وقد يحدث العكس ويحصل عنده فقدان شهية الطعام، أما أنا فرويد فتربط الشراهة بالطعام بحالة الفرد العائلية وأسلوب التنشئة الاجتماعية ومراحل نموه النفسي بحيث يصبح الفم مصدر اللذة والقناعة وهو مرتبط بالطفولة والرضاعة وناتج عن اهتمام الأم الزائد بالطفل واعتماده الكامل عليها أو إهمالها له والقسوة عليه وبين هذين النقيضين يقع الطفل ضحية ويجد في الطعام العزاء الأخير كحل نكوصي لهذا الصراع [43].

المراجع:

1-مرعشلي ،خالد و زيات ،مروان .(2000).البدانة بوصفها عامل خطر لحدوث ارتفاع الضغط الشرياني الحملي.*مجلة جامعة دمشق*. 16(2).ص98

2-بوبازين، أحسن.(2006).سيكولوجية الطفل والمراهق. سكيكدة :منشورات دار أمواج .ص172.

3-l'ENCYCLOPÉDIE DE LA SANTE DE A (1996).PSYCHOLOGIE.PARIS :HACHETTE.p408

4- JENNFER,T AND KELLY,B.(2007). OBESITY, COMBRIDGE UNIVERSITY PRESS.p798.

5-L'ENCYCLOPEDIE DE LA SANTE, opcit.p 409)

6- OMS.2003.p 7

7-): SERGE HALIMI.(2005). OBESITE.p3.

8 L'ENCYCLOPEDIE DE LA SANTE, opcit.p 409)

9- OMS,opcit, p7

10- SERGE HALIMI.opcit.p3

11- L'ENCYCLOPEDIE DE LA SANTE, opcit.p 409

12- NORMANB,A.(2004). ENCYCLOPEDIA OF HEALTHAND BEHAVIOR LONDON :SAGE PUBLICATIONS.p629

13- OMS,opcit. p1.

سوليفان ،كارين. (2005).كيف تساعد طفلك البدين. ط1.مكتبة جرير.ص22.-14

15- JENNFER,T AND.KELLY.B.opcit.p797

16. ANDERSON ,N.(2004). ENCYCLOPEDIA OF HEALTHAND BEHAVIOR, LONDON:SAGE PUBLICATIONS.p279.

17- عكاشة ،عبد المناف الطيبي.(1999).السمنة عند الأطفال. ط1. بيروت :دار الجيل.ص55

18-- JENNFER,T AND KELLY,B.opcit.p797.

19- بن عبد الاغا ،عبد المعين.(2007).البدانة عند الأطفال.جدة.ص.17.

20- ANDERSON ,N.opcit.p285.

21- JENNFER,T AND KELLY,B.opcit.p798

22- إيفلين، سعيد عبد الله . (2005).تغذية الفئات العمرية"الأصحاء،المرضى،ذوي الاحتياجات الخاصة" ط1. القاهرة :مجموعة النيل العربية.ص167.

23- CONSENSUS SUR LE TRAITEMENT DE L'OBESITE EN SUISSE II .2006.p15

24- إيفلين، سعيد عبد الله.مرجع سابق.ص165.

25- WWW.ECHCCONLINE.ORG

26- عمار ،محمد مصطفى .(2007).أهمية الرياضة والأندية الرياضية للنساء.كلية التربية البدنية والرياضية.ص1.

27- هنسرود ،دونالد .(2004).الحل الأمثل للتغلب على الوزن. ط2 .مكتبة جرير.ص36

28- فاضل ،إيمان محمد و العمادي ،احمد غلوم .(2005)."العلاقة بين السمنة ونمط الحياة لدى طلاب جامعة قطر من الجنسين"،*مجلة علم النفس العربي المعاصر*.1(2).ص.32.

29- بوزيت ،مراد .(1996).مرض السمنة. الجزائر :دار الهدى عين مليلة.ص27

30- Larousse Médicale,p 695.

31- ANDERSON ,N.opcit.p290.

32-- JENNFER,T AND KELLY,B.opcit.p798

33- الركبان ،محمد بن عثمان .(2009).البدانة"الداء والدواء".الرياض :مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر.ص ص 75،76.

34- سوليفان ،كارين.مرجع سابق.ص215.

35- L'ENCYCLOPEDIE DE LA SANTE. opcit.p 82

36- WWW.Q8MANAR.COM

37- WWW.Q8MANAR.COM

38- الزراد ،فيصل محمد خير.(2000).الأمراض النفسية الجسدية. ط1. بيروت :دار النفائس.ص233.

39- OBESITE.(2006). BILAN ET EVALUATION DES PROGRAMMES DES PREVENTION ET DE PRISE EN CHARGE. PARIS : LES EDITIONS INSERM.p10.

40- الهزاع ،هزاع بن محمد .(2004).النشاط البدني في مجابهة الأمراض المزمنة.*المجلة العربية للغذاء والتغذية*.5.ص3.

41- سوليفان ،كارين.مرجع سابق.ص ص 11،12.

42- الزراد،محمد خير .مرجع سابق.ص.231

43- عطوف ،محمود ياسين.(1988).الأمراض السيكوسوماتية. ط1. بيروت :منشورات يحسون.ص69.

المقاربات النظرية في معالجة مشكلات التنمية المستدامة

أ.يوسف بالنور
جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص

كان على مفهوم "التنمية المستدامة" أن يدخل بقوة داخل مضامين العمل البشري ، حتى يمكن أن يضع لنا حدا للمشكلات المتفاقمة للبيئة والمحيط الطبيعي ، وكما هو متعارف عليه بأن التنمية المستدامة في أبسط معانيها هي : الحد الأعلى من الكفاءة الإقتصادية للنشاط الإنساني ضمن حدود ما هو متاح من الموارد المتجددة وقدرة الأنساق الحيوية الطبيعية على إستيعابه ، مع ربطها بإحتياجات الجيل الحالي والأجيال القادمة ، بشرط أن تكون تلك الإحتياجات مما لا يلحق تهديدا جديا بالعمليات الطبيعية والمادية والكيميائية والحيوية ، وهذا يعني ضمنيا العمل على تقييد النشاطات الإنسانية ضمن نظام محدد بعناية ، يمكن من خلاله التحقق من عدم فرض أي أعباء إضافية على النسق الحيوي للأرض أو الأجيال القادمة . فما ينبغي العمل على إستدامته هو ذلك الوضع المتوازن بين إحتياجات الإنسان والطبيعة ، حيث يجب الإيفاء بمعظم إحتياجات الطبيعة لأن تحقيقها يعتبر أمرا حاسما للبشر ، وعليه ينبغي التأكيد عند معالجة المشكلة البيئية على ثلاثة أنواع من التوازنات ، وهي :

أ- توازن جغرافي : ويمثل التوازن بين المناطق وخاصة بين الشمال والجنوب .

ب- توازن بيئي : ويمثل التوازن بين الكائنات الحية .

ج- توازن بشري : يمثله التوازن بين الأجيال .

Résumé

Et il était sur le concept de «développement durable» qui pénètre fortement dans les conséquences de l'action humaine, de sorte qu'il peut nous mettre un terme aux problèmes croissants de l'environnement et le milieu naturel, et comme il est d'usage que le développement durable dans son sens le plus simple est: la limite supérieure de l'efficacité économique de l'activité humaine dans les limites de ce que est disponible à partir de ressources renouvelables et de la capacité des modèles dynamiques naturel logés, liée aux besoins de la génération actuelle et les générations futures, à condition que ceux-ci sont des besoins qui ne provoque pas une menace sérieuse pour le processus biologique naturel, physique, chimique et, ce qui implique le travail de limiter les activités humaines dans un système spécifique avec soin, peut grâce à la vérification de ne pas imposer un fardeau supplémentaire pour la mise en page dynamique de la terre ou les générations futures. Ce qui devrait travailler sur le développement durable est la situation de manière équilibrée entre les besoins de l'homme et de la nature, où il devrait répondre à la plupart des besoins de la nature parce que la réalisation est essentielle pour l'homme, et il convient de souligner quand aborder le problème de l'environnement sur les trois types de soldes, à savoir:

A- Un équilibre géographique: L'équilibre entre les régions, en particulier entre le nord et le sud.

B- l'équilibre de l'environnement: L'équilibre entre les organismes.

C- l'équilibre humain: l'équilibre entre les générations représentées.

مقدمة:

منذ أن تطور الإنسان وأكتشف أهمية الموارد الطبيعية التي وهبها له الله لينتفع بها ويستغلها لأغراضه الشخصية ، تطور كذلك تعامله مع البيئة التي يعيش فيها ، وكلما تقدم في هذا التطور كلما تعقد ذلك التعامل بينهما ، فمن طور الإنسان المستعمل للموارد الطبيعية في شكلها الخام ، أنتقل إلى طور تحويل المادة إلى شكل قابل للإستعمال خصوصا مع دخوله عصر الصناعة حيث أزداد ضغطه على البيئة بزيادة الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها من تنمية وإنتاج وإستهلاك ، وأصبح يستغل هذه الموارد بشراسة ، فنتج عن هذا الإستغلال الكثير من المشاكل الناتجة عن سوء تدبير الإنسان للبيئة ومحيطها ، بحيث لم

تعد تكتسي صبغة محلية محدودة ولكنها تفاقمت لتصبح إنشغالا دوليا ، وذلك لما لها من تأثير على الحياة بجميع أشكالها ، ولعل أكثر البلدان تضررا من المشكلات البيئية هي الدول النامية التي ليست لها القدرات والإمكانيات الكافية لا على صعيد الوقاية ولا على صعيد العلاج .

لقد أضحى حقيقة التنامي المفرط للنشاطات الإنسانية في إستغلال موارد الطبيعة في مقابل القدرة المحدودة للأنساق الحيوية الطبيعية مشكلة عالمية تؤرق الجميع ، ولذا كان على مفهوم "التنمية المستدامة" أن يدخل بقوة داخل مضامين العمل البشري حتى يمكن أن يضع لنا حدا للمشكلات المتفاقمة للبيئة والمحيط الطبيعي ، إن أحد أفضل التعريفات العملية الملائمة "للإستدامة "يمكن أن تتمثل في تحقيق الحد الأعلى من الكفاءة الإقتصادية للنشاط الإنساني ضمن حدود ما هو متاح من الموارد المتجددة وقدرة الأنساق الحيوية الطبيعية على إستيعابه ، مع ربطها بإحتياجات الجيل الحالي والأجيال القادمة ، بشرط أن تكون تلك الإحتياجات مما لا يلحق تهديدا جديا بالعمليات الطبيعية والمادية والكيميائية والحيوية ، أي أن هناك قيدا مزدوجا على التنمية المستدامة ؛ يرتبط جانب منه بأداء العمليات الطبيعية ، أما الآخر فيتعلق بالإيفاء بالإحتياجات الموضوعية ، فضلا عن الإحتياجات الإنسانية الحالية والمستقبلية ، ويمكن إعطاء تعريف آخر "التنمية المستدامة" هو أنها تمثل العلاقة بين النشاط الإقتصادي وإستخدامه للموارد الطبيعية في العملية الإنتاجية وإنعكاس ذلك على نمط حياة المجتمع ، بما يحقق التوصل إلى مخرجات ذات نوعية جيدة للنشاط الإقتصادي وترشيد إستخدام الموارد الطبيعية ، بما يؤمن إستدامتها وسلامتها دون أن يؤثر ذلك الترشيد سلبا على نمط الحياة وتطورها وإنسجاما مع هذه التعاريف ، ينبغي التأكيد عند معالجة المشكلة البيئية على ثلاثة أنواع من التوازن في هذا المجال وهي :

أ- توازن جغرافي : ويمثل التوازن بين المناطق وخاصة بين الشمال والجنوب .

ب- توازن بيئي : ويمثل التوازن بين الكائنات الحية .

ج- توازن بشري : يمثله التوازن بين الأجيال .

وهذا يعني ضمنيا العمل على تقييد النشاطات الإنسانية ضمن نظام محدد بعناية ، يمكن من خلاله التحقق من عدم فرض أي أعباء إضافية على النسق الحيوي للأرض أو الأجيال القادمة . فما ينبغي العمل على إستدامته هو ذلك الوضع المتوازن بين إحتياجات الإنسان والطبيعة ، حيث يجب الإيفاء بمعظم إحتياجات الطبيعة لأن تحقيقها يعتبر أمرا حاسما للبشر

إشكالية الموضوع :

لقد قام منذ فترة جدل كبير حول علاقة البيئة بالتنمية ، وذلك لتعقد هذه القضية وتقاطع مصالح كثير من المستفيدين بالمنافع المادية على حساب البيئة والمحيط الإجتماعي ، فالعلاقة بين هذين العنصرية الحيويين يشتمل على عدة مسائل منها الإجتماعية والإقتصادية والتاريخية والسياسية ، ففي البداية كان الناس يعتقدون أن المصالح البيئية لا تتفق وأهداف التنمية وخاصة في البلدان الصناعية ، لكن الآن أصبحت المفاهيم والمسائل المتعلقة بالبيئة والتنمية أكثر وضوحا وأصبح القول بمحدودية الموارد الطبيعية في هذا الكوكب تحظى بالقبول ، كما أن الطاقات الإستيعابية لأنظمة البيئة أصبح الكثير يتفق على تطويرها بما يحقق أهداف التنمية المستدامة .

وفي هذا الإطار أكدت كثير من الخبرات في إطار بحوث التنمية أن السعي لتحقيق النمو الإقتصادي ، كثيرا ما جرى على حساب التنمية الإجتماعية والحفاظ على المحيط البيئي ، وأن إعتبارات التوازنات المالية وإستقرار الإقتصاد الكلي قد طغت على الإعتبارات المتصلة بالجوانب الهيكلية والإجتماعية والبشرية والبيئية للتنمية وعليه يصبح من الضروري التأكيد على أمور أهمها :

أ- أهمية بلورة رؤية طويلة المدى للتنمية المستدامة التي تراعي تنمية المحيط الإجتماعي والبيئي .

ب- والإلحاح على مساهمة الدولة في تنفيذ هذه السياسة ، بحكم إمتلاكها للقدرات المادية والسياسية ، إذ تسمح لها بفرض هذه الرؤية على كل الهيئات الإقتصادية سواء على مستوى القطاع العام أو الخاص .

ج- ثم التأكيد على معالجة مشاكل البيئة وبخاصة المشاركة الجماهيرية التطوعية الفعالة تعد أمور مهمة بالنسبة للتنمية المستدامة .

وبهذه الإعتبارات جميعا يمكن تحقيق فعالية أكبر في تنفيذ إستراتيجية تنموية مستديمة ، وفي توفير مقاربة شاملة تضع برامج مثلى بإمكانها أن تجابه تحديات التنمية ، وتبلور إطار كلي يتكامل فيه الجانب الاقتصادي والمالي مع الجانب الهيكلي والاجتماعي والبشري والبيئي ، وبما أن هناك العديد من الحقائق التي تؤكد لنا الكثير من دلالات التنمية المستدامة ، بأبعادها المختلفة لا يمكن إنكارها ، نذكر منها على سبيل المثال :

أ – محدودية الموارد في الأرض : ومن ثم يصبح من الضروري المحافظة على الموارد والحيلولة دون إستنزافها ، وإشباع الحاجة منها دون هدر وإسراف ، إذ أن من قيم الأخلاق الإنسانية الرفيعة أننا مطالبون بإشباع حاجاتنا من الموارد دون إسراف أو تبذير .

ب- إدارة الموارد وإستغلالها برشد وعقلانية : إذ يعد مبدأ الإعتدال والرشد في التسيير أحد المبادئ الرئيسة التي يقوم عليها سلوك الإنسان الراشد والمتوافق مع محيطه الإجتماعي والبيئي .

ج- البيئة والموارد ملك ومسؤولية الجميع : فالبيئة والموارد هي حق لجميع الناس، وبالتالي فإن واجب الجميع المحافظة عليها ، يقول تعالى "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان" .

د- استغلال الموارد وفق أسس العدل والمساواة : فالعدل أساس الملك والتملك ، والمساواة بين فئات المجتمع أساس إتاحة الفرص أمام الجميع للعمل والإنتاج .

هـ- التجديد والتعويض البيئي : وهذا هو محك التنمية المستدامة ، التي تقوم على التفكير في حق الأجيال اللاحقة في الإنتفاع بمنافع الطبيعة وثرواتها وتكريس بيئة نظيفة ونقية .

وفي الأخير إذا كانت التنمية المستدامة تعني ذلك الحد الأمثل من التداخل بين أبعاد مختلفة إقتصادية وبيئية وإجتماعية وحتى سياسية ، يمكن القول أن المشكلة الأكثر وضوحا في هذا المجال تتمثل في التنامي المفرط للنشاطات الإنسانية لإستغلال موارد الطبيعة في مقابل القدرة المحدودة للأنساق الحيوية الطبيعية للإيفاء بتلك النشاطات ، وعليه يمكن إعتبار أنه في معالجة الإنعكاسات السلبية على التنمية الإقتصادية والإجتماعية ، تكمن إشكالية البحث في كيفية تحقيق التنمية المستدامة دون

إلحاق الضرر بالبيئة، وفي خضم هذا النقاش ووفقا للإعتبارات الآنفة الذكر يمكننا طرح التساؤل التالي : ما هي المقاربة النظرية الأفضل التي بإمكانها صياغة مقترحات أو وضع برامج فعالة لحل مشكلات البيئة ومسائل التنمية المستدامة ؟

المقاربات النظرية :

إذا اعتبرنا أن التنمية المستدامة في جوهرها هي "التنمية التي تلبي إحتياجات الجيل الحاضر دون التضحية أو الإضرار بقدرة الأجيال القادمة على تلبية إحتياجاتها" ، وذلك يتطلب أحد أمرين لا ثالث لهما ، أولا : المحافظة على الموارد الطبيعية قدر المستطاع ، وثانيا : حماية الأنساق البيئية والحفاظ على جمال الطبيعة ، وهذا بدوره يتطلب منا تقليص حجم طلب المجتمع على موارد الأرض أو زيادة حجم الموارد ، وهذا لسد الفجوة بين العرض والطلب من الموارد الطبيعية المتاحة من جهة ، وتحقيق توافق في وسط بيئي ملائم للناس من جهة أخرى ، فعملية تحقيق التوازن بين المطلوب من الموارد والمعروض منها في وسط بيئي وطبيعي جيد ، هو الذي يحدد ما المقصود بعملية التنمية المستدامة ، ولكن كيف يمكن تحقيق هذا الهدف المقصود من وراء التنمية المستدامة ؟ والإجابة على هذا السؤال هو الذي يمكن أن ينتج عنه حلا ما لمشكلات البيئة وللتنمية المستدامة ، وتبعا للرؤى والنظريات المختلفة والتي وضعت لنفسها عدة تعريفات للتنمية المستدامة فإنها قد أتفقت على عدد من المعايير المشتركة ، يمكن أن نبرزها فيما يلي :

أ- أن التنمية المستدامة ذات معيار زمني ، أي أنها تمثل ظاهرة عبر جيلية ، بمعنى أنها عملية تحويل للإفادة من موارد الطبيعة من جيل إلى آخر ، وهذا يعني أن التنمية المستدامة لابد أن تحدث عبر فترة زمنية لا تقل عن جيلين ومن ثم فإن الزمن الكافي للتنمية المستدامة حسب هذه الرؤية يتراوح بين 25إلى 50 سنة .

ب- أنها ذات معيار مكاني ، فالتنمية المستدامة هي عملية تحدث في مستويات عدة تتفاوت بين (مستوى عالمي وإقليمي ومحلي) ، ومع ذلك فإن ما يعتبر مستداما على المستوى القومي ليس بالضرورة أن يكون كذلك على المستوى العالمي

ج- كما تعد المجالات المتعددة معيارا ثالثا للتنمية المستدامة ، حيث تتكون من ثلاثة مجالات على الأقل : اقتصادية وبيئية واجتماعية ثقافية .

فالتنمية الإجتماعية المستدامة تهدف إلى التأثير على تطور المجتمعات بطريقة تضمن من خلالها تحقيق العدالة وتحسين ظروف المعيشة والصحة ، أما التنمية البيئية المستدامة فيكون الهدف الأساس هو حماية الأنساق الطبيعية والمحافظة على الموارد الطبيعية ، أما محور اهتمام التنمية الاقتصادية المستدامة فيتمثل في تطوير البني الاقتصادية فضلا عن الإدارة الكفؤة للموارد الطبيعية والاجتماعية .

فحسب التحليل السابق ، نجد أن الكفاءة هي المبدأ الرئيسي في التنمية الاقتصادية المستدامة ، في أن العدالة تعتبر محور التنمية الاجتماعية المستدامة ، بينما تؤكد التنمية البيئية المستدامة على القدرة الاحتمالية للأرض على تجديد مواردها ولكن لا يزال هناك جدلا واسعا حول وسائل ضمان استقرار الأجيال القادمة بفرض نفسه اليوم ، فالتفسيرات المتعلقة بكيفية تنفيذ برامج "التنمية المستدامة ومسائل الحفاظ على البيئة" تتباين ما بين رأى ومقاربات متعددة ، يمكن تلخيصها في ثلاث مقاربات أساسية :

– **المقاربة الأولى** : التي تتبنى المعالجة الاقتصادية البحتة ، ويركزون على طرح التساؤل التالي : هل بإمكان التقدم التكنولوجي كعامل اقتصادي أن يرفع من كفاءة استغلال الموارد الطبيعية ، مما يؤدي إلى زيادة حجم الإحتياطات الإقتصادية التي تدخل كعوامل في التنمية المستدامة ، التي تراعي حظ الأجيال اللاحقة في الإنتفاع بمنافع وطيبات الأرض ومن ثم العمل على الحفاظ على بيئة نظيفة تكون في خدمة الإنسان ؟

وإذا علمنا أن :

أ– النمو الإقتصادي : هو زيادة حصة الفرد من إجمالي الناتج المحلي الحقيقي مع مرور الوقت .

ب– التنمية الإقتصادية : هي مفهوم أوسع من مفهوم النمو الإقتصادي ، إذ تعبر فضلا عن ذلك على مجموعة من المفاهيم أخصها :

– تحسين نوعية حياة السكان . – تحسين المهارات والمعرفة والإمكانيات والخيارات .

– تحسين الحقوق المدنية والحريات .

هذه التعاريف المتعلقة بالنمو والتنمية لا تتضمن الأفكار المتعلقة بالإستدامة البيئية ، وقد لفت علماء الإقتصاد البيئي إهتمام علماء الإقتصاد التقليديين إلى الأفكار المتعلقة بتعريف النمو بعدة طرق تتضمن قيمة الأصول البيئية والمحافظة عليها وسنتعرض لأشهر النظريات في هذا المجال :

1– نظرية تعديل السوق(1) :

وهي نظرية تحث على إعتبار البيئة ومؤثراتها ضمن عناصر العملية الإقتصادية نفسها ، عكس ما تراه النظرية الإقتصادية الكلاسيكية التي كانت تعتقد أن كل الظواهر التي لا يمكن التعبير عنها بشكل نقدي في السوق تكون مهملة في النظام الاقتصادي ، وعليه عوملت كل النفايات على أنها ظاهرة غير نقدية ، وأن كل الموارد الطبيعية (كالماء ، الهواء ، الطبيعة الفسيحة ، وأمثالها) على أنها موارد متاحة ومتوفرة بصورة غير محدودة ، وعليه فقيمتها الاقتصادية منعدمة أي أنها عوامل خارجية لا يمكن أن تؤثر في سير العملية الاقتصادية ، وهذا النمط من التفكير نتجت عنه أخطاء فادحة في تسيير النظام الاقتصادي .

وعليه أكد "مارشال" "A. Marshal" أن هناك بعض العوامل الخارجية عن السوق يمكن أن تؤثر بشكل أو بآخر على أداء المتعاملين الاقتصاديين ، وقدم مفهوما جديدا سماه "الاقتصاد الخارجي". ومن ثم فرضت قضايا التنمية المستدامة نفسها وأدرك العالم قيمة البيئة ودورها في تطوير حياة الناس ، حيث شعر كثير من المختصين في تسيير الشأن العام قيمة العناصر البيئية ودور التنمية المستدامة في تطوير الاقتصاد والرقي بحياة الجماهير ، وعلى هذا أكد الكثير من علماء الاقتصاد والاجتماع والبيئة أن هناك بعض العوامل الخارجية عن السوق يمكن أن تؤثر بشكل أو بآخر على أداء المتعاملين الاقتصاديين ، ومنه بات لزاما أخذ الموارد الطبيعية بعين الاعتبار في العملية الاقتصادية وتناولها كمؤثرات فاعلة ، ما يتطلب بالتالي تعديل نظرية إقتصاد السوق والمعادلات التي قام عليها .

2– نظرية الإستدخال(2) :

وهي نظرية تقوم على فرض ضريبة عن التلوث ، حيث أقترح "آرتير بيجو" "A.pigou " منذ العشرينات من القرن العشرين فرض رسوم ومساعدات ، كتعويضات يدفعها أصحاب المصانع المنتجة للنفايات الملوثة والمضرة بالبيئة ، إذ تكلف معالجتها مبالغ مالية هامة ، لتخصص تلك الرسوم والمساعدات لتسديد مجمل الأشغال لتجميل المحيط والبيئة .

3- نظرية حقوق الملكية(3) :

وهي نظرية تركز على التفاوض المشترك لمنفعة جميع الأطراف وهي من إقتراح "رونالد كواز" ، حيث أنتقد مقترح فرض ضريبة خاصة لمكافحة التلوث ، وأقترح حلا أقل تشددا ليترك مجالا واسعا لقوانين المنافسة ، وقد أنطلق من مبدأ "الحق في الملكية والتصرف فيها" وأن المواد البيئية ليست ملكا لأحد ، وعليه يرى أنه من الفائدة الاقتصادية أن يقتنع جميع الأطراف للوصول إلى حالة من التفاوض للإتفاق حول الحد الأقصى لمستوى التلوث .

4- نظرية الموارد الناضبة(4) :

صاحب هذه النظرية هو الاقتصادي "هارولد هوتلينغ" ، حيث قام سنة 1931 بنشر دراسة حول "إقتصاديات الموارد الناضبة" ، وهي نظرية تدور حول حق الأجيال القادمة بالإنتفاع بخيرات الطبيعة ، وتعني في جوهرها ؛ ضرورة مراعاة الأجيال القادمة في الموارد الناضبة عند القيام بعمليات إستغلالها ، وهو الأساس النظري الذي أنطلق منه فيما بعد مفهوم التنمية المستدامة ، الذي تبنته الأمم المتحدة في العقد الأخير من القرن العشرين ويمكن شرح هذه النظرية بشكل مبسط في التالي : أن قرار إنتاج أي سلعة ناضبة كالبترول مثلا ، يجب أن يترتب عليه تكلفة للفرصة البديلة ، حيث أن إنتاج برميل نفط اليوم يمنع من إنتاجه في فترة أخرى في المستقبل ، وفي هذه الحالة يجب على ملاك المورد الناضب ، أن يأخذوا في إعتبارهم هذا المكون من مكونات النفقة عند إتخاذ قرارهم بالإنتاج .

7- نظرية النمو الداخلي(5) :

خلال نهاية العقد الثامن وبدايات العقد التاسع من القرن العشرين ، تغيرت نظريات النمو الإقتصادي بصفة عامة ، وتحولت إلى ما يسمى بنظريات النمو الداخلي ، حيث أكدت الدراسات فشل النظريات التي تتجاهل دور التطور التكنولوجي في التغلب ولو بشكل نسبي على مشكلة ندرة الموارد الطبيعية ، ومن ثم رأت نظرية النمو الداخلي بضرورة إدخال دور التطور التكنولوجي في النمو الإقتصادي بصفة عامة ، وأعتمدت في ذلك على دور الحكومات في الإستثمار في مجال البحث والتطوير والتعليم ، وإتجاه المؤسسات الإقتصادية لدعم الإبداعات والإختراعات التي تؤدي بدورها إلى دفع معدلات التطور التكنولوجي ، ومن ثم معالجة السلبيات التي يمكن أن تحدث من عملية التنمية والتطوير الإقتصادي .

- المقاربة الثانية : وهي التي تدعو إلى إعطاء أولوية لحماية أكبر للبيئة ، والسؤال المهم عندهم هو : هل تعني التنمية المستدامة أن نعطي الأولوية فقط للمعايير الإيكولوجية التي تسيِّر العلاقة بين المحيط والمجتمع ، وأن نولي الطبيعة أسبقيتها على الإنسان الذي لا يعد إلا جزأً منها ، وأن نلزم أنفسنا بإحترام حقوق الكائنات غير البشرية في محيط بيئي مثالي ؟

وظهرت عدة نظريات ضمن هذه المقاربة أشار من خلالها بعض العلماء إلى أن المحيط الحيوي هو الذي يحتاج لأن يكون مستداما ، وهم يبحثون عن حماية التنوع الحيوي والوراثي ، وتطرح هذه المقاربة تساؤلا مهما وهو: هل يمكن إعتبار النمو الإقتصادي مطلبا أساسيا للحفاظ على سلامة البيئة والمحيط الطبيعي ؟ على إعتبار أن بعض النمو يكون عادة مساعدا

على منع التدهور البيئي ، وبخاصة تطوير التقنيات النظيفة كالطاقة الشمسية والتجهيزات الحديثة الخالية من بعض المواد السامة وغيرها ، ولكن في هذا الإطار ينصح بتجنب التقنيات والنمو الذي يضر بالبيئة ، وعلى علماء الإقتصاد أن يولوا مزيدا من الإهتمام بالنواحي البيئية والأخلاقية ، وهي تتمحور ضمن نزعتين :

أولا : نظريات ذات نزعة محافظة :

والتي يعتقد أن أصحابها ينتابهم نوع من الحنين إلى الطبيعة النقية العذراء ، من هذا المنطلق فهم ينادون بأسبقية الطبيعة على الإنسان ، من بين أهم النظريات التابعة لهذه النزعة :

1- نظرية حقوق الكائنات غير الإنسانية(6) :

تفترض هذه النظرية مبدأ أولوية الطبيعة على الإنسان ، ولقد روج لهذا المبدأ "ألدو ليوبولد" وبعض الحركات الأنجلوساكسونية ، وتقوم هذه النظرية على رفض أية تدخل أو مشاركة للإنسان في تسيير الأنظمة الطبيعية ومن هنا يستوحون فكرة إحترام حقوق الكائنات غير البشرية والتنديد بكل هيمنة بشرية عل الطبيعة .

2- الحركة الأمريكية المحافظة(7) :

لقد كانت الحركة المحافظة التي قادها الأمريكي "تيودور روزفلت" "Theo Dore Roosevelt" ومن حوله ، تمثل نجاحا للفكر السياسي الأيديولوجي في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الفترة ما بين عامي 1890 و1920 ، حيث أنه وفقا لما ذهبت إليه هذه الحركة ، فإن النمو الإقتصادي يحاط بمجموعة من القيود الطبيعية التي ليس من الممكن تجنبها حتى مع التقدم التكنولوجي ، وأن الإسراع الكبير في إستخدام الموارد الطبيعية الناضبة يعتبر تهديدا كبيرا لحقوق الأجيال القادمة ، وعليه أوصت هذه الحركة على أنه كلما كان إستخدام الموارد الطبيعية الناضبة يتم بمعدلات أقل كلما كان الأمر أفضل ، وأن التحكم والإشراف الحكومي على إستخدام الموارد الطبيعية أمر مرغوب فيه .

ثانيا : نظريات ذات نزعة متشائمة :

فهي وإن إعترفت ضمنيا بضرورة مستوى معين من النمو الإقتصادي ، إلا أن إفراط هؤلاء في التشاؤم حول محدودية الموارد الطبيعية وما يهدد هذه الموارد من نمو في الطلب ، إضافة إلى عدم إقتناع هؤلاء بالدور الذي يمكن أن يلعبه التقدم التكنولوجي في إطالة عمر الموارد الطبيعية والحفاظ على البيئة عموما ، كل هذا جعلهم يعتقدون أنه يشكل خطرا على إستمرار البشرية ، وأبرز النظريات التي تتبع هذه النزعة :

1- نظرية الركود(8) :

يعتقد "أ.هانسن" "A. Hansen" كبقية أنصار نظرية الركود الإقتصادي ، أن التقدم الإقتصادي على المدى الطويل سيكون مجرد نارا على القش ما يلبث حتى ينطفئ ، ويعتقد أن من حسن حظ الإنسانية أنها وضعت يدها في القرن السابع عشر على نوع من إكتشافات لعناصر التقدم الإقتصادي (كالبخار والكهرباء ثم البترول وغيرها) ، غذت بصورة مستمرة الآلة لتحسين الإنتاج الزراعي والصناعي ، ومع إستنزاف هذه العناصر فإنه يصبح على الإنسانية اليوم أن ترضى برؤية التباطؤ في وتيرة تقدمها وأن تدخل في فترة ركود نسبي ، حتى تحل مشكلتها بخصوص البيئة ونضوب موارد الطبيعة ، حتى تحقق الإنسانية لنفسها التوازن البيئي المطلوب وتكون أكثر عدالة وإنصافا للطبيعة والمجتمع .

2- نظرية حدود النمو لنادي روما(9) :

في عام 1972 وضع "نادي روما" تقريرا حول "حدود النمو" ، قدم هذا التقرير نموذجا جديداً بغرض التنبؤ بمستقبل التنمية بإستخدام خمس متغيرات عالمية وهي : السكان ، الغذاء ، التصنيع ، الموارد الناضبة ، والتلوث . وقد كانت كل هذه التنبؤات مفرطة في التشاؤم ، حيث تنبأ بأن مستقبل معدلات نمو سكان العالم والإنتاج الغذائي ودرجة التصنيع ، سوف تنمو في البداية بشكل أسي Exponentially ، إلا أنها سوف تنهار خلال القرن القادم ، وسوف يحدث هذا الإنهيار بسبب وصول الإقتصاد العالمي إلى الحدود الطبيعية له في إستخدام الموارد الناضبة والإنتاج الزراعي والتلوث المفرط ،كما تنبأ هذا التقرير بنضوب نحو إحدى عشر معدن قبل نهاية هذا القرن ، ومن تلك المعادن : البترول ، الغاز الطبيعي ، النحاس ، الذهب ، الرصاص ، الفضة ، الزنك ، والقصدير . وفي عام 1972 إنتهى نادي روما إلى صياغة نظرية جديدة عرفت باسم "نظرية حدود النمو"، وكان من أهم ما توصلت إليه تلك النظرية ما يلي :

أ- أنه إذا أستمرت إتجاهات النمو الحالية في كل من السكان وإنتاج الغذاء والتصنيع ، وإستنفاد الموارد الطبيعية الناضبة بلا تغيير ، فسوف يتم الوصول إلى أقصى حدود للنمو فوق كوكب الأرض في وقت ما ؛ خلال مائة عام على الأكثر .

ب- يمكن تلافي هذه النتيجة الخطيرة ، وإيجاد حالة من التوازن البيئي والإستقرار الإقتصادي ، إذا ما تم البدء على الفور في التخطيط لحالة توازن عالمي في أسرع وقت ممكن .

ج- مضمون ذلك أن تستبدل الدول بهدف النمو الذي تنبهر به ، هدفاً آخر وهو هدف التوازن في إستخدام الموارد الطبيعية وخاصة الناضبة منها ، ولن يتأتى ذلك إلا بوضع "حدوداً للنمو" .

إلا أن الواقع العملي قد أثبت بعد ذلك فشل تلك التنبؤات ، وذلك بإرتفاع معدلات إنتاج وإحتياطات البترول والغاز وكثير من الموارد الطبيعية على وجه الأرض ، ومن ثم أعترض العديد من الإقتصاديين بقوة على هذه النظرية ، ووجهوا لها عدة إنتقادات من أهمها :

- أن هذه النظرية لم تقم على بيانات إحصائية مدققة ، حيث أعتمد أصحابها على حدسهم الشخصي حول توقعاتهم بالنسبة للنمو في العالم .

- كما تجاهلت النظرية نظم الأسعار وتحركات إقتصاد السوق ، مما يمكن إعتباره إمتداداً لأفكار "مالتس" التشاؤمية

ثالثا : نظريات ذات نزعة متفائلة :

1- دراسة "برانت وموورس"(10) :

في دراسة عن الندرة والنمو الإقتصادي أعدها إثنان من الإقتصاديين الأمريكان هما "برانت" و"مورس" سنة 1963، تم خلالها تجميع سلاسل زمنية حول أسعار وتكاليف بعض الموارد الطبيعية ، وذلك بهدف إختبار فرضية زيادة ندرة الموارد الطبيعية ، فكانت النتائج مدهشة إلى حد كبير ، حيث أكدت أنه بالنسبة للزراعة والمعادن فإن الأسعار وتكاليف الإنتاج قد إنخفضت أو على الأقل كانت ثابتة خلال الفترة من 1870-1957.

ويمكن تبرير هذه النتائج حسب الإقتصاديين على أساس أن التقدم التكنولوجي سيرفع من كفاءة إستغلال الموارد الطبيعية ويؤدي إلى إنخفاض في تكاليفها ، ما يقود إلى زيادة حجم الإحتياطات الإقتصادية .

2- نظرية GAYA(11) :

ويعد "جيمس لوفلوك" مؤسس هذه النظرية ، وينطلق من فكرة أن الأرض جسما حياً ضخما قادرا على الإستجابة للتكيف قد تتجاوز نشاطات وأفعال الإنسان ، فحسب هذه النظرية فإن الطبيعة لها أسبقية على الإنسان الذي لا يعد إلا جزءاً منها ، فالطبيعة خلقت لتحافظ على نفسها وليس لسد إحتياجات الأجيال الحالية واللاحقة ، ويرى أصحاب هذه النظرية أن المعايير الإيكولوجية هي وحدها التي تسير العلاقة بين المحيط والمجتمع دون الأخذ بعين الإعتبار الجوانب الإقتصادية والإجتماعية .

- المقاربة الثالثة : وهي التي تولي إهتمام لعناصر متكاملة تتمثل في دمج العنصر البيئي مع العنصر الإجتماعي الثقافي والعنصر الإقتصادي التصنيعي ، وتساؤلها الرئيسي يتمثل في : هل يمكن إعتبار أن التنمية المستدامة ذلك الحد الأمثل من التداخل بين كل هذه الأبعاد المختلفة من إقتصادية وبيئية وإجتماعية وحتى سياسية ؟ ويمكن إدخال مجموعة من النظريات ضمن هذه المقاربة ، منها على سبيل المثال :

1- نظرية التنمية الدائرية المتراكمة(12) :

وضع هذه النظرية الإقتصادي السويدي "جونر ميردال" "Goner Myrdal" ، تقوم فكرتها على أن التنمية الدائرية المتراكمة في دولة ما ترتبط بالظروف والخصائص الطبيعية والتاريخية لهذه الدولة ولأقاليمها ، حيث تؤدي الحركة الحرة للقوى الإقتصادية والإجتماعية إلى زيادة الفوارق الإقليمية بأنواعها المختلفة بين المركز"center" والذي تمثله عادة المناطق الحضرية والهامش "periphery" والذي تمثله الأرياف ، ويحدد ذلك من خلال نوعين من العمليات والتأثيرات المتبادلة وهي :

أ- الآثار الخلفية السالبة : وهذا النوع من العمليات ينشط في مناطق الأرياف والهوامش وتتمثل في هجرة منتقاة للأيدي العاملة وكذلك رأس المال والبضائع من المناطق الريفية إلى المدينة أو المركز ، والسبب في هذه الهجرة يرتبط بوجود عوامل جذب في المركز وعوامل طرد في الهامش .

ب- الآثار الإنتشارية الموجبة : وهي عمليات تنشط في مناطق المركز بإتجاه الهوامش أو الأطراف ، وتتزايد في الغالب مع نشاط الآثار الخلفية السالبة في الهوامش ، فمثلا يزداد الطلب في المراكز على المنتجات الزراعية والمواد الأولية التي تنتج في الريف ، ولكي يتم إشباع حاجات المركز المتزايدة من هذه المواد يتم تصدير تقنيات زراعية جديدة إلى الأرياف تساعد في زيادة وتطوير وتحسين الإنتاج الزراعي ، وتعتمد سرعة ودرجة إنتشار الآثار التنموية من المركز إلى الهوامش على المستوى التنموي للمركز ، فكلما كان هذا المستوى أفضل كانت سرعة ونوع وحجم الآثار الإنتشارية بإتجاه الهوامش أسرع وأكبر وأكثر كثافة .

وبهذا الشكل تحدث التنمية المتراكمة من خلال توطن الصناعة والتقنية ، مما يخلق فرص عمل جديدة ومداخيل إضافية جديدة ، مما يعمل بدوره على زيادة الطلب على البضائع والخدمات العامة ، التي تمثل مدخلات رئيسية لهذه الصناعات ، وتستمر عملية التراكم بهذا الشكل في المركز ويستمر تدفق الأيدي العاملة ورؤوس الأموال والمواد الأولية من الأرياف (الهوامش) إلى المدينة (المركز) ، مما يؤدي لنموه وإتساع أسواقه على حساب هوامشه ، الأمر الذي يعمل على زيادة الفوارق

الإجتماعية والإقتصادية ، خصوصا إذا ما عجز التدخل الحكومي لإيقاف هذه الفوارق ، وهو ما حصل ويحصل في معظم الدول النامية .

2- نظرية التحيز الحضري(13) : وضعها "ميخائيل لبتون" "M.lipton" حاول من خلالها الإجابة على السؤال التالي : لماذا يبقى الفقراء فقراء ؟ وبالرغم من أنه خرج من قبل العديد من الدراسات الإقتصادية والجغرافية إلا أن الإجابة عليه مازالت قاصرة ، نظرا لتعقد مشكلة الفقر وكثرة المتغيرات التي تؤثر فيها ، لقد حاول "ليبتون" في نظريته تفسير سبب بقاء وإستمرار وتزايد ظاهرة الفقر في الريف من خلال عدد من العوامل الإجتماعية والسياسية بشكل رئيسي مع عدم إهمال الجوانب الإقتصادية ، حيث يرى "ليبتون" أن الصراع في العالم النامي لم يعد يأخذ شكل الصراع الطبقي بين العمل ورأس المال أو المصالح الأجنبية والمصالح الوطنية ، بل أصبح صراعا بين سكان الريف وسكان المدينة .

والفرضية الأساسية في هذه النظرية تقول : بأن رصد الموارد داخل كل من المدينة والقرية يعكس أولوية حضرية أكثر منها البحث عن تحقيق المساواة بين المدينة والريف ، بمعنى أن الموازنات الحكومية وعوائد التنمية يتم توزيعها دون إنصاف ، بما فيها القطاعات التي تستهدف الفقراء أنفسهم مثل قطاع الصحة والتعليم ، وهذا يقودنا إلى القول أن السياسات التنموية الحكومية هي نفسها التي تحول دون تدفق الآثار الإنتشارية الإيجابية بين الأطراف والمركز .

3- نظرية النظام العالمي(14) : يقول أصحاب نظرية النظام العالمي أن الإزدهار النسبي الذي تنعم به القلة يقوم على بؤس الكثرة ، وهذا كما يرون يرجع بالأساس إلى أن بنية النظام العالمي وفق المنطق الرأسمالي تقضي بأن تكون الحياة الرغيدة للقلة على حساب شقاء الكثرة ، ومن هنا فأصحاب هذه النظرية ينادون بأن تقلم الدول الرأسمالية أظفارها من أجل القضاء على شقاء وعذاب ملايين البشر في العالم .

4- نظرية النمو الاقتصادي الأمثل(15) : يمكن إعتبار هذه النظرية في صيغتها التي قدمها "فرانك رمزي" " Frank Ramsey" وطورها آخرون من بعده ، هي نظرية شاملة لتصور المنهج النفعي ، فهي ذات بعد نفعي في عرضها لمنفعة المجتمعات ، على أنها دالة في منفعة الأفراد (تحركات الأفراد عبر الزمن) وذلك مع إمكانية أن الخسارة في منفعة أحد الأفراد أو أحد الأجيال ، يمكن أن تكون متوازنة مع الزيادة في منفعة فرد أو جيل آخر ، على أساس أن الرفاهية الإجتماعية هي في المحصلة مجموع منافع مختلف الأفراد والأجيال .

ولقد واجه المنهج النفعي لهذه النظرية العديد من الإنتقادات من جانب "جون رولز" ، حيث برهن على أن عدم العدالة في توزيع الثروات أو المنافع يكون أمرا مقبولا فقط ، إذا كان الأمر مفيدا في تحسين وضع الفقر في المجتمع ، بمعنى أن تعظيم الرفاهة الإجتماعية لابد أن يتم من خلال تعظيم منفعة أفقر فرد في المجتمع . ويعتقد "رولز" أنه ليس من الممكن في الوقت الحالي بأي حال من الأحوال ، أن نعرف حدودا دقيقة لمعدلات الإدخار اللازمة للوصول إلى معدل تراكم رأسمالي معين ، على إعتبار أن الرفاهية تتحقق من خلال رفع معدلات التراكم الرأسمالي ، وكيف أن رفع التراكم الرأسمالي ورفع مستويات المدنية ، لابد أن يتم من خلال مشاركة كل الأجيال ، ومن هنا فإن تعاليم المنهج النفعي تقول أنه حتى فقراء الجيل الحالي لابد أن يقدموا تضحيات أكثر ، حيث أن تلك التضحيات سوف تؤدي إلى زيادة منافع فقراء الجيل القادم ، وذلك حيث أنه من البديهي أن الخسائر في منفعة جيل من الأجيال لابد وأن توازى منافع جيل آخر .

الخاتمة :

ويمكن من خلال هذا العرض لجملة المقاربات النظرية يتضح لنا أن هناك إستشكال مهم ألا وهو : هل أن مشكلة التنمية المستدامة وما يتبعها من قضايا البيئة هي من قبيل أزمة وعي عند الإنسان بمعنى أنها مشكلة أخلاقية ثقافية أم أنها أزمة إقتصادية بحتة ؟ يقول "ليستر براون" "Lester Brown" بهذا الشأن : "إننا بحاجة إلى بوصلة أخلاقية تقودنا إلى القرن 21 ، أساسها المبادئ المستديمة لتلبية الإحتياجات الإنسانية ، ويقول "براتراند راسل" "Bertrand rassel" : "علينا أن نتذكر إنسانيتنا وننسى ما عداها ، ويجب أن ندرك دائما بأن الثقافة هي حجز الزاوية في كل عمل إنساني" .

ومنذ ظهور تقرير مستقبلنا المشترك وحتى وقتنا الحاضر يشهد العالم مؤتمرات وندوات دولية كثيرة لمناقشة موضوع التنمية المستدامة ، تلاحقت فيها الدراسات والأبحاث والمؤتمرات والندوات ، منها :

- مؤتمر الأرض في ريو دي جانيرو البرازيلية في 1992 ونتجت عنه الأجندة 21 .
- الحلقة الخاصة بمراجعة أجندة (21) المنعقدة من قبل الأمم المتحدة سنة 1997.
- ندوة إستراتيجيات التنمية المستدامة التي عقدتها الأمم المتحدة بغانا في سنة 2001 .

وبمراجعة أدبيات هذه الفعاليات الدولية تبين أن العالم يواجه مشاكل بيئية مختلفة ، ناتجة عن غياب الضوابط الأخلاقية والإنسانية وليس نقص الموارد ، إن المشكلة كما تقول اللجنة العالمية للبيئة والتنمية في تقرير 1989 لا تقتصر على إستنزاف الموارد الطبيعية فحسب ، بل تكمن أيضا في تأثير المناخ النفسي الذي يعيشه المجتمع المعاصر ، وأزمة الأخلاق والقيم على مستوى المناطق والدول وفيما بينها ، والتي تتمثل في غياب المصالح المشتركة والعمل المشترك ، نتيجة لغياب العدالة الإجتماعية على الصعيد العالمي .

الهوامش

1 - michel bassend : metrobsation crise ecologique et développement durale ,France.sn imprimeur 2000,p99-100.

2- Toladidia thombiano : Economie de l'environnement et des ressources naturelles , l'harmattan, Avril 2008,p37.

3 -op cit . p: 35.

[4]– فاطمة أحمد حسن: الاتفاقية الدولية لحماية البيئة وأثرها على صادرات أوبيك ، رسالة ماجستير في الاقتصاد جامعة القاهرة ، 2006، ص 9.

5 – فاطمة أحمد حسن، نفس مرجع ، ص 20، 21.

[6]- Beat burgenmrier. économie de développement durable : de boech 2 édition, Belgique 2005. p196

[7]– فاطمة أحمد حسن ، مرجع سابق ص7–8.

[8]– ريموند ريشنجباخ ، سيلقن أوخر : التنمية صفر، ترجمة سهام الشريف ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، 1978، ص 50 .

[9] – نفس المرجع ، ص 14، 15 .

[10]– فاطمة أحمد حسن ، مرجع سابق ص.14

11- Beat burgenmrier : op cit .p195.

12– عثمان محمد غنيم ، ماجدة أبو زنط .التنمية المستديمة : دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان 2007، ص 61 إلى 65.

13- نفس المرجع ، ص70-74.

14- جون بيليس وستيف سميث : عولمة السياسة العالمية ، ترجمة ونشر مركز الخليج للأحداث ، 2004 ، ص 266-267 .

15- فاطمة احمد حسن ، مرجع سابق ص 22- 23 .

التكيف المدرسي وعلاقته ببعض اضطرابات السلوك المرتبطة بالتعلم (دراسة تحليلية)

أ.اسماء لشهب

جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص:

تهدف الدراسة الحالية إلى تسليط الضوء على العلاقة التي تربط التكيف المدرسي ببعض اضطرابات السلوك، خاصة منها تلك المرتبطة بعملية التعلم؛ وذلك من خلال دراسة تحليلية لنتائج عدد من الدراسات الميدانية التي قام بها علماء النفس والباحثين الذين تناولوا هذه المتغيرات ضمن بيئات ثقافية واجتماعية وفئات عمرية متنوعة وعبر حقب زمنية متباعدة.وخلص هذا التحليل إلى وجود علاقة عكسية بين:

* التكيف المدرسي وضعف الدافعية للانجاز لدى التلميذ.
* تكيف الطفل في الوسط المدرسي والسلوك العدواني الذي يبديه.
* التكيف المدرسي والعمليات العقلية بما في ذلك الانتباه.

Summary:

The Present study aimed to reveal the relationship between the school adjustment and some behavior disorders, especially those associated with the learning process. Through analytical study of the results of a number of field studies carried out by researchers and psychologists who ate these variables within a different age stages, a variety of cultural and social environments and across eras spaced. The results showed an inverse relationship between:

* School adjustment and weakness of achievement motivation.
* Child adaptation in middle school and aggressive behavior.
* School adjustment and mental processes including attention.

مقدمة

إن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه فهو في تفاعل دائم مع أفراد المجتمع الذي يعيش فيه، وتعتبر المدرسة مجتمعا مصغرا يتطبع فيه التلميذ اجتماعيا عبر مراحل إعداده للحياة والذي يعتبر الهدف الذي تنشده المجتمعات من وراء إنشاءها للمدارس.

إلا أن هذه المسيرة تتخللها بعض المشاكل والصعوبات التي قد تعيقها إن لم يتمكن التلميذ من تجاوزها بإتباع الأساليب السوية مما يجعله يعاني سوء تكيف مدرسي ينعكس سلبا على تحصيله الدراسي.

يؤكد زهران أنه كلما كانت العلاقة سوية بين الأولاد والمربين وبين الأولاد بعضهم ببعض وبين المدرسة والأسرة، كلما ساعد ذلك على شعورهم بالأمن وتحقيقهم لتوافقهم النفسي والدراسي مما يؤدي إلى النجاح والتوفيق في أداءهم لمختلف المهام الموكلة إليهم سواء تلك المتعلقة بالوسط المدرسي أو خارجه[1].

وتعد اضطرابات السلوك إحدى المشكلات المهمة التي تعانيها المدارس والتي تبرر بها ضعف التحصيل الدراسي للتلاميذ، وتعتبرها معرقلة له. ويرى العمايرة أن"معظم الأطفال في المدارس الابتدائية يمرون بمشكلات سلوكية وبعض هذه المشكلات من النوع البسيط الذي يمكن السيطرة عليه بسهولة، وبعضها يحتاج إلى دراسة واقتراح حلول مناسبة لها. وهذه المشكلات تؤثر على ضبط النظام في الصف وتعمل على إعاقة عملية التعلم"[2].

بناء على هذا الطرح ينبثق التساؤل التالي: "هل توجد علاقة بين التكيف المدرسي واضطرابات السلوك المرتبطة بالتعلم؟"

ويأتي هذا العرض لتحليل العلاقة بين التكيف المدرسي وبعض اضطرابات السلوك المرتبطة بالتعلم: ضعف الدافعية للانجاز، السلوك العدواني، اضطراب الانتباه، على ضوء النتائج المتوصل إليها من قبل علماء النفس والتربية والدراسات الميدانية التي تناولت هذه المتغيرات.

أولا: التكيف المدرسي

لم تعد التربية تعني تلقين مجموعة من المعارف للتلميذ، إذ لم تعد المعرفة حكرا على المدرسة بل أصبحت تركز اهتمامها على المتعلم والعمل على مساعدته للوصول به إلى أقصى درجات النضج وفق ما تمكنه قدراته. ومساعدته على الحفاظ على صحته النفسية وذلك بجعله يتكيف أولا في الوسط المدرسي لكونه غير قادر على ذلك بمفرده، إلا أن هذا المصطلح ما زالت تعتريه بعض الضبابية.

1- تعريف التكيف المدرسي:

يعد البيولوجيون أول من استخدم مصطلح التكيف (Adaptation) والذي كان حجر الزاوية في النظرية التطورية لداروين، إذ اعتبر المنطلق الأساسي لفهم السلوك الإنساني.

ثم تطور هذا المفهوم ليقصد به: " قدرة الفرد أو الكائن الحي على التوائم مع الصعوبات وأخطار العالم الطبيعي، وتتمثل عملية التكيف في سعي الفرد الدائم للتوفيق بين مطالبه واحتياجاته ومطالب وظروف البيئة المحيطة به، التي قد تكون مصدرا من مصادر الإعاقة في عدم إشباع الفرد لحاجاته البيولوجية والنفسية والاجتماعية والعقلية والفكرية" [3].

وقد ارتبط مفهوم التكيف بعدة مفاهيم أخرى أهمها التوافق النفسي والذي وصل الخلط بينهما لا إلى حد الترادف فحسب بل إلى حد المطابقة في حين اعتبره البعض – أي التوافق – ثمرة للتكيف، إذ يعرف سكوت Scott التوافق بأنه " القدرة العامة على التكيف، وعلى إرضاء الذات والكفاية في العلاقة بين الأشخاص، وتشمل القدرة العقلية، والتحكم بالدوافع والعواطف والمواقف مع الآخرين، والقدرة على الإنتاجية، والاستقلال الذاتي والنضج والموقف المناسب مع الذات"[4].

من هذا التعريف نستنتج أن التوافق يتضمن إلى جانب القدرة على التكيف القدرة على إرضاء الذات والكفاية في العلاقات مع الآخرين. بمعنى أن حدوث التكيف لا يعني بالضرورة توافق الفرد إن لم يصل إلى درجة الرضا والذي يعرفه طلعت إبراهيم لطفي بأنه "مجموعة المشاعر الوجدانية الايجابية التي يشعر بها الفرد تجاه عمله أو وظيفته، والتي تعبر عن مدى الإشباع الذي يحققه العمل بالنسبة للفرد "[5].

أي أن الفرد قد يكون متكيفا في موقف ما تكيفا دراسيا أو مهنيا أو اجتماعيا إلا أنه لا يحمل مشاعر وجدانية إيجابية تجاهه، على حد قول المثل " مكره أخاك لا بطل " وهو موقف كثيرا ما نتعرض له في حياتنا اليومية كنوع من المسايرة والحفاظ على البقاء، دون رغبة حقيقية في دوام الوضع إنما بحكم الضرورة، كاستمرار الحياة الزوجية بسبب الأبناء، الاستمرار في دراسة ما بسبب الحاجة أو فرص العمل ...، إذ يقوم الفرد بكل متطلبات الدور وقد ينجح فيه لكن لا يصل حد الإبداع والابتكار واللذان يتطلبان الرضا.

التعريف الإجرائي:

مما سبق يمكن القول أن التكيف عملية ديناميكية مستمرة يقوم بها الفرد بهدف إحداث تغييرات على سلوكه أو على بيئته، بشكل يتماشى مع متطلبات المجتمع الذي يعيش فيه للحفاظ على البقاء والشعور بالأمن ويكون منتجا فيه.

2- أنواع التكيف وأشكاله:

هناك من لا يفرق بين أنواع التكيف وأشكاله، وهناك من يقسمهما كالتالي:

2-1- أنواع التكيف:

لقد قسم بعض علماء النفس التكيف إلى الأنواع التالية:

2-1- 1- التكيف الذاتي: ويقصد به قدرة الفرد على التوفيق بين متطلباته الذاتية من جهة وبين أدوراه الاجتماعية المتصارعة مع هذه الدوافع من جهة ثانية بهدف الوصول إلى الرضا وتجنب الصراع، ويكمن دور التكيف الذاتي في التنسيق بين قوى الشخصية المتصارعة لتعمل مجتمعة على تحقيق أهداف الفرد، لذلك يعتبر التكيف الذاتي من أساسيات تكامل الشخصية واستقرارها.

ويعد التعب النفسي والجسدي من مظاهر سوء التكيف الذاتي، إلى جانب قلة الصبر وسرعة الغضب واللذان يؤديان إلى اضطراب وسوء علاقة الفرد بالآخرين.

2-1- 2 – التكيف الاجتماعي: ويعني قدرة الفرد على التكيف مع البيئة المحيطة به سواء المادية كحالة المناخ، تطور تقني .....، أو الاجتماعية كالأهل والأصدقاء، أو معنوية كالدين والقيم والمعايير. ويؤثر التغير المستمر لهذه البيئة على تكيف الفرد الاجتماعي بسبب ما يفرضه عليه من أحداث لتغييرات تسبب له بدورها صراعات، فإن هو أفلح في إحداثها شعر بالسعادة وإن هو فشل فمصيره الإحباط.

2-1- 3 – التكيف البيولوجي: وهو أوضح أنواع التكيف ويقصد به قدرة الفرد أو الحيوان على التكيف مع البيئة المادية المحيطة به ويتم عادة لا إراديا، فتغيير الحرباء للونها بغية الاختفاء بين الأشجار أو الحجارة هو هبة ربانية فيزيولوجية وهذا النوع من التكيف يتقاطع فيه الإنسان مع الحيوان.

2-1- 4- التكيف النفسي: تشكل الحاجة دافعا للإنسان فيسعى إلى تحقيق هدفه الخاص والمتمثل في إشباعها وخفض التوتر الذي يسببه وجودها. وهو في سعيه إلى إعادة التوازن المفقود سيواجه حتما عوائق فإن هو تجاوزها بنجاح وحقق هدفه فإنه سيحدث التكيف ويستعيد توازنه النفسي، أما إذا فشل فإنه سيلجأ إلى الاستخدام غير السوي لآليات الدفاع من أحلام يقظة،إسقاط، كبت، تبرير..... وسيعاني من سوء التكيف النفسي والذي سيؤثر سلبا على تكيفه الاجتماعي.

2- 2- أشكال التكيف:

تتخذ أنواع التكيف سالفة الذكر عدة أشكال أهمها:

- التكيف في مجال الأسرة أو التكيف العائلي (الأسري).
- التكيف الدراسي.
- التكيف المهني.
- التكيف الزواجي.
- التكيف مع الأصدقاء.

3- خصائص عملية التكيف:

تتسم عملية التكيف بعدة خصائص نذكر منها:

1- التكيف عملية إرادية ونتاج رغبة الفرد باستثناء التكيف البيولوجي الذي يتم لا إراديا كما سبقت الإشارة له.

2- بغرض التكيف يقوم الفرد بتغيير سلوكه أو تعديله كأن يتخلى عن بعض العادات أو يعد لها لتناسب المجتمع الذي يعيش فيه حتى يتقبله.

3- يتجلى التكيف بوضوح كلما واجه الفرد عوائق أو عقبات جديدة يصعب عليه تجاوزها.

4- تؤثر العوامل الوراثية على عملية التكيف فالمعاقين عقليا غير قادرين على التكيف.

5- تستمر عملية التكيف وتدوم مدى حياة الفرد.

6- يعتبر التكيف مؤشرا على الصحة النفسية للفرد، فالشخص القادر على تحمل الإحباط وإحداث التغيرات اللازمة لذلك (التكيف) هو شخص يتسم بسمات الصحة النفسية السوية.

7- عند قيام الفرد بالتكيف فإنه يشبع حاجاته وفق أساليب سوية فيخفض بذلك درجة التوتر لديه.

4- العوامل المساعدة على التكيف:

يرتبط التكيف الحسن بعدة عوامل أهمها:

1- إشباع حاجات الفرد الأولية والشخصية، وتتضمن إشباع الفرد لحاجاته العضوية والفيزيولوجية كإشباع حاجاته للطعام والشراب والتخلص من الفضلات وحاجته للنوم والراحة والشعور بالأمن وإشباع دوافعه الجنسية، وعدم إشباع الفرد لهذه الحاجات الأولية يتسبب في فناءه، أما الحاجات الشخصية والمتمثلة في الحاجة للحب والانتماء والتقدير والاحترام والنجاح والحرية والقيادة كما يرى بيرن Berne ، فإن إشباعها بالأساليب السوية سيجعل الفرد متكيفا أما فشله في ذلك فسيؤدي به إلى سوء التكيف[6].

2- إن اكتساب الفرد لعادات ومهارات الاتصال والتواصل والمهارات الاجتماعية ومهارات حل المشكلات وضبط النفس وتوكيد الذات تساعده على التكيف السليم لذا فإنه من المهم جدا تدريب الفرد على اكتساب مثل هذه المهارات في سن مبكرة لتجنيبه الإحباط والصراع وبالتالي سوء التكيف.

3- إن معرفة الإنسان لنفسه وقدراته واستعداداته وقابليته تساعده على رسم أهداف واقعية لها، ويكون قادرا على تحقيقها بطريقة تتناسب مع مفهومه حول ذاته ومفهوم الناس عنها وبالتالي يكون متكيفا، أما إن كان مفهومه حول ذاته مشوها فإنه لن يستطيع ذلك مما يجره للفشل والإحباط والصراع وسوء التكيف.

4- إن تقبل الفرد لخبراته ورضاه عن نفسه يساعدانه على التكيف، أما إذا رفض الفرد خبراته ولم يستدمجها فأنها ستظل مصدر قلق وتوتر دائم وتشكل تهديدا له، الأمر الذي يقوده إلى عدم التكيف مع نفسه ومع الآخرين.

5- إن مسايرة الفرد لقيم ومعايير مجتمعه تعد إحدى مظاهر تكيفه معه، أما إذا عارضها فإنه سيدخل في صراعات مع أصحابها الذين يعادونه ويرفضونه بينهم مما يؤدي به إلى الفشل والإحباط أي عدم التكيف مع هذا المجتمع وهو الثمن الذي دفعه الكثير من الفلاسفة والعلماء عندما ثاروا على الأفكار الخاطئة التي كانت سائدة.

6- تعتبر المرونة استجابة مناسبة يقوم بها الفرد نحو المؤثرات الجديدة، فالشخص المتصلب و غير القابل للتغير ستكون علاقته مع من حوله مضطربة على عكس الشخص المرن الذي يتقبل المواقف الجديدة ويتكيف معها، وتتسم الشخصية القوية بالقدرة على تغيير البيئة أحيانا لتتوافق معها، على عكس الشخصية الضعيفة التي لا تستطيع الوصول إلى التكيف إلا من خلال نكران الذات والذوبان في المحيط مما يجعله تكيفا هشا.

5- تفسير سوء التكيف:

إن فشل الفرد في إحداث التكيف سيؤدي به حتما إلى سوء التكيف، وقد تعددت الآراء في تفسيره، نذكر من بينها:

5-1- مدرسة التحليل النفسي: ترى أن الصراع بين متطلبات المتجمع والأسرة ودوافع الفرد وحاجاته والتي يسعى إلى إشباعها باستمرار وفي أحيان كثيرة تمنعه قيود المجتمع وسلطة الوالدين، هو المسؤول عن سوء تكيف الفرد وبالتالي عما يصدر عنه من سلوكات مضطربة تسبب له ولغيره المشاكل. فمدرسة التحليل النفسي تعتبر الصراع الداخلي للفرد هو منشأ السلوك المرضي والذي ينتج عنها الاستعمال غير المرن لآليات الدفاع من تبرير وكذب ونكوص وأحلام يقظة وعدوان وإسقاط.

5- 2- إريك بيرن Berne: يرى أن أسباب السلوك غير المتكيف ترجع إلى سوء التواصل بين الناس، وعدم تفهمهم لبعضهم البعض وعدم احترام حقوق وواجبات كل طرف فتتداخل الأدوار ويسودها الغموض، كما أن الكم الهائل من الأوامر والممنوعات يسبب ضغطا خاصا على الأطفال إلى جانب عدم فهمهم لها وتجاهل مجتمع الراشدين لمشاكلهم.

5- 3- كارين هورني Horney Caren: ترجع السلوك غير المتكيف إلى الاختلافات بين الثقافات سواء باختلاف المكان كانتقال فرد للعيش في مجتمع آخر أو الزمان وهو ما يطلق عليه صراع الأجيال داخل المجتمع نفسه. ففي كلتا الحالتين قد يعود سبب انحراف الفرد إلى اختلاف الثقافة المستدمجة لديه عن تلك المحيطة به.

5- 4- سوليفان Solivan: يرجع سبب السلوك غير المتكيف إلى اضطراب العلاقات الشخصية المتبادلة بين الناس، فالطفل يشعر بالقلق نتيجة السخرية منه، كما أن للأساليب العقابية المتبعة من قبل الوالدين أو المعلمين تجاهه تشعره بعدم الأمان والنبذ، في الوقت الذي تدفعه الحاجة للحب والأمان وبغرض إشباع هذه الحاجة قد يسلك أحد الطريقين: إما الإذعان والخضوع وتتسم شخصيته بالضعف والتبعية والشعور بالنقص والعزلة والاكتئاب وإما العدوانية مما يجعله في صراع دائم مع من حوله وهو في كلتا الحالتين غير متكيف ومضطرب نفسيا.

5- 5- المدرسة السلوكية: ترى أن السلوك غير المتكيف هو سلوك متعلم، يتعلمه الفرد أثناء تنشئته الاجتماعية ويكون نتيجة الأساليب والطرق الخاطئة في التربية كالحماية الزائدة أو الدلال أو الإهمال والقسوة واللامساواة بين الإخوة والتوقعات غير الواقعية من قبل الأهل سواء أكانت أقل من قدرات الطفل أو أعلى منها.

5- 6- أما ألبرت ألس Ellis: فيرجع أسباب السلوك غير المتكيف إلى طريقة تفكير الفرد وسوء تفسيره للمواقف والأحداث والتي تكون نتاج أفكاره اللاعقلانية التي استدمجها من خلال فترات نموه السابقة[7].

فطر الإنسان على أن يكون كائنا اجتماعيا وبالتالي فهو مجبر على العيش مع أفراد آخرين، تربطه بهم علاقات اجتماعية معقدة في الكثير من الأحيان وهو بذلك معرض إلى الكثير من الضغوطات والعوائق التي قد تقف بينه وبين تحقيق دوافعه وإشباع حاجاته لخفض توتره. وحى إن كان للاستعدادات التي يحملها وخصائص شخصيته التي ورثها أو اكتسبها كنتاج للتربية التي حظي بها تأثيرا على سلوكياته فإنه يبقى كائنا عاقلا مخيرا في انتهاج السبل السوية في السلوك لتجنب الوقوع فريسة لسوء التكيف والمرض النفسي.

كما لا يمكن إلغاء ما للمرونة والمسايرة كأسلوبي تعامل من مزايا تسمح للفرد بالشعور بالانتماء والأمن في المجتمع، إلا أن اعتمادهما في كل المواقف يعد مبالغة تمنعه من تحقيق ذاته وبالتالي تلغي وجوده مما يسبب له صراعا وسوء تكيف.

6- العوامل المؤدية إلى سوء التكيف:

تتعدد العوامل المؤدية إلى سوء التكيف باختلاف وجهات النظر المتبناة لتفسير السلوك غير المتكيف، إلا أنه يمكن تقسيمها على العموم إلى عدة مجالات.

6- 1- عوامل جسمية (فيزيولوجية): وتشمل

- شكل الجسم وبنيته الصحية: تتأثر صورة الفرد حول ذاته بصورة الآخرين حولها، فنظرتنا للمعاق كإنسان ضعيف وعاجز يشعره بالنقص، وتمنعه في الكثير من الأحيان من إثبات ذاته والإحساس بوجودها، لأننا نحكم عليه مسبقا بالفشل مما يقف عائقا بينه وبين المحاولة والتعلم، كما أن التلميذ خاصة في فترة المراهقة شديد الحساسية نحو شكله الخارجي ودائم المقارنة بينه وبين زملائه، فإن أحس بالنقص فإن ذلك سيؤدي به إلى الإحباط وربما العدوان فيعاني من تبعات سوء التكيف المدرسي والاجتماعي.

– الغدد: لقد أثبت علميا أن اضطراب إفرازات الغدد الصماء كالبنكرياس والغدة النخامية تتسبب ولو بشكل غير مباشر في سوء تكيف الفرد، نظرا للإعتلالات الصحية التي تسببها كالأمراض المزمنة (السكري) أو تشوهات الجسم (القزامة أو الدماءة).

6– 2– عوامل عقلية: مرتبطة بقدرات الفرد العقلية وبناه المعرفية والتي من بينها:

– الذكاء: لقد أثبتت العديد من الدراسات العلاقة القوية الموجبة بين الذكاء والتحصيل الدراسي، وبالتالي فإن التلميذ ضعيف الذكاء غير قادر على بلوغ الأهداف المسطرة للبرامج الدراسية العادية ما يعرضه للفشل والإحباط وسوء التكيف المدرسي وهو ما ينطبق عليه في بقية مجالات الحياة الاجتماعية والتي تتطلب حدا متوسطا من هذه القدرة العقلية.

– ثقافة الفرد: إذا توافقت ثقافة الفرد مع ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه فإنه سيتكيف نفسيا واجتماعيا، أما إذا تعارضتا فإنه سيعاني سوء تكيف، وتشمل الثقافة مجالات: الدين والقيم والمعايير والتقاليد والنظم السياسية والاقتصادية .....

– القدرات الخاصة والميول والاهتمامات: إن ما يمتلكه الفرد من قدرات واستعدادات خاصة كالقدرة الحركية أو اللغوية أو العددية .. ، تساعده على التكيف بما توفره له من إمكانات لإحداث التغيرات اللازمة لذلك، كما أن ميوله واهتماماته توفر له فرصا أكثر للنجاح والاستمرارية مما يشعره بالانتماء والأمن ويسمح له بتحقيق ذاته والمكانة الاجتماعية مما يجعله متكيفا، وبالتأكيد فإن خلوه منها سيجعله عرضة لسوء التكيف.

– الإدراك والانتباه: يعد الإدراك والانتباه من الوظائف الهامة في حياة الإنسان الدراسية والعملية، لدرجة يمكن القول فيها أن لا عمل يقوم به الإنسان لا يتطلبهما بصورة أساسية.

إن أي اضطراب يصيب أحدهما ينجر عنه صعوبات في التعلم مما يؤدي بالتلميذ إلى سوء تكيف مدرسي، ويتأثران بدورهما بعوامل جسمية كالضعف والتعب والإرهاق وبعوامل نفسية كالشعور بالنقص أو القلق وعوامل اجتماعية كشرود الذهن وضعف الدافعية والتي قد ترجع إلى أسباب كثيرة كالمشاكل الأسرية والفقر وسوء التغذية.

6– 3– عوامل انفعالية: إن كان للعوامل العقلية دورا في سلوكات الفرد فإنها ليست مسيطرة عليها، فللعوامل الانفعالية دورا مهما كاضطرابات المزاج والوجدان والاكتئاب والهوس والهستيريا والتوحد والوسواس والقلق والمخاوف المرضية، فعلى سبيل المثال الشخص المصاب بالوسواس القهري غير قادر على المسايرة بل إن سلوكاته القهرية تجعله في صراع دائم مع من حوله لعدم قدرته على السيطرة عليها، كما ثبت علميا أن التلميذ المصاب بالتوحد غير قادر على التكيف المدرسي لعجزه عن الإيفاء بمتطلبات الدراسة في المدارس العادية ومجاراة زملائه وربط علاقات اجتماعية معهم مما يمنعه من التكيف.

6– 4– مشكلات الطفولة والمراهقة:

يمر الفرد أثناء نموه بمراحل عمرية لكل منها خصائصها ومتطلباتها، فإن هو حقق هذه المطالب فإنه سيتجاوزها بنجاح ويحل أزماتها بالشكل السوي، محققا بذلك تكيفه وبالتالي توافقه النفسي ومتمتعا بصحته النفسية، وإن هو فشل في ذلك فإن سلوكاته تتسم بعدم النضوج مما يسبب له سوء التكيف. ومن أمثلة هذه السلوكات غير الناضجة: النشاط الزائد السلوك القهري (القهرية) تشتت التفكير، التهريج، أحلام اليقظة، الفوضوية وعدم الترتيب، سوء استخدام الوقت، الأنانية، الاعتمادية أو الاتكالية على الآخرين. وقد يكتسب سلوكات غير آمنة كالقلق والخوف وتدني مفهوم الذات أو تشتت الهوية حسب إريكسون والاكتئاب ..... إضافة إلى العادات غير الصحيحة كمص الأصبع وقضم الأظافر، واضطرابات الأكل وكلها سلوكات تسبب له سوء التكيف.

تؤثر زمرة الرفاق سلبا أو إيجابا على سلوك الفرد مما يقوده إما للاضطراب وسوء التكيف وإما للسواء والتكيف ومن بين التأثيرات السلبية التدخين، المخدرات والمهدئات، العزوف عن الدراسة، السلوك العدواني، التعصب، السرقة، الكذب ....

6- 5- عوامل متعلقة بالبيئة المحيطة بالفرد:

وتتمثل في العوامل المرتبطة بالأوساط المختلفة ذات الثقافات وأساليب المعاملة والوسائط المتنوعة المستخدمة للاتصال فيها ومن أهم هذه الأوساط المنزل والمدرسة.

6- 5-1- المنزل: وهو الوسط الأول الذي ينشأ فيه الفرد فيؤثر على نموه من عدة جوانب، فحجم الأسرة وتركيبها وطبيعة العلاقات السائدة فيها وأساليب المعاملة المعتمدة وإمكانية متابعتها لتحصيل الأبناء الدراسي له تأثير على تكيفهم الدراسي والاجتماعي إلى جانب تقمص الأبناء في كثير من الأحيان لاتجاهات الوالدين نحو المدرسة والتحصيل الأكاديمي مما ينعكس على دافعيتهم للدراسة إضافة لما توفره الأسرة من إمكانيات مادية للتلميذ والذي يؤثر بدوره على مدى تمكنه من الإيفاء بمستلزمات الدراسة وإشباع حاجته لتحقيق ذاته والإحساس بالانتماء والأمن وإحداث تكيفه الدراسي.

6- 5-2- المدرسة: ما من شك في أن المدرسة تلعب دورا رئيسيا في ارتفاع أو انخفاض المستوى التحصيلي للتلاميذ، وهي تلعب هذا الدور من خلال عدة وسائط تربوية:

- المناهج الدراسية من حيث ملائمتها لقدرات التلاميذ وسماتهم الشخصية وإشباعها لحاجاتهم ومدى موافقتها لواقعهم المعاش، فإن تحقق ذلك تمتع التلاميذ بتكيف دراسي، أما في حالة العكس فإنهم سيعانون سوء تكيف مدرسي وتلعب خدمات التوجيه والإرشاد دورا هاما في تضييق الهوة بين الواقع وما يفترض أن يكون، بمساعدة المتعلمين على التأقلم وإحداث التغييرات اللازمة لإحداث التكيف.

- الكتاب المدرسي: هل يعرض المادة العلمية بشكل يتلاءم مع خصائص مراحل نمو التلاميذ وبأسلوب يراعي الفروق الفردية بينهم، ليمكنهم من اكتساب المعرفة وإشباع حاجاتهم أم لا.؟

- الوسائل التعليمية: " هل هي كافية ومتنوعة وتستخدم استخداما كفئا في العملية التعليمية أم لا "[8].

- طرق التدريس: هل هي مناسبة لمستوى المتعلمين ومناسبة لنوع المعرفة المراد توصيلها، هل هي مرنة ومتنوعة أم لا ؟ فإن كانت الإجابة بالإيجاب مكنت التلاميذ من التحصيل الجيد، أما إن كانت سلبية فقد أدت بهم إلى سوء التكيف والإحباط.

- المعلم: شخصيته وتكوينه الأكاديمي ومدى كفاءته في التدريس واتجاهه نحو المهنة ومدى إشباعها لتطلعاته المادية والاجتماعية والمعنوية، كل هذا ينعكس على أداءه وبالتالي تحصيل التلاميذ الدراسي، ضف إلى ذلك طبيعة التفاعل الصفي بينهم والذي ينعكس على مدى تكيف التلاميذ.

إلى جانب هذه الوسائط التربوية تؤثر أنظمة التقويم والامتحانات ووسائلهما وأي القدرات تقيس: التذكر أم التفكير أم الميول .....، إلى جانب المناخ المدرسي وطبيعة الإدارة المدرسية – نمط القيادة المتبع والأنشطة اللاصفية على تكيف التلاميذ الدراسي لما تشبعه لديهم من حاجات للإحساس بالأمن والانتماء والحب وما توفره لهم من فرص لتحقيق ذواتهم والنجاح.

كما تؤثر بقية وسائل التربية على سلوكات الأفراد وشخصياتهم من خلال التأثير على ميولهم واتجاهاتهم وقيمهم وعاداتهم كوسائل الإعلام ودور العبادة، فإن هي ساعدتهم على حل صراعاتهم الداخلية وخفض توتراتهم ساعدتهم على التكيف، وأوقعتهم فريسة سوء التكيف في حالة العكس وهو أمر ينطبق على جميع أفراد المجتمع الطفل والراشد، بدرجات متفاوتة تبعا لمدى قابلية شخصياتهم للتأثر.

ثانيا: اضطرابات السلوك

إذا كان من خصائص التكيف أن يغير الفرد من سلوكاته أو يعدلها فيتخلى عن بعض العادات أو يغيرها لتناسب المجتمع الذي يعيش فيه حتى يتقبله هذا الأخير، وإن كان – أي التكيف – يعتبر مؤشرا على الصحة النفسية للفرد والتي من مظاهرها أن يكون منتجا في حدود إمكانياته وقدراته وما توفره البيئة من إمكانيات وما يسمح به الوقت المتاح، فإن الفشل في إحداث

التكيف سيعني بالضرورة الوقوع فريسة لسوء التكيف وفقدان كل ما سبق ذكره، وبالتالي المعاناة من عدم الاستقرار والاضطراب الانفعالي والسلوكي.

1- تعريف اضطرابات السلوك:

يمكن تقسيم تعريف اضطرابات السلوك إلى أكاديمي يخص سلوك الطفل الدراسي واجتماعي يخص سلوكه الاجتماعي، لغرض التوضيح.

1-1- التعريف الأكاديمي: الطفل المضطرب سلوكيا هو ذلك الطفل الذي يظهر سلوكا مؤذيا لذاته أو لغيره، فيؤثر سلبا على تحصيله الدراسي وعلى زملائه وعلى الجو العام للقسم.

1-2- التعريف الاجتماعي: الطفل المضطرب سلوكيا هو ذلك الطفل الذي ينحرف سلوكه عن المعيار الاجتماعي المحدد من قبل الجماعة التي يعيش في وسطها من حيث الشدة أو التكرار، ويحدد هذا الانحراف من قبل الراشدين المحيطين به.

2- تصنيف اضطرابات السلوك:

ظهرت عدة تصنيفات لاضطرابات السلوك نذكر منها:

2-1- التصنيف الصادر عن الرابطة الأمريكية للطب النفسي: والذي يشتمل على:

- الاضطرابات النمائية العامة منها والمحددة كالتوحد.
- الاضطرابات الانفعالية وتشمل قلق الطفولة والمراهقة.
- الاضطرابات السلوكية وتشمل اضطرابات الانتباه والتصرف.
- الاضطرابات الجسمية وتشمل اضطرابات الأكل والحركة.
- الاضطرابات السلوكية المرتبطة بالتخلف العقلي.

2-2- تصنيف كوفمان: واشتمل على:

- الحركة الزائدة والتخريب والاندفاعية.
- العدوان.
- الانسحاب.
- مشكلات تتعلق بالنمو الخلقي والانحراف.

وعلى العموم فلقد صنفت أدبيات العلوم السلوكية والتربوية اضطرابات السلوك إلى أربع فئات رئيسية وهي:

1- اضطرابات التصرف: وتشمل النشاط الزائد ونوبات الغضب وحب السيطرة والمشاجرة ومخالفة التعليمات وقواعد السلوك.

2- عدم النضج: وتتضمن العجز عن الانتباه وعدم الاهتمام بالدراسة والتفاعل مع من هم أصغر سنا.

3- اضطرابات الشخصية: وتتضمن الانسحاب الاجتماعي والخجل والقلق والجبن والشعور بالنقص والإحساس بالذنب.

4- العدوان والانحراف الاجتماعي: ويتضمنان السرقة والسلوك العدواني والتخريب.

3- خصائص المضطربون سلوكيا:

يتصف المضطربون سلوكيا بجملة من الخصائص أهمها:

3-1- الذكاء: يرى البعض أنهم بطيئوا التعلم وأن متوسط ذكاءهم لا يزيد عن 90 درجة بل أن البعض منهم يقع ضمن فئة المتخلفين عقليا، إلا أن ذلك لم يثبت بالشكل العلمي القطعي لسببين هامين:

السبب الأول: أن المتخلفين عقليا يقعون ضمن أحد تصنيفات المضطربين سلوكيا، أي أنهم يمثلون أحد فئاتها وبالتالي فهم يختلفون عن بقية الفئات من حيث الخصائص العقلية.

السبب الثاني: أنه يصعب تطبيق اختبارات الذكاء على المضطربين سلوكيا نظرا لخصائصهم الانفعالية والسلوكية والتي تؤثر على استجاباتهم للاختبار ومن ثم تأتي نتائجه متحيزة ضدهم ولا تعطي مؤشرات حقيقية ودقيقة حول ذكاءهم الفعلي.

3-2- التحصيل الدراسي: يعاني هؤلاء الأطفال من مشكلات تحصيلية مرتبطة بالمهارات الأكاديمية الأساسية والتي تشمل: القراءة والكتابة والحساب وما ينجر عنها من صعوبات وتأخر دراسيين.

3-3- السلوك العدواني: ويعتبر أحد الخصائص الشائعة بين هؤلاء الأطفال ويكون موجها إما نحو الآخرين وإما نحو الذات، ويتخذ شكلا بدنيا أو لفظيا أو رمزيا، ويختلف باختلاف عمر الطفل، ففي الطفولة المبكرة يتخذ شكل إزعاج الآخرين وإغاظتهم، ثم يوجه ضد المعلمين والمدرسة، وفي مراحل عمرية متقدمة يوجه السلوك العدواني نحو المجتمع ويظهر في شكل جرائم قتل وسرقة وأعمال سطو.

بناء على هذه الخصائص فإن المضطرب سلوكيا يكون غير قادر على بناء علاقات اجتماعية طبيعية مع زملائه ومعلميه، بسبب استجاباته الشاذة (غير المتكيفة) وغير المناسبة للمواقف، مما يعزله عمن حوله فيعاني الإحساس بعدم الانتماء والحزن والاكتئاب. ويشكل كل ذلك صعوبات له في اكتساب المعارف فيعاني صعوبات تعلم تتسبب بدورها في تأخره دراسيا.

إن المشكلات السلوكية والتعليمية كثيرا ما تترابط فالطفل الذي يعاني من صعوبات تعلم غالبا ما تتطور لديه مشكلات سلوكية كرد فعل على فشله في التحصيل فيوجه سلوكه العدواني نحو المعلم أو زملائه، والطفل الذي يعاني اضطرابا سلوكيا غالبا ما يواجه صعوبات تعلم بسبب حركته الزائدة وتشتت انتباهه.

ويبدى الطفل في كلتا الحالتين أعراضا متشابهة، يحتاج فيها إلى أخصائي نفسي لتشخيص حالته إن كان من المضطربين سلوكيا أم من ذوي صعوبات التعلم، لتحديد استراتجيات التدخل، ومن هذه المؤشرات نذكر:

- الحركات الخرقاء والصعوبات البصرية الإدراكية.
- الارتباك وعدم الثقة بالذات.
- البطء الشديد أو التسرع في الانجاز.
- تهور السلوك.
- اضطراب الانتباه إلى درجة العجز أحيانا.
- عدم القدرة على إتباع التعليمات.
- النشاط الزائد.
- تباين الأداء من موقف لآخر.
- عدم القدرة على تعميم المهارات المكتسبة.
- نوبات الغضب والعدوانية المفرطة.
- الانسحاب الاجتماعي وتجنب اللعب والاختلاط بالآخرين.
- نقص الدافعية وعدم الاهتمام بالتعلم.
- عدم القدرة على التذكر.

4- أسباب اضطرابات السلوك:

لقد قدمت تفسيرات متنوعة لاضطرابات السلوك، وبوجه عام تفترض المراجع العلمية الحديثة أربع فئات أساسية لهذه الأسباب وهي:

4-1- الأسباب البيولوجية: وتشمل العوامل الوراثية والاضطرابات الدماغية والعوامل المرتبطة بالتغذية.

4-2- الأسباب النفسية: وتتبناها مدرسة التحليل النفسي والتي ترجع منشأ الاضطرابات السلوكية إلى الاضطرابات في العمليات النفسية الداخلية، أي إلى الصراع الداخلي للفرد.

4-3- الأسباب السلوكية: وتنادي بها المدرسة السلوكية والتي تؤمن بأن السلوك الشاذ متعلم كالسوي تماما، وترجع سبب الاضطرابات السلوكية إلى خلل في عمليات الاشتراط الإجرائي والنمذجة.

4-4- الأسباب البيئية: وتتضمن العوامل المرتبطة بالبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد: الأسرة، المدرسة، الحي، العمل.....

5- بعض اضطرابات السلوك المرتبطة بالتعلم:

إن " الأطفال المصابون بالخمول والانطواء والإحباط وفقدان الثقة بالنفس بالإضافة إلى سوء تكيفهم هم منسحبون لا يمتلكون عنصر المبادأة أو المبادرة، كذلك فإن عدم النضج الانفعالي يعتبر واحدا من أبرز المسببات النفسية في التأخر الدراسي "[9].

أي أن اضطرابات السلوك مرتبطة بالتعلم فالأطفال المصابون بهذه الاضطرابات يتسمون بالخمول والانطواء والإحباط والانسحاب وضعف الدافعية ونقص الاهتمام بالدراسة مما يتسبب في تأخرهم دراسيا.

" كما أن إصابة الطفل بمشكلات نفسية أخرى كقضم الأظافر والتبول اللاإرادي والكذب والعدوانية قد يكون سببا في تأخر الطفل الدراسي، إذ تمتص الكثير من جهده ونشاطه وتفقده الحماس للتحصيل الدراسي "[10]. ويشخص التصنيف الصادر عن الرابطة الأمريكية للطب النفسي الأطفال المضطربين سلوكيا من خلال ما يبدونه من تشتت في الانتباه واندفاعية، وهو ما يجعلهم يجيبون عن الأسئلة قبل استكمالها ودون تركيز كاف على المنبهات المرتبطة بها. " لذلك فإنهم يجدون صعوبة في متابعة التعليمات وإنهاء الأعمال التي يقومون بها، كما أن لديهم ضعفا في القدرة على التفكير مما يجعلهم يخطئون كثيرا، كما أن حديثهم في الحوار سيكون غالبا غير مترابط "[11].

ومن الواضح أن عدم القدرة على التركيز ومتابعة التعليمات والتفكير وعدم إنهاء الأعمال وعدم ترابط الحديث كلها عوامل تعيق عملية التعلم، ومنه فإننا نستنتج أن ضعف الدافعية للانجاز والسلوك العدواني واضطراب الانتباه متغيرات ترتبط بالاضطرابات السلوكية من جهة وبالتعلم من جهة ثانية، حيث تربطها بهذا الأخير علاقة عكسية لكونها عوامل معيقة لعملية التعلم.

لكنها ليست مسئولة لوحدها عن التأخر الدراسي للتلاميذ إذ ترى بدرة معتصم ميموني أن الطفل كي يستطيع أن يحب التعلم ويكتسب المعرفة يجب أن يكون راضيا عن نفسه ومرتاحا نفسيا ومهيئا للتفتح الاجتماعي والمعرفي[12].

أي أنه إلى جانب خلوه من العوامل المعيقة الثلاث السالفة الذكر (ضعف الدافعية، العدوان، اضطراب الانتباه) يجب أن يتمتع بالتوافق النفسي أي أن يكون قادرا على إحداث التكيف حتى يتمكن من التحصيل الجيد

" فمن خلال التحليل النظري لمفهوم الكفاءة الدراسية نلاحظ أنها ترتبط بمتغيرات سيكولوجية هي: الدافعية للانجاز، التعاون والتنافس والتوافق المدرسي "[13].

وقد أثبتت العديد من الدراسات دورها الوسيطي بين هذه المتغيرات، أي أن ظهورها يكون متزامنا بمعنى أن للتكيف المدرسي علاقة باضطرابات السلوك والتي من بينها تلك المرتبطة بالتعلم كضعف الدافعية للانجاز والسلوك العدواني واضطراب الانتباه.

ثالثا: تحليل علاقة التكيف المدرسي ببعض اضطرابات السلوك

نظرا لما يوليه المجتمع للتحصيل الدراسي من أهمية كأحد أهم مخرجات المدرسة، فقد أجريت العديد من الدراسات من قبل علماء النفس والتربية للتعرف على مختلف العوامل المؤثرة عليه، ومن ثم القدرة على التنبؤ والسيطرة عليها.

وعلى ضوء تلك الدراسات سنقوم بمحاولة تحليل علاقة التكيف المدرسي ببعض اضطرابات السلوك المرتبطة بالتعلم: ضعف الدافعية للانجاز ،السلوك العدواني، اضطراب الانتباه.

1- علاقة التكيف المدرسي بضعف دافعية الانجاز:

" يجب أن يكون في الحسبان أنه كلما كانت العلاقة سوية بين المربين والأولاد وبين الأولاد بعضهم ببعض وبين المدرسة والأسرة كلما ساعد ذلك على حسن توافقهم النفسي وشعورهم بالأمن مما يؤدي إلى النجاح والتوفيق"[14].

بمعنى أن النجاح الدراسي للتلاميذ مرتبط بتوافقهم النفسي وشعورهم بالأمن وهو ما تؤكده دراسة ساند فين (1968) والتي انتهت إلى " أن الطلاب الأكثر تعلقا بالمدرسة أكثر حبا وبذلا في أداء أعمالهم، في حين تبين أن الطلاب النابذين للمدرسة يختلفون عن الآخرين في علاقتهم بالمدرسة ودافعيتهم للانجاز الأكاديمي وشعورهم بالطمأنينة والقدرة على حل المشكلات"[15].

تؤكد هذه الدراسة أن التلاميذ الأكثر حبا وتعلقا بالمدرسة هم أكثرهم بذلا في أدائهم لأعمالهم وأكثرهم دافعية للانجاز الأكاديمي وشعورا بالطمأنينة وقدرة على حل المشكلات، أي أن التلميذ الأكثر تكيفا في المدرسة هو الأكثر دافعية للانجاز وقدرة على حل المشكلات والأكثر تحصيلا دراسيا.

وبالمقابل توصل سيمور سارسون وبعض أعوانه، والذين بحثوا في ما يشعر به أطفال المدارس من قلق نحو الاختبارات، وتبين لهم أن الأطفال أصحاب القلق المرتفع والذين يعانون سوء تكيف مع موقف الامتحان لا يحسنون صنعا في الامتحانات التقليدية للقدرة العقلية والتعلم اللفظي والاستدلال الإبداعي، مع امتلاكهم المسبق لهذه القدرات، إلا أن خوفهم وسوء تكيفهم مع الموقف أعاق بذلهم للجهد للقيام بما يستلزمه موقف الامتحان، أي أن سوء التكيف مرتبط بضعف الدافعية للانجاز بعلاقة طردية على عكس ارتباطهما بالتحصيل الجيد، إذ يشترط لحدوث عملية التعلم وجود الدافع الذي يحرك الكائن الحي نحو القيام بنشاط لإشباع الحاجة وكلما كان الدافع لدى الكائن الحي قويا كان نزوعه نحو النشاط المؤدي إلى التعلم قويا أيضا.

2- علاقة التكيف المدرسي بالسلوك العدواني:

يعتبر السلوك العدواني أحد الخصائص الشائعة للأطفال المضطربين سلوكيا ويستخدم هذا المفهوم في علم النفس للدلالة على استجابة يرد بها المرء على الخيبة والإحباط والحرمان مع الوسط الذي يتفاعل معه، وذلك بأن يهاجم مصدر الخيبة أو ما يمثله حسب تقديره[16].

حسب هذا الرأي فإن التلميذ يهاجم المدرسة أو ما يمثلها من معلمين وتلاميذ وإدارة بسلوكات عدوانية لأنه يرى فيها مصدرا لخيبته. فما يحسه الطفل من كراهية للمعلمين له وغيرها من تفضيلهم لزميله عليه، أو لإحساسه بالنقص جراء عيب

خلقي أو نقص جسمي، يؤدي به إلى انتهاج السلوك العدواني كأسلوب ينال به مركزا في جماعته وإن كان ذلك على سبيل التجريب أو المحاولة تتعزز بعد ذلك بمقدار ما يناله من مكاسب[17].

كما أشارت دراسات لبعض علماء النفس في هذا المجال إلى أن ما يصدر عن الطفل من سلوك عدواني قد يكون راجعا على إحساسه بالعجز أمام أمور لم يستطع فهمها أو لشعوره بعدم القدرة على ضبطها أو لخوفه من المدرسة بشكل عام ومن المعلم بشكل خاص أو نتيجة لما يحدث داخل الوسط من توترات نفسية بصفة مستمرة ودائمة مما يجعل المناخ المدرسي غير مساعد على التكيف، فيعاني الاغتراب والعزلة وتبعات سوء التكيف المدرسي[18].

أي أن سوء تكيف الطفل المدرسي منعه من الإيفاء بمتطلبات الدراسة فأدى ذلك إلى إحساسه بالعجز عن الفهم وعن مجاراة زملائه فخاب أمله مما أدى إلى الرد باستجابة العدوان، والتي بدورها ستعيق تحصيله الدراسي والذي يتطلب الانتباه والتركيز وحسن التفكير لحل المشكلات حتى يحدث التعلم.

3- علاقة التكيف المدرسي باضطراب الانتباه:

يعتبر مصطلح اضطراب الانتباه من المصطلحات الحديثة نسبيا، إذ لم يتم تحديده بالشكل الدقيق إلا في ثمانينيات القرن الماضي، حيث كان يشخص قبل ذلك على أنه ضعف في القدرة على التعلم، أو أنه خلل بسيط في وظائف المخ، أو أنه إصابة بسيطة في المخ أو أنه نشاط حركي مفرط. إلى أن قام بورينو وزملائه (Porrino et al.1988) بدراسة أعراض اضطراب الانتباه، وقد أوضحت نتائج التحليل العاملي لهذه الدراسة أن عجز الانتباه و فرط النشاط الحركي عرضان لاضطراب واحد، وليسا نمطين مستقلين[19].

وعليه فاضطراب الانتباه هو عجز عن الانتباه يصحبه فرط في النشاط الحركي، والعجز في الانتباه يكون إما بقابليته للتشتيت أو العكس تثبيت الانتباه على مثير واحد وعدم الاستفادة من الصورة الكلية أو جموده كليا وهو في جميع الحالات يعني عدم القدرة على تركيز الانتباه مدة كافية وبشكل مناسب في المثير، وقد يرجع هذا لأسباب عضوية أو نفسية[20].

وقد قام باركلي وزملائه (Barkly et al, 1993) بدراسة استهدفت فحص العلاقة بين أسلوب المعاملة الوالدية وإصابة الطفل باضطراب الانتباه، وقد أوضحت نتائج دراستهم أن أساليب المعاملة الوالدية الخاطئة التي تشعر الطفل بالإهمال والنبذ من قبل والديه تؤدي إلى إصابته باضطراب الانتباه.

يعتبر اضطراب الانتباه أحد خصائص التلاميذ المضطربين سلوكيا حسب التصنيف الصادر عن الرابطة الأمريكية للطب النفسي، لذا فهم فئة يعانون من صعوبة في التعلم لكون الانتباه يعد العملية الأولى في اكتساب الخبرات التربوية حيث يساعد التلميذ على تركيز حواسه فيما يقدمه له المعلم من معلومات ويمعن التفكير في معانيها ودلالاتها مما يساهم في استيعابها.

كما أن التلميذ سيء التكيف يعاني اندفاعية زائدة وفرطا في النشاط الحركي والذي ثبت أنه وإلى جانب عجز الانتباه عرضان لاضطراب واحد ألا وهو اضطراب الانتباه.

قام دهاليوال وساييني (Dhaliwal and Saini 1975) بدراسة الأسباب التي تؤدي إلى انتشار التأخر الدراسي بين طلاب المدارس العليا، وقد بينت النتائج أن التحصيل الدراسي المرتفع أو المنخفض يرتبط سلبا أو إيجابا بالمتغيرات التالية: عادات الاستذكار، الدافعية، التوافق والشعور بالطمأنينة[21]. والمعروف أن الاستذكار كنشاط عقلي يعتمد على الانتباه بشكل كبير فأي خلل يصيب الانتباه من تشتت، عجز، تثبيت .....، يمنع من حدوث عملية الاستذكار.

تؤكد هذه الدراسة أن التوافق النفسي – الذي يعتمد بدوره على حدوث التكيف – يعد المناخ المناسب الذي يمكن الفرد من اكتساب المعرفة بالشكل السليم، لأنه يوفر الاستقرار الذي تحتاج إليه العمليات العقلية كي تتم دورة النشاط العقلي

ويحدث التعلم، أي أن سوء التكيف المدرسي يؤثر سلبا على العمليات العقلية بما في ذلك الانتباه فتعطل هذه الدورة ويعاني التلميذ من التأخر الدراسي.

دورة النشاط العقلي المعرفي للفرد

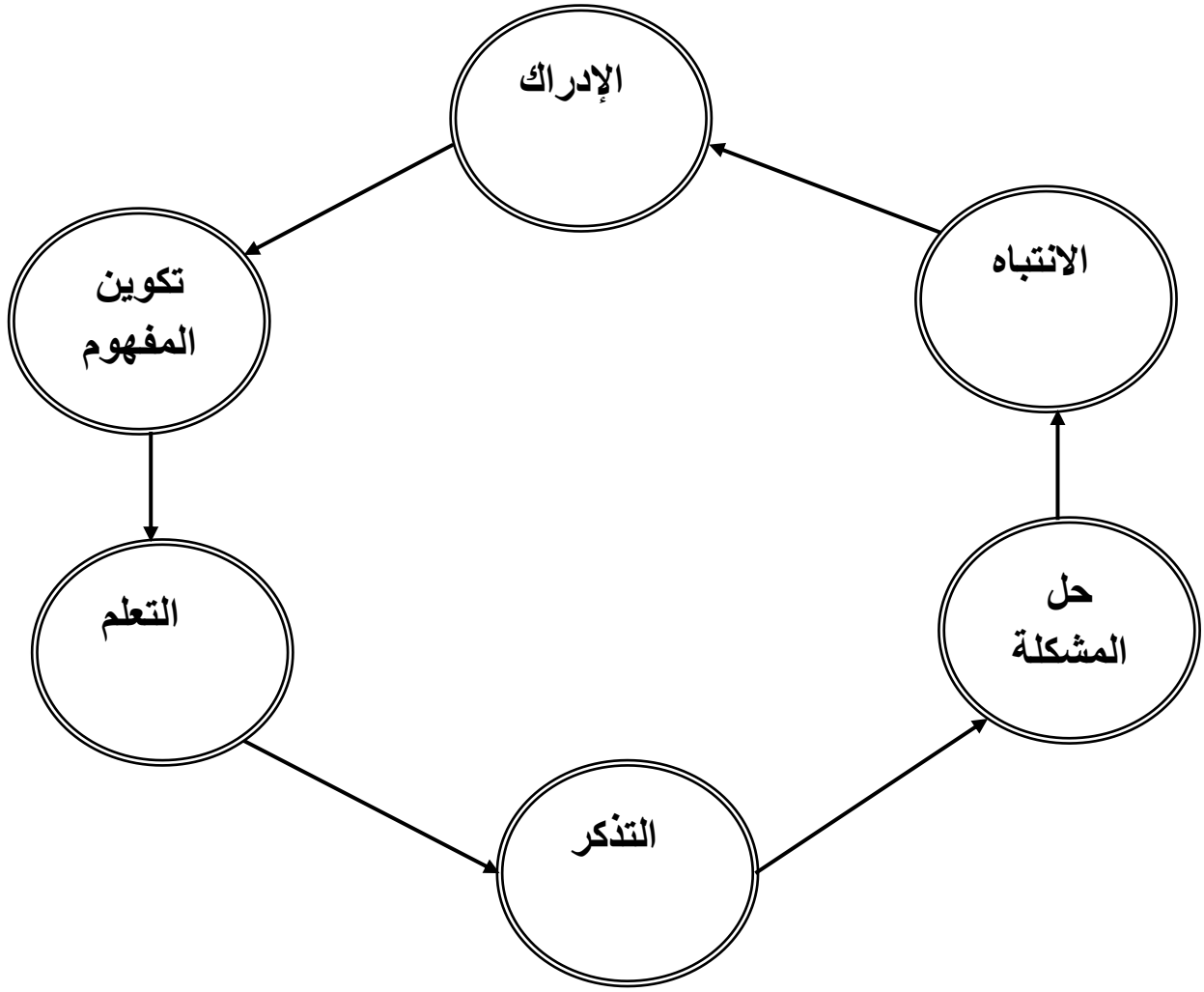

خاتمة

تعرف الصحة النفسية بأنها حالة دائمة نسبيا، يكون الفرد فيها متوافقا نفسيا (شخصيا واجتماعيا) ويشعر بالسعادة مع نفسه ومع الآخرين، ويكون قادرا على تحقيق ذاته واستغلال قدراته وإمكاناته إلى أقصى حد ممكن ليتمكن من مواجهة مطالب الحياة، فتكون شخصيته متكاملة وسوية وهي حالة يسعى الإنسان جاهدا للحفاظ عليها.

ويعتبر التكيف البوابة المؤدية إليها، فالفرد يتكيف ثم يرضى فيتوافق محققا بذلك صحته النفسية، لذا فتحقيق التكيف المدرسي يعد غاية يسعى الأفراد والمجتمعات لتحقيقها خاصة في المدارس الابتدائية والتي لا يمكن لمتعلميها تحمل مسؤولية إحداث التغييرات اللازمة لذلك نظرا لصغر سنهم وكون شخصياتهم مازالت هشة في طور التشكيل وغير قادرة منفردة على تحمل العوائق والاحباطات المصاحبة.

وإذا كان للتكيف علاقة باضطرابات السلوك، فإن زيادة فعالية المدرسة والرفع من كفاءة التحصيل الدراسي مرهون بمدى التحكم في هذه الاضطرابات خاصة تلك المرتبطة بالتعلم، لأن ذلك من شأنه الرفع من كفاءة مخرجاتها من إطارات ومسيرين وهو على أقصى تقدير تخطيط لمستقبل الدولة.

قائمة المراجع

1– زهران، حامد عبد السلام (2005). "**علم نفس الطفولة والمراهقة**". عالم الكتب. ط5. القاهرة. مصر. ص .20

2- عبد اللاوي، سعدية (2012). "**المشكلات النفسية والسلوكية لدى أطفال السنوات الثلاث الأولى ابتدائي وعلاقتها بالتحصيل الدراسي**". ماجستير منشورة. جامعة مولود معمري. تيزي وزو. الجزائر. ص .2

3– عبد العزيز، سعيد والعطيوي، جودت عزت (2004). "**التوجيه المدرسي مفاهيمه النظرية–أساليبه الفنية – تطبيقاته العملية**". مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1. عمان. الأردن. ص231.

4– العزة، سعيد حسني (2004). "**تمريض الصحة النفسية وعلاقتها بالذكاء الانفعالي**". ب ط. بغداد. العراق. ص37.

5– النبهان، موسى (1995). "**دراسة تحليلية لواقع البيئة التربوية للمدارس الثانوية في جنوب الأردن**". مجلة أبحاث اليرموك للعلوم الإنسانية والاجتماعية. العدد1. ص.223

6– عبد العزيز، سعيد والعطيوي، جودت عزت (2004). مرجع سبق ذكره. ص232.

7– المرجع السابق. ص.299

8– حافظ، نبيل عبد الفتاح (1998). "**صعوبات التعلم والتعلم العلاجي**". ب ط. مصر. ص8.

9– الشحيمي، محمد أيوب (1994). "**الأطفال كيف نفهمها،المشكلات الطفولية وسبل علاجها**". دار الفكر اللبناني، ط1. بيروت. لبنان. ص16.

10– المرجع السابق، ص 17.

11– أحمد، السيد علي سيد وبدر، فائقة محمد(1999). "**اضطراب الانتباه لدى الأطفال، أسبابه–تشخيصه–علاجه**". مكتبة النهضة. ط1. القاهرة. مصر. ص33.

12– ميموني، بدرة معتصم (2005). "**الاضطرابات النفسية والعقلية عند الطفل والمراهق**". الجزائر. ديوان المطبوعات الجزائرية. ط 2. الجزائر. ص244.

13– موسى، رشاد علي عبد العزيز(1994). "**دراسات وبحوث في علم النفس الدافعي**". ب ط . القاهرة. مصر. ص.218

14– زهران، حامد عبد السلام (2005). مرجع سبق ذكره. ص .20

15– موسى، رشاد علي عبد العزيز(1994). مرجع سبق ذكره. ص233.

16– مختار، وفيق صفوت (1999). ص50.

17– الهاشمي، عبد الحميد محمد (1966). "**علم النفس التكويني أسسه وتطبيقاته**". دار التربية للتأليف والنشر والتوزيع. ط5. دمشق. سوريا. ص ص 80-81.

18– مختار، وفيق صفوت (1999). مرجع سبق ذكره. ص59.

19– أحمد، السيد علي سيد وبدر، فائقة محمد(1999). مرجع سبق ذكره. ص34.

20– حافظ، نبيل عبد الفتاح (1998). مرجع سبق ذكره. ص15.

21– موسى، رشاد علي عبد العزيز(1994). مرجع سبق ذكره. ص234.

محددات التمكين النفسي ومستواه لدى أفراد الحماية المدنية
– دراسة ميدانية بالمديرية العامة لولاية سكيكدة–

أ.عاشور لعور
جامعة سكيكدة

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على محددات ومستوى التمكين النفسي لدى أفراد الحماية المدنية، حيث افترض الباحث أن مستوى التمكين النفسي مرتفع حسب أبعاده الأربعة (أهمية العمل، الاستقلالية، الكفاءة و التأثير في العمل.

وللتأكد من هذه الفرضيات اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي مع استعمال استمارة كأداة أساسية لجمع البيانات، حيث تمثلت عينة الدراسة في (80) فردا من أفراد الحماية المدنية بالمديرية العامة لولاية سكيكدة. وتوصلنا من خلال دراستنا هذه إلى النتائج التالية:

- مستوى التمكين النفسي لدى أفراد الحماية المدنية بالمديرية العامة لسكيكدة مرتفع.
- أفراد الحماية المدنية يشعرون بأهمية العمل الذي يقومون به.
- أفراد الحماية المدنية يشعرون بالاستقلالية في العمل، وفي مختلف تدخلاتهم الميدانية .
- أفراد الحماية المدنية يملكون الكفاءة (الجدارة) اللازمة لأداء مهامهم النبيلة .
- أفراد الحماية المدنية يشعرون بالتأثير في مجريات العمل داخل وخارج المديرية.

الكلمات المفتاحية: التمكين النفسي، الحماية المدنية، أهمية العمل، الجدارة، الاستقلالية والتأثير.

Résumé:

Le but de cette étude était d'identifier l'empowerment psychologique chez les membres de la protection civile , donc je suppose un niveau élevé d' empowerment psychologique selon les quatre dimensions (l'importance du travail , de l'indépendance , de compétence et d'influence au travail).

Pour confirmer ces supposées, nous avons utilisé dans cette étude la méthode descriptif analytique avec un questionnaire comme outil pour assembler les donner, des que l'échantillon de cette étude a 80 agent de la protection civil de la direction générale de la wilaya de skikda, et nous avons arrivé aux résultats suivantes :

1- Le niveau d' empowerment psychologique chez les membres de la protection civile est élevé.

2- Les membres de la protection civile se sentent l'importance du travail qu'ils font

3-Les membres de la protection civile se sentent indépendante au travail, et dans les différentes interventions sur le terrain.

4-Les membres de la protection civile ont une efficacité (mérite) necessaries à l'accomplissement de leurs fonctions .

5-Les membres de la protection civile se sentent l'impact dans le cadre de travail à l'intérieur et à l'extérieur de la Direction.

مقدمة:

يشهد العالم منذ عقدين من الزمن تقريباً بروز قوى مؤثرة تعيد تشكيل منظومة الاقتصاد والإدارة وتستدعى تغيراً أساسيا في الاستراتيجيات التنظيمية، وتتمثل أهم هذه القوى في العولمة، الدرجة العالية من التعقيد، التكنولوجيا الجديدة، زيادة حدة المنافسة، والتغير في الهياكل الاقتصادية والسياسية.

وتنعكس هذه القوى على المنظمات بكافة أشكالها وعليها أن تكون سريعة التكيف والاستجابة وأخذ زمام المبادرة حتى تستطيع أن تحافظ على مكانتها واستمراريتها، وقد واكب ذلك ظهور العديد من المفاهيم التي تسعى لتطوير وتحسين الأداء التنظيمي ومن أبرزها مفهوم التمكين.

وفي ظل مسؤولية القادة والمديرين عن فشل أو نجاح المنظمات، أصبح الاهتمام بالإنسان وبإدارته وتوجيهه وتحفيزه يفوق غيره من الأمور الأخرى المتعلقة بالمال، والتقنية، والهياكل التنظيمية، وذلك لكونه يزخر بقدرات كثيرة ملموسة، فهو متعدد المواقف،

والانطباعات والغرائز والدوافع التي لا ترى، وتصعب ملاحظتها وقياسها، لذلك برز من بين الموضوعات المتعلقة بالبعد البشري موضوع التمكين كأحد المفاهيم الإدارية الحديثة في الألفية الثالثة.

ومفهوم التمكين يهتم بشكل رئيسي بإقامة وتكوين الثقة بين الإدارة والعمال وتحفيزهم ومشاركتهم في اتخاذ القرار وكسر الحدود الإدارية والتنظيمية الداخلية بين الإدارة والعمال، فالشركات والمؤسسات الرائدة تدرك أن الاهتمام بالعنصر البشرى هو السبيل للمنافسة وتحقيق التميز، ولا شك أن الاهتمام بمفهوم تمكين العمال يشكل عنصراً أساسياً للمؤسسات والشركات في العالم العربي والجزائر خصوصاً في ظل التحديات والتغيرات المتسارعة، وفقا لذلك فإن قطاع الأعمال في الجزائر في حاجة ماسة للتغيير وتبنى ممارسات وسياسات تتلاءم مع المتطلبات والتطورات المعاصرة.

ونظرا لأهمية التمكين النفسي وتأثيره المباشر على مختلف السلوكات العمالية والنشاطات الوظيفية والعمليات الإدارية سنحاول دراسة واقع التمكين النفسي في مؤسسة وطنية، ولتحقيق ذلك جاءت دراستنا مقسمة إلى جانبين:

جانب نظري، نتناول من خلاله إشكالية وفرضيات الدراسة، أهميتها وأهدافها، ثم نتطرق إلى مفهوم التمكين النفسي ومحدداته في المؤسسات الجزائرية.

والجانب التطبيقي نعرض من خلاله الإطار المنهجي للدراسة وضحين من خلاله أين قمنا بالدراسة وماذا استعملنا لجمع البيانات وتحليلها وصولا إلى مناقشة فرضيات الدراسة وتقديم النتائج والاقتراحات.

أولا–الجانب النظري

1– إشكالية الدراسة:

يعتبر موضوع دراسة تمكين العمال من الموضوعات الإدارية الحديثة والتي لم تحظى حتى الآن باهتمام الدارسين والباحثين بشكل كبير. وعلى الرغم من أهمية التمكين إلا أن أدبيات التمكين تنزع إلى وجه نظر شاملة فيما يتعلق بالمفهوم على أنه ملائم لجميع المنظمات في مختلف الظروف.

وبالتالي فالتمكين النفسي من الاستراتيجيات المعاصرة التي ترتقي بالعنصر البشري في المنظمة المعاصرة إلى مستويات راقية من التعاون وروح الفريق والثقة بالنفس والإبداع والتفكير المستقل وروح المبادرة، وإن اختلفت التعريفات والمفاهيم، فإن جوهره يتمركز حول منح العمال حرية في أداء العمل ومشاركة أوسع في تحمل المسؤولية ووعي أكبر بمعنى العمل الذي يقومون به والشعور بالأهمية وروح المسؤولية.

وهو من بين المفاهيم التنظيمية التي أنتجها الفكر التنظيمي المعاصر واستحوذت على اهتمام الكثير من الباحثين والممارسين في مجال السلوك التنظيمي والإداري، وهو ما يساهم وبشكل كبير في الارتقاء بمستوى أداء المنظمة وضمان مكانتها والوقوف أمام تحديات عصر المنافسة والتغيير، ويدور محور التمكين حول الموظف أو العامل الذي يعد أهم الموارد التنظيمية وباختفائه لا يتصور وجود أي أساس تنظيمي، وهو ركيزة تطور وتقدم أي مؤسسة أو مجتمع، فالعديد من المجتمعات وصلت إلى قمة التطور والازدهار في مختلف المجالات بسبب الأهمية المعطاة لمواردها البشرية، فاليابان مثلا استطاعت التربع على عرش التقدم التكنولوجي ليس بما تملكه من موارد طبيعية بل بما تملكه من موارد بشرية.

وفي خضم ما تعيشه المؤسسات من صراعات تنظيمية وإدارية، وما تشهده الساحة من تغييرات متسارعة، أضحت المؤسسات الوطنية بحاجة ماسة إلى إيجاد مناخ يساعد العمال على العمل والإنتاج والإبداع، ويصبح بذلك العامل أكثر ولاء وانتماء لمؤسسته، وصلاحا لمجتمعه ووطنه.

كما تعد مؤسسات القطاع العام في الجزائر من أكبر المؤسسات التي تعاني العديد من المشاكل التنظيمية والإدارية، خاصة المتعلقة بعلاقة العمال مع الإدارة من جهة، أو المركزية والبيروقراطية في التسيير من جهة ثانية، وفي كلتا الحالتين يجد العمال

أنفسهم في صراعات لا خروج منها، ويتولد لديهم الشعور بالإحباط والدونية، والتخوف من مكانتهم في المؤسسة، ويعود ذلك بالسلب على أدائهم المهني والتزامهم التنظيمي وولائهم وانتمائهم للمؤسسة، وهي كلها مشاكل تستدعي التدخل العاجل، ودراسة الوضع، ووضع خطط وبرامج من شأنها إعادة ترتيب المؤسسة وخلق مناخ وبيئة تنظيمية محفزة ومشجعة على العمل والإبداع والولاء.

ووقوفا عند هذه الوضعية التنظيمية سنحاول من خلال دراستنا هذه، إلقاء الضوء على موضوع تنظيمي هام جدا، وله تأثير مباشر على مجمل السلوكيات العمالية والنشاطات التنظيمية الأخرى، من خلال الوقوف على حال وواقع التمكين النفسي في مؤسسة الحماية المدنية باعتبارها مؤسسة جزائرية هامة، وذلك من خلال الإجابة على السؤال الرئيسي التالي :

ما مستوى التمكين النفسي لدى أفراد الحماية المدنية؟ وتحت هذا السؤال ندرج مجموعة من التساؤلات الجزئية والمتمثلة في :

- هل يشعر أفراد الحماية المدنية بأهمية العمل الذي يقومون به؟
- هل يشعر أفراد الحماية المدنية بالاستقلالية في العمل؟
- هل يملك أفراد الحماية المدنية الكفاءة في أداء مهامهم؟
- هل يشعر أفراد الحماية المدنية بالتأثير في مجريات العمل؟.

2- فرضيات الدراسة:

الفرضية العامة: مستوى التمكين النفسي لدى أفراد الحماية المدنية مرتفع.

الفرضيات الجزئية:

- أفراد الحماية المدنية يشعرون بأهمية العمل الذي يقومون به.
- أفراد الحماية المدنية يشعرون بالاستقلالية في العمل.
- أفراد الحماية المدنية يملكون الكفاءة في أداء مهامهم.
- يشعر أفراد الحماية المدنية بالتأثير في مجريات العمل .

3- أهداف الدراسة:

نسعى من خلال هذه الدراسة تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية والعملية، وتتمثل هذه الأهداف في:

1. معرفة مدى إدراك أفراد الحماية المدنية للتمكين النفسي.
2. معرفة الحالة النفسية لدى أفراد الحماية المدنية.
3. معرفة مدى إدراك أفراد الحماية المدنية لمحددات التمكين النفسي.
4. الوقوف على واقع التمكين النفسي في المؤسسات الجزائرية.
5. معرفة مدى وعي العمال في الجزائر بمجال التمكين وفوائده النفسية والتنظيمية .
6. الوصول إلى نتائج وحقائق يمكن الاستفادة منها في مجال السلوك التنظيمي، والعمل الإداري في المؤسسات الجزائرية.

4- تحديد مصطلحات الدراسة:

4-1- التمكين :

أ- لغة:

"التمكين" مصدر للفعل مكّن وهو من مزيد الثلاثي والأصل "مكَن" وقد وردت مادة "مكن" في كتب اللغة ولم تخرج عن أصل وضعها، قال الجوهري: ("مكن" مكنه الله من الشيء وأمكنه منه بمعنى، واستمكن الرجل من الشيء وتمكن منه بمعنى، وفلان لا يمكنه النهوض: أي لا يقدر عليه.

والمكْن: بيض الضب، قال الكسائي: أمكنت الضبة جمعت بيضها في بطنها. (الجوهري، 2005، ص5)وجاء في لسان العرب:"وقد مكنت الضبة وهي مكون، وأمكنت وهي ممكن إذا جمعت البيض في جوفها "وفي حديث أبي سعيد: "لقد كنا على عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يهدى لأحدنا الضبة المكون أحب إليه من أن يُهْدى إليه دجاجة سمينة"؛ المكون التي جمعت المكن وهو بيضها، وقيل: الضبة المكون التي على بيضها، والمِكِنة التمكن؛ تقول العرب: إن بني فلان لذوو مَكِنة من السلطان أي تمكن .وقال ابن سيده: والمكانة المنزلة عند الملك، والجمع مكانات ولا يجمع جمع تكسير وقد مَكُن مكانة فهو مكين، والجمع مكناء، وتمكَّن كَمَكن. وتمكن من الشيء واستمكن ظفر، والاسم من كل ذلك المكانة .وجاء في لسان العرب: يقال أمكنني الأمر، يمكنني فهو ممكن، ولا يقال: أنا أمكنه بمعنى أستطيعه.(ابن منظور ، ص415.412).

أما في المعجم الوسيط فإن (مكّن) له في الشيء أي جعل له عليه سلطانا، (أمكنه) من الشيء أي جعل له عليه سلطانا وقدرة وسهل ويسر عليه. (نجاح القاضي، 2008، ص08)

وفي اللغة الإنجليزية يعني منح سلطة رسمية لشخص ما، (Autorize)أو قانونية(Invest with legal power) ، وهو بالانجليزية والفرنسية"Empowerment" ، وهذا المفهوم مشتق من كلمةpower ، أي القوة، وإذا ترجمناها إلى العربية، فنحن نعني التمكين، وعندما نعرف التمكين كمفهوم إداري، فغالبية التعاريف تتفق على أن التمكين يختص بمنح الموظف السلطة المتعلقة بالأعمال والمهام ضمن تخصصه الوظيفي، وتحريره من الضبط المحدد عن طريق التعليمات، ومنحه الحرية لتحمل مسئولية آرائه، وقراراته، وتطبيقاته. (خالد بن سليمان الرشودي، 2009، ص13).

ب– اصطلاحا

يمثل التمكين تلك العملية التي يسمح من خلالها للعمال بالمشاركة في المعلومات، وفي التدريب والتنمية، والتخطيط والرقابة على مهام وظائفهم بغية الوصول إلى النتائج الإيجابية في العمل وتحقيق الأهداف الفردية والتنظيمية، ويعد مدخل تمكين العمال أحد المداخل الحاكمة لتحسين جودة الخدمة، وتحقيق رضاء العملاء وزيادة الإنتاجية، والرضا الوظيفي لدى العمال، والالتزام التنظيمي، والفعالية التنظيمية .

التمكين النفسي:

حسب (2004) Caeless فإن التمكين النفسي هو أسلوب إداري وشعور نفسي بالمقام الأول، بمعنى أن هذا الشعور وهذه الدوافع لا تعطى للعامل، وإنما هي أشياء ذاتية متأصلة بداخلهم، كل ما تستطيع الإدارة العليا عمله هو توفير المناخ المناسب والبيئة المساندة لرعايته وتعزيزه ، أما (2005) Bhatnagar فيرى بأنه مفتاح الابتكار والإبداع في بيئة العمل، وحسب (2005) Pitts فإن رؤية الفرد لنفسه وإدراكه لأهمية عمله هي بداية التمكين النفسي وان لديه الجدارة والكفاءة لتحقيق هذا الهدف. (رياض أبا زيد، 2010، ص500)

كما أنّ رفيق وأحمد وصفا التمكين على أنه: حالة ذهنية لدرجة أن الموظف الذي يمتلك هذه الحالة الذهنية (State of Mind)يمتلك الخصائص الآتية التي يمكن أن نطلق عليها خصائص الحالة الذهنية للتمكين النفسي والتي تشتمل على:

- الشعور بالسيطرة والتحكم في أدائه للعمل بشكل كبير.
- الوعي والإحساس بإطار العمل الكامل (أي الأعمال والأشياء التي تدور في ذلك العمل الخاص الذي يقوم به الموظف.(
- المساءلة والمسؤولية عن نتائج أعمال الموظف.
- المشاركة في تحمل المسؤولية فيما يتعلق بأداء العامل، وحتى المؤسسة التي يعمل بها (Rafiq and Ahmed, 1998) .

والتمكين النفسي حالة ذهنية داخلية تحتاج إلى تبني وتمثُّل لهذه الحالة من قبل الفرد، لكي تتوافر لديه الثقة بالنفس والقناعة بما يمتلك من قدرات معرفية تساعده في اتخاذ قراراته، واختيار النتائج التي يريد أن يصل إليها.

وفي دراستنا هذه نقصد بالتمكين النفسي: إعطاء أفراد الحماية المدنية الحرية التامة في العمل والتدخل، وفي تحمل المسؤوليات اتجاه نشاطاتهم، وبالتالي تحرر مواهبهم وقدراتهم الكامنة، وتشجيعهم على الإبداع والابتكار ، وهو ما تقيسه بنود وأبعاد مقياس التمكين النفسي المعد لذلك.

محددات التمكين النفسي:

جدول رقم (01) : نظرة مجموعة من الباحثين إلى أبعاد التمكين

الرقم	الباحث	السنة	الابعاد
1	Dowen	1992	المشاركة بالمعلومات، المعرفة، القوة.
2	Eccles	1993	القوة، الموارد، الحرية.
3	Horine	1995	الحرية، المسؤولية عن النتائج.
4	Brown	1996	الجود، السلطة، الموارد، المعلومات.
5	Gregorey	1996	فريق العمل، التفويض.
6	Ivancevich	1997	فريق العمل، المشاركة بالمعلومات، الهيكل.
7	Choi	1997	الحرية، المسؤولية.
8	Argyris	1998	دعم المنظمة، حرية التصرف.
9	Rubbins	1998	الهيكل التنظيمي، الرقابة.
10	Griffin	1999	تأهيل العمال، الرقابة.
11	Lioyd	1999	فرق العمل، الهيكل التنظيمي.
12	U gboro	2000	دعم المنظمات، المكافئات.
13	Daft	2001	الحرية، القوة، المشاركة بالمعلومات.
14	Hellrieg el et al	2001	السلطة، المهارات، الحرية.
15	Blanchard et. al.	2001	المشاركة بالمعلومات، الحرية، فرق العمل.

المصدر: الساعدي، 2006، ص65

ومن خلال هذه الأفكار والتوجهات فإننا سنحدد أبعاد التمكين النفسي في دراستنا هذه في أربعة نقاط وهي:

الشكل رقم (01): أبعاد التمكين

-أهمية العمل: ويعني الإحساس بجدوى وقيمة العمل من خلال توافق أهداف ومعتقدات أفراد الحماية المدنية من جهة، مع متطلبات وأدوار العمل من جهة أخرى، فإذا كانت النضرة منسجمة وايجابية فإن الوظيفة ذات قيمة تؤدي إلى خلق معنى وبالتالي يصبح عمل الفرد محركا يكن له الولاء والالتزام.

-التأثير: وهو إدراك الفرد في الحماية المدنية بأن له تأثيرا على مختلف المهام التي يؤديها وأنه يؤثر ويساهم في سياسات وقرارات المؤسسة والتي تتعلق بعمله.

-الكفاءة أو الجدارة: وهي اعتقاد الفرد أن لديه المهارة والكفاءة اللازمة لانجاز المهام المطلوبة منه بإتقان وكفاءة وفعالية عالية.

-الاستقلالية وحرية التصرف: تعتبر الاستقلالية إدراك الفرد بحريته في تقرير انجاز عمله، واختيار البديل المناسب حيث يبادر إلى تصميمه وانجازه بما يتناسب مع وجهة نظره وتقديره الخاص.

الحماية المدنية:هي مرفق عمومي مهامه حماية الأشخاص والممتلكات وطبيعة مهامها تتطور باستمرار لمسايرة التطورات العصرية والتقنية، وهي مرفق موضوع تحت وصاية وزارة الداخلية تتمتع بهيكل خاص وميزانية مستقلة، كما أنها تتمتع بتنظيم إداري تقني وعملي للتكفل بالمهام الإنسانية المنوطة بها.

مهامها الرئيسة:

-الوقاية والتدخل أثناء الكوارث الطبيعية والتكنولوجية.

-حراسة الشواطئ وحماية المصطافين.

-تقديم الإسعافات في مختلف الحوادث.

-البحث عن التائهين في الصحراء.

-الإنقاذ والإسعاف في مختلف الأخطار .

-إخماد الحرائق بمختلف أنواعها.

-إعداد الدراسات الوقائية للوقاية من مختلف الأخطار.

-القيام بحملات التحسيس والتوعية من مختلف الأخطار.

-التغطية الأمنية في نقل المواد الخطرة.

ثانيا-الجانب التطبيقي:

1-مجتمع وعينة الدراسة:

يتكون مجتمع دراستنا من أفراد الحماية المدنية بمدينة سكيكدة بالمديرية العامة المتواجدة بالولاية والمقدر عددهم ب 417 فردا بين إداريين وأعوان تدخل ميداني موزعين كما يلي:

السن	إداري		عون تدخل		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
24- 32	47	11.27	146	35	193	46%
33 – 41	19	1.55	100	24	119	29%
42 – 50	32	7.67	44	10.55	76	18%
51 - 59	29	07	//	//	29	7%
المجموع	127	%30	290	%70	417	%100

الجدول رقم (02): يبين خصائص مجتمع الدراسة حسب السن

من خلال النتائج الموضحة في الجدول فإننا نسجل أن أكبر نسبة هي 46% وهي تمثل الأفراد المتواجدين ضمن الفئة العمرية 24-32 سنة وهي فئة الشباب، تليها مباشرة نسبة 29% وتمثل فئة الأفراد بين 33-41 سنة، ثم بعدها تأتي النسبة 18% وهي تمثل الفئة العمرية من 42-50 سنة، وأخير وبأصغر نسبة 07% جاءت الفئة العمرية 51-59 سنة.

إن الشيء الملاحظ أن هذه النسب تدل على أن أغلبية أفراد مجتمع الدراسة شباب، وبأقل نسبة نجد الكهول، حيث كلما تقدمنا في السن تقل نسبة تواجد الأفراد في مجتمع الدراسة، وهذا طبعا يتماشى مع خصوصية الحماية المدنية ومهامها التي تتطلب الخفة والنشاط والاستعداد الدائم وتحمل الكثير من المشاق والصعاب، والعمل تحت تأثير مختلف الظروف الطبيعة

والنفسية التي تتطلب فردا قويا نشطا ، لديه العزم والقوة الجسمية والنفسية، وهي كلها من صفات الشباب، وتقل لدى الفرد مع التقدم في السن.

عينة الدراسة:

تتمثل عينة الدراسة في مجموعة من أفراد الحماية المدنية بالمديرية الولائية لسكيكدة، وبلغ عددهم 80 فردا تمّ اختيارهم بطريقة عشوائية، وموزعين كما يلي:

1-1حسب السن:

السن	العدد	النسبة
24- 32	23	% 28.8
33 – 41	28	35%
42 – 50	14	17.5%
51 – 59	15	18.7%
المجموع	80	%100

الجدول رقم (03): يبين خصائص العينة تبعا للسن

من خلال النتائج المبينة في الجدول فإننا نلاحظ أن أكبر نسبة متواجدة هي 35% وتمثل الأفراد الذين ينحصر سنهم بين 33-41 سنة، وهم طبعا من فئة الشباب، تليها نسبة 28.8% وتمثل الفئة التي قبلها في السن مباشرة وهم الأفراد الذين سنهم بين 24- 32 سنة، أما النسبة الموالية فهي 18.7% تمثل الفئة العمرية 51- 59 سنة، وآخر نسبة مسجلة وهي الأقل والأصغر 17.5% تمثل الفئة العمرية بين 42- 50 سنة.

وبالتالي وحسب النتائج فإن أغلبية أفراد العينة شباب، وأن هناك توزع لأفراد العينة على مختلف الفئات العمرية.

1-2- حسب سنوات الخدمة

سنوات الخدمة	العدد	النسبة
01 - 05	13	% 16.3
05 – 10	24	30 %
10 - 15	30	37.5 %
15- 20	13	16.3%
المجموع	80	%100

الجدول رقم (04) : توزع أفراد العينة حسب سنوات الخدمة

من خلال النتائج المبينة في الجدول فإننا نلاحظ أن أعلى نسبة موجودة 37.5% وهي فئة الأفراد الذين يملكون بين 10-15 سنة من سنوات الخدمة، تليها نسبة 30% تمثل فئة الأفراد الذين يملكون من 10-15 سنة في الخدمة، وبعدها فئة الذين يملكون من 5-10 سنوات في الخدمة، وفي الأخير نجد نسبة (16.3%) مشتركة بين من لديهم من 01-15 سنة ومن لديهم 15-20 سنة.هذه النتائج تبين لنا توزيع أفراد العينة على مختلف فئات سنوات الخدمة.

1-3- حسب الوظيفة:

الوظيفة	العدد	النسبة
إداري	12	%15

تدخل ميداني	68	%85
المجموع	80	%100

الجدول رقم (05): توزع أفراد العينة حسب الوظيفة

من خلال النتائج التي يبينها لنا الجدول فإننا نلاحظ أن أغلبية أفراد العينة من أعوان التدخل بنسبة عالية 85% ، أما نسبة الإداريين فهي 15 % فقط.

وهذا التوزيع طبعا يتناسب مع مهام الحماية المدنية ووظائفها، حيث مهمتها الأساسية تتمثل في التدخلات الميدانية .

2-أداة جمع البيانات: بالإضافة إلى الملاحظة الميدانية أثناء تواجدنا بمديرية الحماية المدنية لولاية سكيكدة، قمنا ببعض المقابلات مع بعض المشرفين والإطارات من أجل أخذ صورة شاملة عن تجليات علم النفس ومدى تطبيقه في مجال الحماية والأمن، وكذا تسيير الأفراد وتوجيههم وتمكينهم نفسيا ومهنيا، كما استعنا بأداة رئيسية تتمثل في استمارة تتكون من أربعة محاور كل محور يتكون من ستة عبارات موزعة كما هو مبين على الجدول التالي:

المحاور	العنوان	العبارات
المحور الأول	الشعور بأهمية العمل	1-2-3-4-5-6
المحور الثاني	الاستقلالية	7-8-9-10-11-12
المحور الثالث	الكفاءة (الجدارة)	13-14-15-16-17-18
المحور الرابع	التأثير	19-20-21-22-23-24

جدول رقم (06): محاور الاستمارة

الشروط السيكومترية للأداة:

الاختبار	الدرجة	الدلالة
أ) الصدق		
(1)صدق الاتساق الداخلي	0.47 – 0.74	جيدة
(2)الصدق الذاتي	0.74 . 0.88	عالية
ب) الثبات		
(1)الثبات بطريقة التطبيق و إعادة تطبيق	0.77	عالية
(2)معامل الثبات بطريقة التجزئة النصفية	0.55	جيدة
(3)معامل الفاكرونباخ	0.84	جيدة

جدول رقم (07): ملخص اختبارات الصدق والثبات

يستنتج مما سبق أن أداة الدراسة أوفت بالشروط السيكومترية للمقياس الجيد، وأنها تفي بأغراض الدراسة.

3- المنهج المستخدم في الدراسة:

تماشيا مع أهداف وطبيعة موضوع الدراسة فقد اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي وهذا في وصف وتحليل خصائص العينة وتحليل البيانات والنتائج النهائية بناءا على النسب المئوية والجداول الإحصائية ومختلف الأساليب الإحصائية المعتمدة في الدراسة.

4-الأساليب الإحصائية المعتمدة في الدراسة: استخدمنا في هذا البحث الأساليب الإحصائية التي يوفرها برنامج التحليل الإحصائي للعلوم الاجتماعية SPSS النسخة (10) التالية:

- النسب المئوية، المتوسط الحسابي، والانحراف المعياري: لوصف متغيرات الدراسة وعرض النتائج.
- معامل ارتباط بارسون: لحساب الارتباط بين المحاور والمقياس ككل.
- معادلة سبيرمان براون : لتصحيح الطول.
- اختبار ليفن :(levene) للتأكد من تجانس أفراد العينة.
- الالتواء والتفلطح : للتأكد من اعتدالية توزيع أفراد العينة.

عرض وتحليل النتائج.

1- الفرضية الأولى: أفراد الحماية المدنية يشعرون بأهمية العمل

الرقم	العبارة	البدائل	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المستوى				
			دائما	غالبا	أحيانا	نادرا	مطلقا		
01	ممارستي لعملي تمنحني الشعور بالراحة النفسية	ت	20	30	21	09	0		
		%	25	37.5	26.3	11.3	00	3.76	0.96	مرتفع
02	أمارس أثناء عملي نشاطات ذات قيمة عالية	ت	22	34	20	3	01		
		%	27.5	42.5	25	3.8	1.3	3.91	0.89	مرتفع
03	يعتبر عملي من الأعمال الهامة في المؤسسة	ت	22	36	15	3	4		
		%	27.5	45	18.8	3.8	05	3.86	1.03	مرتفع
04	أشعر بأنني استخدم وقتي في تنفيذ عمل مهم	ت	26	35	12	05	02	3		
		%	32.5	43.8	15	6.3	2.5	98.	0.98	مرتفع
05	أقدم خدمات إنسانية هامة للمجتمع	ت	33	13	07	03	3.85			
		%	30	41.3	16.3	8.8	3.8	7.07		مرتفع
06	لا يمكن الاستغناء عن خدماتي أثناء التدخلات الميدانية	ت	41	24	07	08				
		%	51.3	30	8.8	10	00	22 .4	0.98	مرتفع
المتوسط العام للبعد								3.93	0.61	مرتفع

الجدول رقم (08): استجابات أفراد العينة حول عبارات محور أهمية العمل

من خلال النتائج الموضحة في الجدول، فإننا نسجل متوسطات حسابية مرتفعة في كل عبارات هذا البعد، حيث نسجل أعلى متوسط حسابي (4,22 من 5) خاص بالعبارة رقم (6) وهو ما يدل على أن أفراد الحماية المدنية لا يمكن الاستغناء عن خدماتهم أثناء التدخلات الميدانية رغم تباين استجابات أفراد العينة، حيث نجد 51,3 % منهم لا يمكن الاستغناء عن خدماتهم دائما، و30% غالبا، و 8,8 % أحيانا فقط، و10% ناذرا ، وثاني أكبر متوسط حسابي مسجل (3,98 من5)

وهو خاص بالعبارة رقم (4) وهو ما يعني أن أفراد العينة يشعرون بأنهم يقدمون عملا مهما، رغم تباين إجاباتهم، حيث نسجل 32,5 % يشعرون دائما، و43,8% يشعرون غالبا، و6,3% أحيانا فقط، وهي نسب تسير كلها في اتجاه التأكيد على أهمية ما يقومون به من أعمال.

وثالث أكبر متوسط حسابي مسجل (3,91 من 5) خاص بالعبارة (2) وهو ما يدل على أن أفراد العينة يمارسون أثناء عملهم نشاطات ذات قيمة عالية، ورغم تباين نسب الاستجابة إلا أنها تسير في اتجاه التأكيد، حيث 27,5% دائما، و 42,5 غالبا، و25% أحيانا فقط.

وخامس متوسط حسابي مسجل (3,85 من 5) وهو خاص بالعبارة (5) حيث أغلبية أفراد العينة أكدوا بأنهم يقدمون خدمات إنسانية هامة للمجتمع، أين نجد 30% منهم أجابوا دائما، و41,3% غالبا، ونسبة 16,3% أحيانا فقط، والباقي نفوا ذلك.

أما في ما يخص المتوسط الحسابي الرابع من حيث الترتيب فهو (3,86 من 5) خاص بالعبارة الثالثة حيث عبر أغلبية أفراد العينة على أن أعمالهم من الأعمال الهامة في المؤسسة، حيث سجلنا نسبة 27,5 % أجابت بدائما، و 45% أجابت بغالبا، ونسبة 18,8 % ترى ذلك أحيانا فقط، وتبقى نسبة ضعيفة جدا نفت ذلك وهي 3,8% من أفراد العينة.

وفي المرتبة الأخيرة جاءت العبارة الأولى بمتوسط حسابي (3,76 من 5) ، حيث أكد 25%من أفراد العينة أن ممارستهم لأعمالهم تمنحهم الشعور بالراحة النفسية دائما، في حين 36,5 % يشعرون بذلك غالبا، و 36,3 % أحيانا فقط، و 11,3 % نادرا ما يشعرون بالراحة النفسية أثناء ممارستهم لأعمالهم.

أما النتيجة العامة للمتوسط الحسابي لهذا البعد فهو مرتفع كذلك، حيث يقدر بـ(3,93 من5)، وهو يدل على المستوى المرتفع للشعور بأهمية العمل لدى أفراد العينة .

وهو ما يؤكد لنا بن الفرضية الأولى قد تحققت، أي أن أفراد الحماية المدنية يشعرون بأهمية العمل الذي يقومون به.

2- الفرضية الثانية: أفراد الحماية المدنية يشعرون بالاستقلالية في العمل

الرقم	العبارة	البدائل	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المستوى
			دائما	غالبا	أحيانا	نادرا	مطلقا		
01	لدى حرية التصرف في مجريات العمل بوظيفتي	ت	30	22	14	12	02		
		%	37.5	27.5	17.5	15	2.5	3.83	1.17	مرتفع
02	استطيع أن أقرر كيف أنجز عملي	ت	36	20	15	07	02	4.01	1.11	مرتفع
		%	45	25	18.8	08.8	2.5			
03	أتمتع باستقلاليه دون الرجوع باستمرار لرئيسي في تحديد المهام المطلوبة منى	ت	29	35	8	6	2	4.04	1	مرتفع
		%	36.3	43.8	10	7.5	2.5			
04	أشارك في صياغة محتوى وظيفتي	ت	19	38	18	3	2	3.86	0.91	مرتفع

		%	23.8	47.5	22.5	3.8	2.5			
05	اعتبر نفسي في كثير من المواقف أنني أنا المسؤول	ت	16	35	18	10	01			
3.69	0.98	مرتفع								
		%	20	43.8	22.5	12.5	1.3			
06	أتحمل في وظيفتي المسئولية المباشرة على النتائج المحققة	ت	21	34	20	5	0			
3.89	0.87	مرتفع								
		%	26.3	42.5	25	6.3	0			
المتوسط العام للبعد 3.88	0.51	مرتفع								

الجدول رقم (09): استجابات أفراد العينة على عبارات محور الاستقلالية

من خلال النتائج التي يوضحها الجدول ، فإننا نسجل متوسطات حسابية مرتفعة في كل العبارات، وبانحرافات ضعيفة في أغلب الأحيان، حيث نسجل أعلى متوسط حسابي(4,04) وهو خاص بالعبارة (3)، أين أجاب 36,3% من أفراد العينة بأنهم يتمتعوا بالاستقلالية دائما، و43,3% غالبا، في حين نجد 10% أحيانا فقط، أما 7,5% نادرا ما يتمتعون بالاستقلالية، و2,5% لا يتمتعون بالاستقلالية في العمل مطلقا.

وثاني متوسط حسابي مسجل (4,01 من 5) خاص بالعبارة الثانية، حيث أكد 45% من أفراد العينة أنهم دائما يقررون بأنفسهم كيف ينجزوا أعمالهم، و 25 % غالبا، أما نسبة 18,8% فأحيانا فقط، تبقى نسبة 8,8% نادرا ما يقررون بأنفسهم، و2,5% فقط لا يستطيعون تقرير ما يفعلون مطلقا.

وفي المرتبة الثالثة نجد العبارة رقم(6) بمتوسط حسابي مرتفع (3,89 من 5)، حيث أكد 36.9% من أفراد العينة بأنهم يتحملون دائما المسؤولية المباشرة على النتائج المحققة في وظائفهم، أما 42.5 %فغالبا ما يتحملون ذلك، في حين25% يتحملون المسؤولية أحيانا فقط، وتبقى نسبة ضعيفة 6.3% نادرا ما يتحملون المسؤولية تجاه أعمالهم.

ورابع متوسط حسابي مسجل (3.86 من 5) خاص بالعبارة (4) ، حيث أكد 23.8 % من أفراد العينة على أنهم دائما يشاركون في صياغة محتوى وظيفتهم، و42.5% غالبا ما يشاركون، و22,5% يشاركون أحيانا فقط، وتبقى نسبة 3,8% نادرا ما يشاركون وهي نسبة ضعيفة.

أما في المرتبة الخامسة فنجد العبارة الأولى بمتوسط حسابي مرتفع كذلك (3.83 من 5) ، حيث نسجل نسبة 37.5% من أفراد العينة لديهم دائما الحرية في التصرف في مجريات العمل المتعلقة بالوظيفة، و27.5% غالبا، في حين 17.5% أحيانا فقط لديهم حرية التصرف، لتبقى نسبة 15% نادرا ما لديهم حرية التصرف، و2.5%ليس لديهم حرية التصرف مطلقا.

وآخر عبارة في الترتيب حسب المتوسط الحسابي نجد العبارة الخامسة بمتوسط حسابي مرتفع كذلك (3.69 من 5)، حيث نجد 20% من أفراد العينة يعتبرون أنفسهم في كثير من المواقف أنهم هم المسؤولون دائما، ونسبة 43.8% غالبا فقط، في حين نسجل نسبة 22,5% أحيانا فقط، وتبقى نسبة 12.5% نادرا ما يعتبرون أنفسهم مسؤولين، و1,3 % لا يعتبرون ذلك مطلقا.

أما النسبة العامة المسجلة في هذا البعد، فإننا نسجل متوسط حسابي مرتفع كذلك (3,88 من5) وهو ما يدل على أن مستوى الاستقلالية لدى أفراد العينة مرتفع .

وهو ما يبين وبوضوح أن الفرضية الثانية قد تحققت، أي أن أفراد الحماية المدنية يشعرون بالاستقلالية في أداء مهامهم وأعمالهم .

3- الفرضية الثالثة : أفراد الحماية المدنية يملكون الكفاءة (الجدارة) في أداء مهامهم

الرقم	العبارة	البدائل	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المستوى					
					مطلقا	نادرا	أحيانا	غالبا	دائما	
01	لدينا القدرة الكاملة للتكيف مع المتغيرات الجديدة بكفاءة	ت	29	29	14	7	1			
		%	36.3	36.3	17.5	8.8	1.3	3.98	1.01	مرتفع
02	أملك الخبرة اللازمة للتدخل في الحالات الطارئة	ت	23	30	19	5	3			
		%	28.8	37.5	23.8	6.3	3.8	3.81	1.04	مرتفع
03	لدي المهارات اللازمة للنجاح في عملي	ت	32	9	5	1	4.14			
		%	41.3	40	11.3	6.3	1.3	3.80	0.94	مرتفع
04	أنا على استعداد تام للقيام بدوري تحت أي ضغط كان	ت	28	27	11	9	5			
		%	35	33.8	13.8	11.3	6.3	3.80	1.22	مرتفع
05	أستطيع مواجهة التحديات أثناء قيامي بعملي	ت	23	28	21	6	2			
		%	28.8	35	26.3	7.5	2.5	3.80	1.02	مرتفع
06	لدي الثقة بالنفس والشجاعة لانجاز عملي بكفاءة	ت	24	16	22	16	2			
		%	30	20	27.5	20	2.5	3.55	1.19	مرتفع
المتوسط العام للبعد								3.84	0.52	مرتفع

الجدول رقم (10) : استجابات أفراد العينة على عبارات الكفاءة (الجدارة)

من خلال النتائج الموضحة في الجدول فإننا نسجل متوسط حسابي مرتفع في مختلف عبارات هذا البعد، حيث أعلى قيمة له (4.14) وتمثل العبارة الثالثة، حيث أجاب 41.3% من أفراد العينة على أنهم يملكون دائما المهارات اللازمة للنجاح في العمل، ونسبة 40% غالبا ما يملكونها، وهي نسب دالة ومعبرة على امتلاك أفراد الحماية المدنية للمهارات اللازمة لأداء مهامهم، رغم أن هناك 11.3% يملكونها أحيانا فقط، و6.3 نادرا ما يملكون هذه المهارات.

وثاني أكبر قيمة للمتوسط الحسابي (3.98) نسجلها في العبارة الأولى، حيث أجاب 36.3% من أفراد العينة على أنهم يملكون دائما القدرة للتكيف مع المتغيرات الجديدة بكفاءة، ونفس النسبة أجابت بغالبا، في حين نجد 17.5% أحيانا فقط، لتبقى حوالي 10% لا يملكون القدرة على التكيف مع المتغيرات.

وفي المرتبة الثالثة نجد العبارة (2) بمتوسط إجابات مرتفع (3.81)، حيث أجاب 28.8% من أفراد العينة على أنهم دائما يملكون الخبرة اللازمة للتدخل في الحالات الطارئة، و37.5% يملكونها غالبا، و23.8% أحيانا فقط، لتبقى نسبة 6.3% نادرا ما يملكون الخبرة اللازمة للتدخل، ونسبة ضعيه جدا 1.3% لا يملكونها مطلقا.

أما في المرتبة الرابعة نجد تساوي في متوسط إجابات أفراد العينة على العبارتين (4)و(5) حيث نسجل(3.80) لكل منهما ، لكن الانحراف المعياري لإجابات العبارة الخامسة(1.02) أصغر منه في العبارة الرابعة(1.22)، وهو ما يجعل العبارة (5) في المرتبة الرابعة، حيث نجد 28.8%من أفراد العينة يستطيعون دائما مواجهة التحديات أثناء القيام بأعمالهم، و35% غالبا ما يستطيعون، في حين نجد 26.3% أحيانا فقط، وتبقى نسبة ضعيفة حوالي 10% منهم لا يستطيعون مواجهة التحديات.

ومباشرة بعدها نجد العبارة الرابعة بمتوسط (3.80) وجاءت نسبها لتأكد النسب السابقة، حيث نجد 35% من أفراد العينة دائما على استعداد تام للقيام بدورهم تحت أي ضغط كان، و33.8% منهم غالبا ما هم على استعداد، في حين نجد 13.8% أحيانا فقط هم على استعداد، وتبقى نسبة 11.3% نادرا ما يكونون على استعداد تام، ونسبة قليلة 6.3% لا يكونوا استعداد مطلقا.

وفي المرتبة الأخيرة نجد العبارة 06 بمتوسط مرتفع (3.55)، حيث نجد 30% من أفراد العينة دائما لديهم الثقة بالنفس والشجاعة لانجاز أعمالهم، و20% غلبا ما يملكون هذه الشجاعة، ونسبة 27.5% يملكونها أحيانا فقط، وتبقى نسبة معتبرة 20% نادرا ما تكن لديه الثقة بالنفس والشجاعة.

أما في ما يخص النتيجة العامة المتعلقة بهذا البعد فإننا نسجل متوسط حسابي مرتفع (3.84) وهو ما يدل على أن مستوى الكفاءة أو الجدارة لدى أفراد الحماية المدنية مرتفع، ويملكون من الخبرة والإمكانيات والمهارات ما يؤهلهم لممارسة مهامهم بكفاءة عالية .

4-الفرضية الرابعة: أفراد الحماية المدنية يشعرون بالتأثير في العمل

الرقم	العبارة	البدائل	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المستوى					
					دائما	غالبا	أحيانا	نادرا	مطلقا	
01	لدي تأثير حول ما يخص وظيفتي	ت			27	29	16	7	1	
		%			33.8	36.3	20	8.8	1.3	
02	أستطيع التأثير على القرارات المتخذة في مصلحتي	ت	3.93	1	مرتفع	24	24	22	7	3
		%	3.74	1.10	مرتفع	30	27.5	8.8	3.8	
03	أشارك في صياغة الحلول الطارئة بجدية	ت			19	29	24	7	1	3.73
		%	0.97	مرتفع	23.8	36.3	30	8.8	1.3	
04	أنجز عملي حسب ما أراه مناسبا	ت			28	24	19	8	1	3.89
		%	1.07	مرتفع	35	30	23.8	10	1.3	
05	يتم توفير كل ما أطلبه من وسائل العمل	ت			22	37	15	3	3	3.90
		%	0.98	مرتفع	27.5	46.3	18.8	3.8	3.8	

06	لدي تأثير في التطورات التي تحدث في مؤسستي	ت	27	41	7	4	1	4.10	0.86
		مرتفع							
		%	33.8	51.3	8.8	5	1.3		
المتوسط العام للبعد			3.88	0.59	مرتفع				

الجدول رقم (11): استجابات أفراد العينة على عبارات بعد التأثير

من خلال النتائج التي يوضحها الجدول فإننا نسجل متوسط إجابات مرتفع في كل العبارات المتعلقة ببعد التأثير، حيث جاءت العبارة السادسة في المرتبة الأولى بأكبر متوسط(4.10) ، حيث أجاب 33.8% من أفارد العينة على أنهم دائما لديهم تأثير في التطورات التي تحدث في المؤسسة، و51.3% غالبا ما لديهم هذا التأثير، في حين نجد 8.8% منهم أحيانا فقط لديهم تأثير في التطورات داخل مؤسستهم، وتبقى نسبة ضعيفة جدا 1.3% منهم ليس لديهم هذا التأثير مطلقا.

وفي الرتبة الثانية نجد العبارة الأولى بمتوسط مرتفع (3.93) ، حيث أجاب 33,8% بأن لديهم دائما تأثير كبير حول ما يتعلق بوظائفهم ، و36.3% غالبا ما لديهم هذا التأثير، في حين نجد 20% أحيانا فقط لديهم هذا التأثير، وتبقى نسبة 8.8% نادرا ما لديهم ذلك التأثير، أما الأفراد الذين لا يشعرون بالتأثير على وظائفهم فنسبتهم ضعيفة جدا 1.3% فقط.

أما في الرتبة الثالثة فنجد العبارة (5) بمتوسط مرتفع (3.90)، حيث أجاب 27.5% من أفراد العينة بأن كل ما يطلبوه من وسائل العمل يتم توفيره لهم دائما، و46.3% في أغلب الأحيان، في حين نجد 18.8% أحيانا فقط يتم توفير ما يطلبوه، وتبقى نسبة ضعيفة 3.8% نادرا ما يوفر لهم ما يطلبون ونفس النسبة كذلك أجابت بأنهم لا يتم مطلقا توفير ما يطلبوه من وسائل العمل.

ورابع عبارة في الترتيب حسب قيم المتوسط جاءت العبارة (2) بمتوسط مرتفع (3.74)، حيث أجاب 30% من أفراد العينة بأنهم دائما يؤثرون على القارات المتخذة في مصلحتهم، ونفس النسبة ترى أنها غالبا ما يؤثرون في هذه القرارات، في حين نجد 27.5% يؤثرون فيها أحيانا فقط، و8.8% نادرا ما يؤثرون عليها، وتبقى نسبة ضعيفة 3.8% لا تؤثر مطلقا على القرارات المتخذة في مصالحهم.

ثم بعدها وفي المرتبة الخامسة نجد العبارة (4) بمتوسط مرتفع (3.89) وهو ما يدل على أن أفراد الحماية المدنية ينجزون أعمالهم حسب ما يروه مناسبا، حيث أجاب 35% من أفراد العينة على أنهم ينجزون أعمالهم دائما حسب ما يروه مناسبا، و 30% غالبا، في حين نجد 23.8% أحيانا فقط، وتبقى نسبة 10% نادرا ما ينجزون أعمالهم حسب ما يروه مناسبا، ونسبة ضعيفة جدا نفت ذلك مطلقا.

وفي المرتبة الأخيرة نجد العبارة (3) بمتوسط مرتفع كذلك (3.73) وهو ما يدل على مشاركة أفراد الحماية المدنية في صياغة الحلول الطارئة، حيث أجاب 23.8% من أفراد العينة على أنهم دائما ما يشاركون في صياغة الحلول الطارئة، 36.3% غالبا ما يشاركون، و30% يشاركون أحيانا فقط، وتبقى نسبة 8.8% نادرا ما يشاركون في صياغة هذه الحلول، ونسبة ضعيفة جدا 1.3% لا يشاركون في صياغتها مطلقا.

وكنتيجة عامة فإننا نسجل متوسط مرتفع (3.88) خاص ببعد التأثير، وهو ما يدل على أن أفراد الحماية المدنية يشعرون بالتأثير في أعمالهم، أو أن أعمالهم لها تأثير على المهام الكلية للحماية المدنية، وعلى القرارات المتخذة والحلول الطارئة.

وهو ما يؤكد تحقق الفرضية الرابعة، أي أن أفراد الحماية المدنية يشعرون بالتأثير في أعمالهم.

5- الفرضية العامة: مستوى التمكين النفسي لدى أفراد الحماية المدنية مرتفع

في هذا الجدول سنحاول ترتيب أبعاد التمكين النفسي حسب الأهمية، ونستخرج المستوى العام للتمكين النفسي لدى أفراد عينة الدراسة.

الرتبة	البعد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المستوى
01	أهمية العمل	3.93	0.61	مرتفع
02	الاستقلالية	3.88	0.51	مرتفع
03	التأثير	3.88	0.59	مرتفع
04	الكفاءة	3.84	0.52	مرتفع
	التمكين النفسي	3.88	0.37	مرتفع

الجدول رقم (12): ترتيب أبعاد التمكين النفسي حسب المستوى

من خلال الجدول فإننا نلاحظ أن مستويات أبعاد التمكين النفسي مرتفعة، وجاء بعد أهمية العمل في المرتبة الأولى بمتوسط 3.93 ، ثم بعده بعد الاستقلالية بمتوسط 3.88 بانحراف ضعيف0.51 ، يليه بعد التأثير بنفس قيمة المتوسط 3.88 وبانحراف 0.59 ، وفي الأخير بعد الكفاءة بمتوسط 3.84 من 5 ، وهي كلها متوسطات مرتفعة تقع في الفئة الرابعة (3.41- 4.20)، وهو ما يؤكد ارتفاع مستوى هذه الأبعاد لدى أفراد العينة.

وكنتيجة عامة فإن مستوى التمكين النفسي لدى أفراد العينة مرتفع ، وهو ما تؤكده قيمة المتوسط العام 3.88 وبانحراف ضعيف 0.37 ، وهو ما سجلناه في كل البنود والأبعاد.

إن هذه النتائج تبين وبوضوح تأثير التمكين على الأداء، حيث كلما أحس العامل بأهمية العمل الذي يقوم به، وامتلاكه للاستقلالية والحرية التأثير في العمل، وكانت لها القدرات والكفاءات اللازمة للقيام بمهامه، كلما توجهت سلوكاته بالاتجاه الذي يخدم المنظمة، من خلال مساعدته للزملاء والمتعاملين، واللطف والكياسة في العمل، والتعامل بسلوك حضاري وروح وطنية ورياضية عالية وبضمير واع وأسلوب رزين.

إن العمال المتمكنين أو الممكنين يكون لديهم السلطة والمسؤولية والمهارة والخبرة والفهم لمتطلبات العمل والدافعية، والالتزام والثقة والرغبة الصادقة، وكلها حالات نفسية تجعلهم أفراد قادرين على بذل المزيد من المجهودات والعمل الدائم في سبيل تحقيق أهدافهم الخاصة ومن تم تحقيق أهداف مؤسساتهم، فالعلاقة وطيدة بين الحالة النفسية للعامل و استعداده للعمل وتفانيه فيه، والراحة في مكان العمل تلطف الحواء وتخلق مناخا مساعدا على العمل والتطوع دون انتظار مقابل ذلك.

النتائج العامة: من خلال هذه الدراسة توصلنا إلى جملة من النتائج ندرجها في ما يلي:

- مستوى التمكين النفسي لدى أفراد الحماية المدنية بالمديرية العامة لسكيكدة مرتفع.
- أفراد الحماية المدنية يشعرون بأهمية العمل الذي يقومون به
- أفراد الحماية المدنية يشعرون بالاستقلالية في العمل، وفي مختلف تدخلاتهم الميدانية
- أفراد الحماية المدنية يملكون الكفاءة (الجدارة) اللازمة لأداء مهامهم النبيلة .
- أفراد الحماية المدنية يشعرون بالتأثير في مجريات العمل داخل وخارج المديرية.

الاقتراحات:

من خلال ما تمّ معالجته في دراستنا هذه، وحسب ما لمسناها طيلة مدة الدراسة، فإننا سجلنا العديد من الملاحظات المتعلقة بموضوع الدراسة، سواء تعلق الأمر بالجانب العلمي أو الجانب الميداني، لذلك سنحاول تقديم بعض الاقتراحات التي لها علاقة بالموضوع وتفيد من يريد دراسة التمكين النفسي في المؤسسات الجزائرية.

1- لم يحض موضوع التمكين النفسي بالدراسة من قبل الباحثين الجزائريين، رغم أهميته النفسية والتنظيمية، لصالح الأفراد والمنظمات، لذلك فهو بحاجة إلى توسيع مجال الدراسة، في مختلف القطاعات والمؤسسات.

2- إن تمكين العمال كعملية تنظيمية تحتاج إلى المزيد من الجهد من طرف الباحثين والقادة الإداريين، وهو ضرورة لا مناص منها في ظل الميزة التنافسية التي تعيشها المؤسسات الوطنية، وجراء انتشار أفكار ومبادئ إدارة الجودة الشاملة.

3- هناك العديد من المفاهيم التي لها علاقة بالتمكين النفسي وهي بحاجة إلى الدراسة في البيئة الجزائرية، كالتمكين الإداري، التمكين التنظيمي، التمكين الاجتماعي..، وهي كلها تهدف إلى تطوير المنظمات، وتحقيق الجودة الشاملة.

4- هناك العديد من القطاعات والمؤسسات الجزائرية التي تعتبر ميدان خصب للبحث العلمي، في مجال السلوك التنظيمي، والحماية المدنية هي إحدى المؤسسات التي توفر للباحث مناخ يساعد على البحث والدراسة.

المراجع:

1) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1995

2) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، مصر، د س.

3) خالد بن سليمان الرشودي، مقومات التمكين في المنظمات الأمنية التعليمية ومدى جاهزيتها لتطبيقه، دراسة مسحية على ضباط كلية الملك فهد الأمنية وكلية الملك خالد العسكرية، ماجستير في العلوم الإدارية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، قسم العلوم الإدارية، الرياض، 2009 .

4) رياض أبا زيد، أثر التمكين النفسي على المواطنة التنظيمية للعاملين في مؤسسة الضمان الاجتماعي في الأردن، مجلة جامعة النجاح للأبحاث(العلوم الإنسانية)، مجلد 24، العدد2، 2010.

5) الساعدي مؤيد نعمة، مستجدات فكرية في السلوك التنظيمي وإدارة الموارد البشرية، الطبعة الأولى، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن، 2011.

6) نجاح القاضي، أبعاد التمكين الإداري لدى القادة التربويين في الجامعات الحكومية في إقليم الشمال وعلاقته بالتدريب الإداري، أطروحة دكتوراه، كلية التربية جامعة اليرموك، 2008.

دور التنشئة الأسرية في الارتقاء بمستوى الثقة بالنفس لدى الأبناء

أ.فرحات أحمد
أ. الجموعي مومن بكوش
جامعة الشهيد حمّه لخضر بالوادي

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الملخص:

تعتبر الثقة بالنفس السلاح الذي يحمي الفرد من الشعور بالسلبية والتردد وعدم الاطمئنان لما يتمتع به من إمكانات وقدرات،ومن أجل إعداد أجيال تتمتع بثقة عالية في النفس قادرة على التحمل والصبر عند مواجهة مواقف الحياة المختلفة،تناولت في هذا المقال دور التنشئة الأسرية في الارتقاء بمستوى الثقة بالنفس لدى الأبناء،وهذا راجع لأهمية الدور الذي تقوم به الأسرة في تربية الأبناء ورعايتهم جسميا وعاطفيا وفكريا واجتماعيا.

Résumé

Par ses potentiels et ses capacités, la confiance en soi est considérée comme l'arme qui protège l'individu contre la négativité, l'hésitation et le manque d'assurance. En vue de former une génération disposant d'une grande confiance en soi et ayant l'endurance et la patience pour pouvoir affronter les aléas de la vie, j'ai abordé dans cet article le rôle de l'éducation familiale dans l'accroissement du niveau de la confiance en soi chez les enfants, cela est dû à l'importance du rôle joué par la famille dans l'éducation physique, émotionnelle et morale de leurs enfants .

مقدمة:

لا يختلف اثنان في المكانة التي تحظى بها الأسرة في المجتمعات،حيث تعتبر النواة الأولى لبناء وتكوين المجتمع، فمنذ نشأة البشرية (آدم و حوى)إلى يومنا هذا وهي تتبوأ هذه المكانة، وهذا راجع للدور الذي تقوم به في تنشئة الأبناء والتأثير على شخصياتهم وتوافقهم النفسي والاجتماعي والأكاديمي والمهني. حيث يتجسد هذا الدور في مختلف الأساليب التي ينتهجها الوالدان في رعاية الأبناء.

والمتأمل في النفس البشرية ،نجد أن الله سبحانه وتعالى أودع فيها الكثير من الإمكانيات والقدرات التي تمكنها من مواجهة كافة المؤثرات المحيطية بها، هذه القدرات والإمكانيات يجب تقوم بتنميتها ورعايتها للاستفادة منها وتحويلها الى واقع خارجي ملموس (سلوك) وإلا فإنها ستضعف وتضمر لدرجة قد تتحول إلى معيق وتصبح سببا في ضياع الكثير من فرص النجاح ،في حين يفترض أن تكون هذه القدرات والإمكانيات سببا في التقدم وعاملا من عوامل التطور.

والثقة بالنفس من المقومات الرئيسية للنجاح في الحياة ،وهي تظهر من خلال إحساس الشخص بكفاءته الجسمية والنفسية و الاجتماعية، وقدرته على عمل ما يريد ،وإدراكه لتقبل الآخرين له وثقتهم به ،ويتسم الشخص الواثق بنفسه بالاتزان الانفعالي والنضج الاجتماعي و قبول الواقع ويجد في نفسه القدرة على مواجهة الأزمات بتعقل وتفكير (1.)

فالأسرة لها الدور الكبير في الارتقاء بمستوى الثقة بالنفس عند الأبناء،يا ترى كيف يتأتى هذا الدور؟ وما يساعد الأولياء بالارتقاء بمستوى ثقة أبنائهم؟ هذه بعض الأسئلة التي يمكن الإجابة عنها من خلال تقديم هذا المقال إنشاء الله.

1-تعريف الأسرة:

تعرف الخشاب الأسرة بأنها:"اتحاد حتمي تؤدي إليه الاستعدادات والقدرات الكامنة في الطبيعة البشرية النازعة على الاجتماع،وهي بأوضاعها ومراسيمها مؤسسة اجتماعية تنبعث من ظروف الحياة التلقائية للنظم والأوضاع الاجتماعية كما أنها ضرورة حتمية للقاء الجنسي البشري ودوام الوجود الاجتماعي،ويتحقق ذلك بفضل اجتماع اثنين هما الرجل والمرأة، والإتحاد الدائم المستقر بينهما بصورة يقرها المجتمع هو الأسرة"(2.)

وعرفها بوجاردس Bogerdus بأنها"جماعة اجتماعية صغيرة تتكون عادة من الأب والأم والأولاد يتبادلون الحب ويتقاسمون المسؤولية،وتقوم الأسرة بتربية الأطفال وتوجيههم وضبطهم ليصبحوا أشخاصا يتصرفون بطريقة اجتماعية(3.)

وعرفها بيرجس ولوك Burges&LoKeبأنها"مجموعة من الأشخاص ارتبطوا بروابط الزواج، والدم و الاصطفاء مكونين حياة معيشية مستقلة ومتفاعلة ويتقاسمون الحياة الاجتماعية كل مع آخر ،ولكل واحد من أفرادها دورا اجتماعيا خاصا به، ولهم ثقافتهم المشتركة(4.(

ومن هذه التعريفات يمكن استنتاج بعض الخصائص التي تتميز بها الحياة الأسرية والتي منها:

-أن الأسرة مؤسسة اجتماعية ذات ثقافة مشتركة .

-أنها اتحاد دائم ولازم لدوام الوجود الاجتماعي بصورة يقرها المجتمع.

-تمارس تأثيرها في تعديل وتشكيل الشخصية الإنسانية بما تمنحه من حب لأعضائها.

-يقوم الوالدان بدور مميز من خلال التوجيه والإرشادات والضبط.

2 -أنواع الأسر:

من الصعب تحديد أنواع الأسر وأصنافها لأنها مختلفة باختلاف اتجاهات الآباء في معاملة الأبناء، فالأسرة التي لم يحظى أبناؤها بالتقبل من الممكن أن تكون متساهلة ومستبدة ومهملة ولا تحترم فردية الأبناء ووجهات نظرهم، والأسرة الديمقراطية التي يدرك فيها الأبناء مستوى العلاقات بينهم وبين آبائهم،وفي هذا المقال يمكن ذكر الأنواع التالية:

أ- الأسرة الراضية المتقبلة :

هي الراغبة في أبنائها يتلقون الانتباه والرعاية المناسبة لا يستاء منهم آباؤهم ويعجبون بهم، ولا يعتبرونهم عبئا تقيلا عليهم ،يتواجدون معهم تواجدا حقيقيا ولا يبتعدون عنهم نفسيا ولا يغفلون مطالبهم للعون والتأييد، يهتمون براحتهم وسعادتهم عكس الأسرة الرافضة تماما .وتظهر آثار القبول الأسري في الشخصيات السوية من المواطنين ورجال العلم والآباء الصالحين (5.(

ب: الأسرة النابذة:

هي التي يشعر فيها الإبن بأنه غير مرغوب فيه،لا يحظى إلا بالقليل من انتباه والديه ،حيث يسيطران عليه بقسوة ولا يعتنيان به ويشير هذا الرفض إلى الإظطراب في التعلق الوجداني وعدم وجوده بين الطفل وعائلته(6.(

ج: الأسرة المسرفة المحافظة:

هي المبالغة في العناية و الانتباه الشديد لا يتقبل فيها الآباء التغيرات التي تطرأ على أبنائهم،يعاملونهم كما عاملوهم في الطفولة، والطفل الذي تسرف أسرته في المحافظة عليه يفقد الثقة بنفسه ويصبح ميالا إلى الحياء و الانطواء والخوف من التقدم(7.(

د: الأسرة المتساهلة:

وهي التي يؤثر فيها الأبناء في القرارات أكثر من تأثير آبائهم ،وقد يصبح الأبناء في هذه الأسرة المتساهلة أنا نيين ولحوحين، انفجاري المراج وضيقي الصدر يتوقعون دائما الإنتباه والخدمة والعطف من الآخرين لأنهم لايثقون في قدراتهم(8.(

ه:الأسرة المستبدة:

لا يسمح الآباء فيها للأبناء بالتعبير عن وجهات نظرهم أو تعديل سلوكهم إلا في الاتجاه الذي رسموه لهم، يضطرونهم إلى الخضوع ويسيطرون عليهم، و ينوبون عنهم في ما يجب أن يقوموا به، وقد يكون الأبناء في هذه الأسرة مهذبين حسني السلوك هادئين،ولكنهم في قرارة أنفسهم يشعرون بالنقص، ويسهل انقيادهم لرفاق السوء عندما يكبرون(9.(

و:الأسرة الديمقراطية:

يعترف فيها الوالدان بالفروق الفردية بين أبنائهم ونظرتهم لهم موضوعية لكل منهم حقوقه وواجباته ،وفي البيت الديمقراطي لا تدوم المشاكل ولا تؤثر في العلاقات بين أفرادها وتزول الخلافات الأسرية بالمناقشة والحوار الصريحين ويكون العقاب مناسبا عندما لا يحسن الأبناء التصرف(10).

3 –دور التنشئة الأسرية ووظائفها بصفة عامة:

التنشئة الأسرية هي تربية الطفل وتعليمه وتوجيهه وتثقيفه،والإشراف على سلوكه وتعويده على الأخذ بعادات الجماعة وتقاليدها ،والخضوع لمعاييرها وقيمها ،وهي كذلك العملية التى تقوم بها الأسرة لتكتسب الطفل المعرفة الاجتماعية و الاتجاهات التي يقبلها المجتمع، حيث تغرس فيه مجموعة من التوجهات والعادات والقيم والأنماط السلوكية في شخصية الطفل عن طريق الأساليب المتنوعة في التنشئة الأسرية ،وهذه الأخيرة تكسبه المعرفة والمهارات والإمكانات التي تجعله عضوا قادرا على الاندماج في مجتمعه(11).

ويمكن الاستئناس في هذا المقال ببعض آراء الباحثين الذين حددوا وظائف الأسرة ونذكر منها.

–الخولي التي ترى أن وظيفة الأسرة تكمن في إنجاب الأطفال والمحافظة الجسدية على أعضائها ومنحهم المكانة الاجتماعية والتنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي.

–أما سمارت simart يرى أن الأسرة تمنح الأطفال الاستعدادات والسمات والحب والأمن والفرص العديدة لنمو شخصياتهم ،وتقوم بإشباع حاجاتهم الفسيولوجية والعقلية و العاطفية،وتعليمهم كيف يسلكون ويتعاملون ويعملون،ويتم تأثيرها عليهم من خلال عاملي الوراثة والبيئة(12).

–أما ووتر water حددت وظائف الأسرة بأنها تبعد عن الطفل القلق والاضطراب وتمكنه من الحصول على المستوى الصحي اللازم وتهئ له الكيان الاجتماعي،كما تقع عليها مسؤولية فطامه من الاعتماد على الآخرين أي تعزز وتنمي مستوى الثقة في نفسه(13).

ومن خلال ما قدم في هذا الصدد يمكن تصنيف وظائف الأسرة إلى وظيفة دينية ووظيفة نفسية ووظيفة اجتماعية ووظيفة اقتصادية ووظيفة حضارية.

4–الثقة بالنفس:

الثقة بالنفس هي حسن إعتداد المرء بنفسه،واعتباره لذاته وقدراته حسب الظرف الذي هو فيه دون إفراط ودون تفريط، وهي أمر مهم لكل شخص مهما كان،ولا يستطيع أيا كان الاستغناء عن الحاجة إلى مقدار من الثقة بالنفس في أمر من الأمور المختلفة.

تنبع الثقة بالنفس من شعور الفرد بالأمن والاطمئنان،أما عندما يشعر بالخوف أو يفقد شعوره بالأمن فتبدو عليه العديد من المظاهر منها :

عدم القدرة على التفكير،الجبن والانكماش وعدم الجرأة وتوقع الشر،وشدة الحرص.....الخ

كل هذه الصفات يجمعها ما يعرف بضعف الثقة بالنفس أو الشعور بالنقص(14).

والثقة بالنفس هي إحدى الخصائص الانفعالية الهامة التي تلعب دورا أساسيا في حياة الفرد، وتساهم بشكل مباشر في تحقيق التوافق النفسي.

5–مفهوم الثقة بالنفس:

تناول الكثير من الباحثين والمتخصصين في العلوم السلوكية مفهوم الثقة بالنفس من زوايا مختلفة،حيث أشار إليها أسعد موضحا بأنها:"موقف يتخذه الشخص من نفسه ومن العالم المحيط به،وهو موقف غير عشوائي بل هو موقف واع فيه

فكر واضح ورؤية جلية للواقع النفسي الخارجي المحيط بالشخص،بما يتضمنه الواقع الخارجي من أشياء وموضوعات وأشخاص(15).

وبين الجسماني ويحي(1988) بأنها:"إحساس الفرد بحقيقة كيانه وإدراكه لواقع قدراته والتطلع إلى تحقيق طموحاته وحسن التوافق النفسي،وما ينشأ عنه من توافق اجتماعي ينعكس على سلوكه وعمله(16).

وأضافت أمل المخزومي(2002) تعريفا آخر واعتبرت أن الثقة بالنفس هي:"إحدى سمات الشخصية الأساسية التي يبدأ تكوينها منذ نشأة الفرد،وأنها ترتبط ارتباطا وثيقا بتكيف الفرد نفسيا واجتماعيا،وتعتمد اعتمادا كليا على مقوماته العقلية والجسمية والنفسية(17).

ويتضح من هذه التعريفات أن الثقة بالنفس هي سمة من سمات الشخصية وهي تنشأ لدى الفرد منذ وجوده،حيث أنها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالبيئة المحيطة به(الأسرة والمجتمع)،وهي شكل من أشكال احترام الذات القائم على إدراك الفرد لسماته الإيجابية والسلبية،وهي مفتاح السر للتوافق بجميع أنواعه،النفسي والاجتماعي....

6 –دور التنشئة الأسرية في الارتقاء بالثقة بالنفس:

تلعب الأسرة دورا كبيرا في زرع الثقة بالنفس في أبنائها والارتقاء بها إلى مستوى عال جدا، حيث يحصل الأبناء على كثير من الثقة و الاعتداد بالنفس اللازمين للنجاح من الأسرة ومن الوالدين بالذات،اللذين يتمتعان بها،وعليه نستطيع أن نقول:أن موقف الطفل اتجاه نفسه يتشكل من خلال المنزل،فكما يراه والده يكون،وبالأحرى هو يميل إلى أن يريهم نفسه،وعلى هذا يستطيعان أن يبثا فيه الثقة أو يبذرا فيه بذور الخوف والفشل لا قدر الله.

وتوصل ستانلي من خلال دراساته وبحوثه وتجاربه في هذا الميدان إلى تحديد ثلاثة عوامل رئيسية يقوم عليها أساس البيت الميثالي، الذي يهيئ لأبنائه النجاح والتفوق وهي:

–*الحب والتقبل: وهو أن يكون بناء الأسرة قائما على دعامة من الحب الحقيقي والتقبل الفعلي،فلا يكون مظهرا فقط فمجرد تقبيل الطفل أو ضمه لا يفي بالمراد،بل لابد من شعور الطفل بأنه شيء هام في حياة الأسرة، من تقدير لميوله وتحقيق المعقول من رغباته،وأنه موضع الإعجاب والفخر بما من أمور في البيت أو المدرسة،وبذلك يشعر الطفل بأنه كيان له قيمته بين الآخرين،وتعزز فيه الثقة بالنفس.

–*أن الوالدين اللذين يحظيان باحترام زائد للذات، وقدر كبير من الثقة ينظران لكل ما يحدث لطفلهما نظرة جديدة لمعاونته ،والأخذ بيده وعلى عكس ذلك في الأسرة التي لا تحظى بهذه الصفات ،وبذلك يضطر الطفل في اللحظات الأخيرة إلى اتخاذ قرارات في مجالات لا يعرف عنها شيئا لأنه مقتنع بأن والديه لا يهتمان كثيرا بما يحدث له .

–*حرية الرأي :إن الأسرة التي تتمتع باحترام الذات أو الثقة الكبيرة بها ،تسودها روح التسامح لتقدير كل فرد فيها للآخرين ،وبذلك يستطيع كل عضو فيها أن يعبر عن رأيه بحرية كاملة.

ويتمكن الطفل من عرض آرائه بحرية كافية، ومناقشة والديه للوصول إلى القرار المناسب فكلما يكون الآباء يكونون أبنائهم وعلى الآباء أن يعدلوا من سلوكهم ليكونوا خير مما هم عليه ولينظروا نظرة جديدة إلى أن أبنائهم يستقون منهم ويتشربون خير ما فيهم وكذلك شر ما فيهم .

ولهذا فإن الطفل الذي عجز عن تكوين تقدير واحترام لنفسه داخل أسرته فإنه هو الرجل الذي يبكي ويستنجد بغيره عندما تحل به ضائقة. وقد تعتريه ظواهر نفسية تقتل طموحه كالخوف والعجز عن اتخاذ القرار(18).

كما أوضح أيضا أن الحنان والمدح والتشجيع من طرف الوالدين للصغار و الشباب كمصدر من مصادر النصح و التوجيه والإرشاد، فحنان الوالدين و مديحهما وتشجيعهما لها معاني وتعد منشطات تنفذ إلى قلوب الأبناء فتبعث فيهم الحب والثقة بالنفس .فهي أغلى ما تقدمه الأسرة لحماية أبنائها من التمرد و الانحراف.

والأسرة لها دور مهم في الاهتمام بمراحل النمو المختلفة، لاسيما مرحلتي الشباب والمراهقة من حيث تعهدهم بالرعاية وتنشئتهم بطريقة تعزز من ثقتهم بأنفسهم والعمل على إشباع حاجاتهم ومتطلباتهم، وغرس روح المحبة والتفاهم والتعاون فيما بينهم والابتعاد عن استخدام أساليب اللوم والتوبيخ والتهديد ،التي قد تصدر منهم بسبب سلوكيات الابن التي لا ترضيهم. هذه الأساليب تجعله ينظر لنفسه نظرة تقليل من شأنه أمام من هم حوله.

فإتباع الأساليب التربوية الصحيحة ،من نقاش وتفاهم وحوار وتبادل الخدمات والخبرات بين المراهقين والكبار يؤدي إلى تعزيز قوة الذات والثقة بالنفس لديهم.

فالأسرة التي تعتمد على مساعدة المراهق في تدبير شؤونه تجعله يدرك تماما مدى أهمية بالنسبة لهم ومكانته بينهم مما يدفعه ذالك لزيادة نشاطه والحرص على النجاح .كل ذلك يساعد على غرس الثقة بالنفس .كما ينعكس ذلك على شعوره بالاطمئنان والاستقرار النفسي(19).

وقد ثبت علميا في الكثير من الأبحاث والدراسات النفسية والاجتماعية والتي لا يسع ذكرها في هذا المقال بأن تفعيل العوامل التالية قادر على تغيير شكل ومضمون الإنسان بشكل ايجابي من الداخل والخارج قادرا على التفاعل والإسهام بنجاح في حياته وحياة من حوله، وهذا يتم من خلال ما يلي:

- تفعيل مهارات التخاطب: مما لاشك فيه أن المخزون اللغوي والثقافي يعد أمر هام جدا في بناء الشخصية،ولكن عند تعطيله وعدم تفعيل استخدامه لفظيا فإنه لا قيمة لهذا المخزون ولا أثر له في بناء الشخصية.
- تفعيل التفكير الإيجابي:أي تفعيل التفاؤل والابتعاد عن التشاؤم في تعاملاتنا وتعاطينا مع أمور الحياة،أي النظر للجانب الإيجابي لأي موقف وكذلك قدم اتجاهات ايجابية للأمور والأحداث المستقبلية والمتوقعة،ففي تفعيل هذا الأسلوب يقدم الإنسان على أي موقف وتفاعل معه بخطى ثابتة ومتزنة لا يشوبها تردد أو خوف.
- تفعيل معايشة الواقع:إن معايشة الواقع تتم من خلال النظر إلى ماضينا وحاضرنا وبناءا عليه يتم استشراف المستقبل، لذا يتطلب من الإنسان أن يعي أن هناك عوامل خارجية كثيرة لها دور كبير في تغيير مسارات الخطط والأهداف التي نرسمها في حياتنا الدراسية والعملية والأسرية سلبا وإيجابا،لذا ينصح بوضع أهداف مرنة قصيرة قابلة للقياس والتغيير في أي وقت.
- تفعيل أهمية الهيئة الخارجية.غالبا تتحقق الثقة بالنفس بدرجات عالية عندما يتواءم المظهر مع الجوهر بشكل ايجابي، ويتم من خلال الاتزان في الملبس من دون إهمال أو تكلف ناتج عن النقص الداخلي،كذلك الاعتدال والاستقامة في الوقوف وعدم التراخي حتى لا يوحي بالضعف والوهن والكسل ،كذلك المشي بخطى ثابتة ومتزنة والنظر للأمام مما يوحي بقدرة الفرد على الثقة والتحكم بإرادته وتوجيهها في التعامل مع نفسه ومع البيئة المحيطة به.
- تفعيل المهارات الاجتماعية:بقدر ما يملك الفرد من مهارات اجتماعية مثل التواصل والتراحم والتعاطف والتكافل والإيثار والمحبة والإخاء والصداقة والمبادرة في عمل الخير بقدر ما يكون مستوى الثقة بالنفس عالية،لذا أنصح الفرد أن يسعى جاهدا ليبحث عن دوره في المجتمع مما ينعكس على إرضاء الذات و إحساسها بقيمتها ويزيد من قدراتها وإمكاناتها في التعامل مع العوامل والظروف المتغايرة بنجاح(20).

7-صفات الواثقون في ذواتهم:

الأشخاص الواثقون في ذواتهم تجدهم سريعين في الاندماج والانتماء في أي مكان كانوا ،فلديهم الكفائية،والشعور بقيمتهم الذاتية وقدرتهم على مواجهة التحدي،ولقد أظهرت الدراسات أن هؤلاء الأشخاص الأكثر قدرة على السيطرة على أنفسهم والتحكم في حياتهم هم أكثر إنتاجية والأكثر سعادة ورضي بحياتهم،وليس بالضرورة أن يعتقدوا أنهم الأفضل فهم ليسو ملائكة وليسو كاملين،و لا يملكون أداة سحرية لذلك؛ولكنهم متفائلون وواقعيون مع أنفسهم، وأقوياء في مواجهة عثرات النفس.

ومن البديهي أنهم لا يتحكمون في كل شيء ولكنهم يتحكمون في مشاعرهم واستجاباتهم اتجاه القضايا والأحداث .و لا يشترط في هذه الاستجابة أن تكون دائما إيجابية ولابد أن تكو ن مستمرة ،فبناء النفس رحلة طويلة شاقة قد تواجه الأشواك والهضاب والتلال وتواجه السهول والأودية ولابد من الارتفاع والإنخفاض في هذه الرحلة الشاقة ،وإن أردت أن تنجز هذه الرحلة بنجاح فاستمر في المسير ولا تتوقف حتى تنتقل من بيئتك إلى بيئة أكثر سعادة واستقرار.ولاشك إن نهاية الرحلة ممتعة تنسيك آلام السفر والتعب ، فلا تتوقف عن السير(21.(

خاتمة:

وفي الختام يتضح أن للأسرة والتنشئة الأسرية دور كبير في تكوين شخصية الأبناء ويتضح ذلك من خلال الأساليب المتبعة في المعاملة الأسرية، فإذا اتسمت هذه الأخيرة بالتقبل و الشعور بالأمن والمدح والتشجيع ومنح الثقة والإجابة عن تساؤلات الأبناء وإعطائهم الحرية والإستقلا لية .وتنمي فيهم الصفات والسلوكيات الإيجابية التي تكون له سندا ودعامة أساسية في المستقبل مثل لتوكيد الذات والثقة بالنفس وتقدير الذات، وغيرها. أما إذا اتسمت بالرفض والاستبداد والنبذ والتساهل، فتنمي فيهم الصفات و السلوكيات السيئة التي تجعل الأبناء غير قادرين على تكوين الاحترام وتقدير لذواتهم وثقتهم بأنفسهم ضعيفة فتجدهم دائما مستنجدون بغيرهم لحل مشكلاتهم، عاجزين عن اتخاذ قراراتهم في الحياة.

وفي الأخير أنصح الأولياء بالامتناع عن استخدام أساليب العقاب وسحب الحب لأن هذه الأساليب لا تتيح للأبناء الفرصة لتحقيق ذواتهم والثقة بأنفسهم، وتشجيع أبنائهم عن كل عمل مرغوب فيه لأن التشجيع هو أهم محرك للثقة بالنفس(22.(

الهوامش والإحالات:

1-العنزي ،فريح عويد(1999):الثقة بالنفس وعلاقتها بالعوامل الكبرى الخمسة في الشخصية،دراسات نفسية عن رابطة الأخصائيين المصريين،مجلد(9)،ص21.

2-رشاد علي عبد العزيز(1993ب):علم النفس الديني،القاهرة،دار عا لم المعرفة،ص135.

3-الياسين عطوف محمود(1981):علم النفس الإكلينيكي،بيروت،دار العلم للملايين، ط1 ص15.

4-عبد الباقي زيدان(1983):الأسرة والطفولة،مكتبة النهضة المصرية،ص8.

5 -عبد الباقي زيدان(1989):الأسرة والطفولة،مكتبة النهضة المصرية،ص176.

6-نفس المرجع السابق،ص176.

7-نفس المرجع السابق،ص178.

8-الدسوقي كمال(1989):النمو التربوي للطفل والمراهق،بيروت،دار النهضة العربية للنشر،ص346.

9-نفس المرجع السابق،ص453.

10-عبد الباقي زيدان،مرجع سابق،ص189.

11-زكرياء الشربيني(2001):تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملة ومواجهة المشكلات، دار العربي،القاهرة،ص18.

12-رشاد علي عبد العزيز،مرجع سابق،ص136.

13-العصرة منير(1984):انحراف الأحداث ومشكلات العوامل،الإسكندرية،المكتب المصري،ص153.

14-المخزومي أمل(2002):التنشئة الإجتماعية والثقة بالنفس،مجلة المنهل(574) مجلد(63)،ص122.
15-أسعد يوسف مخائيل(2004):الثقة بالنفس،القاهرة،دار نهضة مصر،ص35.
16-الجسماني عبد علي ويحي(1988):العلاقة بين الثقة بالذات والتحصيل الدراسي،مجلة كلية الأدب،جامعة بغداد،ص143.
17-المخزومي أمل،مرجع سابق،ص123.
18-منسي محمود(د-ت):الثقة بالنفس أغلى ما تعطيه الأسرة لأبنائها،مجلة العربي(205) ص46.
19-الفيومي محمد عيسوي(2000):تنمية الثقة بالنفس في نفوس أطفالنا،مجلة المنهل(563) مجلد(61)،ص163.
20-إيهاب كمال(2012):مفتاح السر الثقة بالنفس،قسنطينة،نوميديا للنشر والتوزيع، ص108-109.
21-نفس المرجع السابق،ص76.
22-القوصي عبد العزيز(1982):أسس الصحة النفسية،القاهرة،مكتبة النهضة المصرية، ص336.

واقع الاختبارات التحصيلية المعتمدة في المنظومة التربوية الوطنية

(دراسة تحليلية لمجموعة من الاختبارات المعتمدة في ثانويات الوادي)

أ.إسعادي فارس
أ.عزي إيمان
جامعة الشهيد حمة لخضربالوادي

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

Résumé :

Le but de cette étude était d'enquêter sur la réalité des tests réalisables dans le système éducatif algérien ,et à travers ce que nous essayons de répondre à la question suivante:quelle est la réalité des tests de réalisation de sciences de la nature et de la vie pour la troisième année secondaire de la branche des sciences expérimentales dans le systéme éducatif algérien en termes de validité et la fiabilité transaction et de discrimination

مقدمة:

تعتبر الاختبارات التحصيلية احد أدوات القياس ذات الأهمية القصوى والتي تساعد المشرفين على العملية التربوية في كشف مامدى تحقق الأهداف التعليمية ، فهي تقوم بقياس مستوى تحصيل الطلبة بغرض تشخيص نواحي القوة والضعف بهدف التقويم ومعالجة المشكلات التي يكشف عنها .

ولكن ماتجدر الإشارة إليه أن هذه الاختبارات لا تستطيع أن تفي بالغرض إلا إذا كانت مبنية على مبادئ أساسية صحية ، وهذه المبادئ يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

-تقيس نواتج التعلم بشكل شامل

-تتوفر فيها خصائص سيكومترية جيدة

بمعنى أن الاختبار التحصيلي لا يمكن اعتباره أداة قياس فعلية ، يمكن الاعتماد عليها في التشخيص وتحديد مشكلات المتعلم ما لم يمتاز بمجموعة من الخصائص.

وجاءت هذه الدراسة بغرض الكشف عن مامدى توافر الاختبارات التحصيلية المعتمدة في المنظومة التربوية على مواصفات الاختبارات الجيدة –الحقيقية– ويمكن تلخيص هذه الخصائص التي سيتم الكشف عنها في هذه الدراسة في مايلي:

الصدق ، الثبات ، القدرة التمييزية، الشمولية ، مستويات السهولة والصعوبة.

مواصفات الاختبار التحصيلي الجيد:

تتمثل مواصفات الاختبار الجيد **أحمد يعقوب النور** تتمثل فيما يلي: الموضوعية، الثبات، الصدق الشمول ، معامل التمييز ، القابلية للاستعمال.

1–الموضوعية : ويقصد بالموضوعية في الاختبارات التحصيلية أن يلتزم واضعها ومصححها بالحياد عند تصميمها ، وأثناء تصحيحها. (**سبع محمد أبو لبد مرجع سابق، ص209، 210**)

2–الثبات : ويقصد بثبات الاختبار إمكانية الحصول على نفس النتائج إذا ما أعيد هذا الإختبار على نفس العينة أكثر من مرة ، أي أن يحافظ أفراد العينة التي طبق عليها الإختبار على نفس ترتيبهم إذا تم تطبيقه عليهم مرة أخرى بعد فترة زمنية معينة ، ويتراوح معامل الثبات للاختبار بين (0 ، 1) وكلما اقتربت قيمته من الواحد الصحيح كانت درجات الإختبار أكثر ثباتا .

3-الصدق : يعتبر الصدق شرط أساسي من شروط الاختبار التحصيلي الجيد،ويعني الصدق أن يقيس الاختبار ما وضع لقياسه ، حيث يرى **جيه Gay** (1990) أن الاختبار الصادق اختبار يقيس الوظيفة التي يزعم أنه يقيسها ولا يقيس شيئا آخر بدلا منها أو بالإضافة إليها (**سامي محمد ملحم، 2007، ص334**).

4-الشمول : ويقتضي الشمول أن تكون مفردات الإختبار ممثلة لعينة السلوك المراد قياسه تمثيلا صادقا (**محمود عبد الحليم منسي وآخرون، 2003، ص135**).

5-معامل التمييز :

يشير معامل تمييز السؤال إلى مدى قدرة هذا السؤال على ابراز الفروق الفردية بين مستوى الكفايات ، أي أنه يشير إلى درجة تمييز المفردة بين مرتفعي التحصيل الدراسي ومنخفضي التحصيل الدراسي بعد تطبيق الإختبار عليهم ، فالطلاب المرتفعو التحصيل يجيبون عليه إجابة صحيحة ، و لإيجاد معامل التمييز تختلف الصيغة المستخدمة حيث تكون كالتالي :

$$\text{معامل التمييز} = \frac{\text{الإجابات الصحيحة للمجموعة العليا} - \text{الإجابات الصحيحة للمجموعة الدنيا}}{\text{عدد الطلاب في إحدى المجموعتين}}$$

أما إذا كانت المفردة من نوع المقال فالصيغة التي يمكن استخدامها كما يلي :

$$\text{معامل تمييز سؤال المقال} = \frac{ق_{ع} - ق_{د}}{\text{س العظمى (ن)}}$$

ق ع : مجموع عدد النقاط التي حصل عليها طلاب المجموعة العليا .

ق د : مجموع عدد النقاط التي حصل عليها طلاب المجموعة الدنيا .

س العظمى : أكبر من النقاط التي يمكن أن يحصل عليها طالب في السؤال .

ن : عدد طلاب أي من المجموعتين العليا أو الدنيا .(**صلاح الدين محمود علام، 2007، ص254**)

ويمكن تفسير قيم معامل التمييز كما يراها **ايبل EBEL** (1965) على النحو التالي:

معامل التمييز ≤ 0.40 الفقرة تلبي الغرض أو الهدف .

$0.30 \leq$ معامل التمييز ≤ 0.39 الفقرة تتطلب مراجعة قليلة .

$0.20 \leq$ معامل التمييز ≤ 0.29 الفقرة تقع على الحد الفاصل و تحتاج إلى مراجعة .

معامل التمييز ≤ 0.19 يجب حذف هذه الفقرة أو إجراء مراجعة تامة لها.(**ليندا كروكر، جيمس الجينا، 2009، ص418**)

7-القابلية للاستعمال :

يصبح الاختبار قابلا للاستعمال إذا ما كان عمليا من حيث :

7-1:سهولة تطبيقه : فنجد أنه كلما كان تطبيق الاختبار سهلا كلما كان ذلك أفضل .

2-7:سهولة تصحيحه : عند وضع الاختبار ، على المعلم التفكير في طريقة .تصحيحه، لأن عملية التصحيح كلما تعقدت يؤدي ذلك إلى السماح بتدخل ذاتية المصحح ،كما أن ذلك يؤدي إلى حدوث الأخطاء و يتطلب وقتا وجهدا كبيرين ، وهذا خصوصا في اختبارات المقال .

الاجراءات الميدانية للدراسة: تتحدد الدراسة الأساسية بالمجالات التالية :

-المجال المكاني : اقتصرت الدراسة الحالية على ثانويات الوادي وسط

- المجال الزماني: تم تطبيق هذه الدراسة ميدانيا بعد الفصل الدراسي الثاني خلال العام الدراسي 2010 . 2011م .

2-عينة الدراسة: اشتملت عينة الدراسة على 08 اختبارات تحصيلية في مادة علوم الطبيعة والحياة للسنة الثالثة ثانوي علوم تجريبية.

3-الأدوات الإحصائية المستخدمة لتحليل البيانات

-لحساب معاملات ثبات الاختبارات التحصيلية المقصودة بالدراسة ثم استخدام معامل (α) كرونباخ

- لحساب معاملات صدق الاختبارات التحصيلية تم ذلك باعتماد اختبار "ت" لمعرفة الصدق التمييزي .

- اختبار "ت" لعينتين مستقلتين ومتساويتين ومتجانستين واختبار "ت" لعينتين مستقلتين ومتساويتين وغير متجانستين .

- حساب القدرة التمييزية للفقرات.

4- عرض وتحليل النتائج

حساب ثبات الاختبارات : ثم حساب ثبات الاختبارات التحصيلية عن طريق معرفة مدى إتساق فقراتها فيما بينها، وذلك من خلال معادلة ألفا(α) كرونباخ

الجدول رقم (01) يلخص نتائج ثبات الاختبارات :

الاختبار التحصيلي	معامل (α) كرونباخ المحسوب
رقم (1)	0.61
رقم (2)	0.866
رقم (3)	0.80
رقم (4)	0.612
رقم (5)	0.518
رقم (6)	0.74
رقم (7)	0.778
رقم (8)	0.526

مناقشة وتفسير النتائج

من خلال النتائج اتضح أن نسبة 50 % من الاختبارات المعنية بالدراسة كانت ذات ثبات ضعيف، ونسبة 50% المتبقية من هذه الاختبارات كانت ذات ثبات مقبول.

وهذا طبعا في ضوء المعيار الذي حدده كل من **جيلفورد** (**GUILFORD**) (1956) ، و**نانلي** (**NANNALLY**) (1978) وهو بأن لا يقل عن (0.7) ، لكن تجدر الإشارة هنا إلى أن هناك من يرى أن ثبات

الاختبارات التحصيلية يجب أن يكون أكبر من المعيار الذي تم تحديده للحكم على الثبات في هذه الدراسة ، حيث يرى رجاء أبو علام أنه عندما يتعلق الأمر باختبارات التحصيل يفضل أن يكون معامل الثبات (0.90) أو يزيد عن هذه القيمة وهذا يرجع إلى اعتبارات تتعلق بطبيعة الأسئلة في مثل هذا النوع من الاختبارات ويرجع ضعف معاملات الثبات المحسوبة لعينة الدراسة إلى نقص كفاءة ومعلومات معدي الاختبارات في مجال القياس والتقويم التربوي ، وهذا ما اتضح من خلال المقابلات البحثية التي أجريت مع الأساتذة .

حساب الصدق للاختبارات التحصيلية: حسب الصدق بطريقة المقارنة الطرفية

الجدول رقم (02) يوضح نتائج الصدق التمييزي للاختبار رقم (01) :

المجموعة العليا		المجموعة الدنيا		ت المحسوبة	درجة الحرية	ت المجدولة	الدلالة الإحصائية
م 1	$ع^2_1$	م 2	$ع^2_2$				
13.53	5.67	4.94	2.24	11.229	24	2.80	دالة عند 0.01

الجدول رقم (03) يوضح دلالة اختبار"ت" للاختبار التحصيلي رقم (0

المجموعة العليا		المجموعة الدنيا		ت المحسوبة	درجة الحرية	ت المجدولة	الدلالة الإحصائية
م 1	$ع^2_1$	م 2	$ع^2_2$				
14.1	1.899	2.1	0.78	27.45	28	2.76	دالةعند 0.01

الجدول رقم (04) يوضح دلالة اختبار "ت" للاختبار رقم (03).

المجموعة العليا		المجموعة الدنيا		ت المحسوبة	درجة الحرية	ت المجدولة	تَ المحسوبة	الدلالة الإحصائية
م 1	$ع^2_1$	م 2	$ع^2_2$					
17.5	1.06	9.6	18.1	8.24	10	3.17	3.20	دالة عند 0.01

الجدول رقم (05) يوضح دلالة اختبار"ت" للاختبار التحصيلي رقم(04):

المجموعة العليا		المجموعة الدنيا		ت المحسوبة	درجة الحرية	ت المجدولة	الدلالة الإحصائية
م 1	$ع_1^2$	م 2	$ع_2^2$				
12.8	22.233	6.4	12.153	3.275	16	2.55	دالة عند 0.01

الجدول رقم (06) يوضح دلالة اختبار "ت" للاختبار رقم (05).

المجموعة العليا		المجموعة الدنيا		ت المحسوبة	درجة الحرية	ت المجدولة	تَ المحسوبة	الدلالة الإحصائية
م 1	$ع_1^2$	م 2	$ع_2^2$					
16.2	1.8	9.46	9.1	10.22	12	3.05	3.081	دالة عند 0.01

الجدول رقم (07) يوضح دلالة اختبار"ت" للاختبار التحصيلي رقم (06)

المجموعة العليا		المجموعة الدنيا		ت المحسوبة	درجة الحرية	ت المجدولة	الدلالة الإحصائية
م 1	$ع_1^2$	م 2	$ع_2^2$				
15.095	2.71	7.113	3.213	10.379	20	3.85	دالة عند 0.01

الجدول رقم 08) يوضح دلالة اختبار"ت" للاختبار التحصيلي رقم (07)

المجموعة العليا		المجموعة الدنيا		ت المحسوبة	درجة الحرية	ت المجدولة	الدلالة الإحصائية
م 1	$ع_1^2$	م 2	$ع_2^2$				
13.464	0.946	0.642	2.955	8.464	12	3.05	دالة عند 0.01

الجدول رقم (09) يوضح دلالة اختبار"ت" للاختبار التحصيلي رقم (08)

المجموعة العليا		المجموعة الدنيا		ت المحسوبة	درجة الحرية	ت المجدولة	الدلالة الإحصائية
م 1	ع$^2_1$	م 2	ع$^2_2$				
10.54	1.373	3.604	6.062	10.275	22	2.819	دالة عند 0.01

مناقشة وتفسير النتائج

بعد عرض وتحليل النتائج ، اتضح أن جميع الاختبارات التحصيلية التي قامت عليها الدراسة لديها مستوى صدق مقبول ، حيث أظهرت هذه الاختبارات صدقا تمييزيا على اعتبار أنها استطاعت إبراز الفروق بين طرفي التوزيع أي أنها أبرزت الفروق بن المجموعات التي أتقنت المقرر الدراسي والمجموعات التي لم تتقن هذا المقرر، لأن الاختبار الجيد يجب أن يقسم المفحوصين على مجموعتين متجانستين: مجموعة المتقنين و مجموعة غير المتقنين (**رجاء محمود أبو علام، 2004، ص448**)، فأثناء العملية التدريسية يسعى المدرس في ضوء مقرر محدد تنفيذ أهداف معينة (أهداف ذلك المقرر) ولمعرفة مدى تحققها يكون له ذلك من خلال العمل التقويمي ،الذي يقوم به عن طريق الاختبارات التحصيلية التي أعدها ، ومن ثم لتؤدي هذه الاختبارات دورها ، يفترض بها أن تبرز الأفراد الذين استطاعوا إتقان المقرر من غيرهم الذين لم يتمكنوا من ذلك إلا انه من خلال هذه الدراسة نلاحظ أن هناك تفاوت من اختبار تحصيلي لآخر في قدرته على إبراز هذه الفروق ، وهذا يرجع إلى أمور متعلقة ببناء الاختبار ومفرداته، فالغموض في مفردات الاختبار يؤدي إلى الخطأ في تفسيرها، خصوصا في عدم وجود إرشادات شفوية أثناء تطبيق الاختبار .كذلك نوع السؤال من حيث كونه موضوعي أو مقالي يؤثر على صدق النتائج ، فإذا كانت أسئلة الاختبار يغلب عليها تواجد احد النوعين من الأنواع المذكورة فإن ذلك يكون في صالح الفئة التي تفضل ذلك النوع ، وفيما يخص فقرات الاختبارات عينة الدراسة كانت كلها من النوع المقالي ،فهي تناسب الأفراد الذين يفضلون الأسئلة المقالية ،دون أن تراعي الفئة التي تفضل الاستجابة على الأسئلة الموضوعية ، هذا خصوصا أذا تعلق الأمر بمادة العلوم الطبيعة فالإجابات على أسئلتها تتطلب درجة عالية من الثقة في انتقاء المفردات التي تبلغ المقصود بالضبط ، وهذا ما لا يقدر عليه بعض الأفراد لضعف قدرتهم اللغوية ، فإنهم رغم امتلاكهم الإجابة الصحيحة إلا أنهم لا يستطيعون صياغتها بالشكل المؤدي للغرض . فيؤدي ذلك إلى تشويه استجاباتهم ، وهذا مما يقلل هذه الاختبارات .

– حساب معاملات التمييز لفقرات الاختبارات التحصيلية :

والجدول رقم(16) يلخص معاملات تمييز فقرات الاختبار التحصيلي رقم(01)

رقم الفقرة	معامل التمييز	الحكم على الفقرة
01	0.103	غير مقبولة
02	0.34	غير مقبولة
03	0.275	غير مقبولة
04	0.437	مقبولة
05	0.252	غير مقبولة

من الجدول يتضح أن نسبة الفقرات غيرالمقبولة = 80%

أي أن فقرات الاختبار التحصيلي رقم (01) اعتبرت غير مقبولة في مجملها بالنظر إلى معاملات تمييزها ، لأن هذه الأخيرة كانت في مجملها في المعيار المطلوب الذي حدده **إيبل Ebel** (1965) والذي يقتضي أن يكون معامل تمييز الفقرة أكبر من أو يساوي (0.40) ليتم قبول الفقرة على أنها ذات قدرة تمييزية مقبولة .

الجدول رقم (17) يلخص معاملات تمييز فقرات الاختبار التحصيلي رقم (02)

رقم الفقرة	معامل التمييز	الحكم على الفقرة
01	0.5	مقبولة
02	0.316	غير مقبولة
03	0.46	مقبولة
04	0.451	مقبولة
05	0.508	مقبولة

من خلال الجدول يتضح أن نسبة الفقرات المقبولة والفقرات غير المقبولة

- نسبة الفقرات المقبولة =83%
- نسبة الفقرات غير المقبولة =17%

وعليه يتضح أن معظم فقرات هذا الاختبار كانت ذات قدرة تمييزية جيدة وذلك بنسبة 83 % من إجمالي الفقرات، أي أن معاملات التمييز لهذه الفقرات كانت أكبر من أو يساوي (0.4) مما يمكننا القول أن هذا الاختبار مقبول جدا من حيث القدرة التمييزية .

والجدول رقم (18) يلخص معاملات تمييز فقرات الاختبار التحصيلي رقم (03)

رقم الفقرة	معامل التمييز	الحكم على الفقرة
01	0.366	غير مقبولة
02	0.205	غير مقبولة
03	0.335	غير مقبولة
04	0.269	غير مقبولة

من خلال الجدول يتضح أن نسبة الفقرات غير المقبولة =100%،أي أن فقرات الاختبار التحصيلي رقم (03) اعتبرت غير مقبولة كلها بالنظر إلى معاملات تمييزها.

والجدول رقم (19) يلخص معاملات تمييز فقرات الاختبار التحصيلي رقم (04)

رقم الفقرة	معامل التمييز	الحكم على الفقرة
01	0.433	مقبولة
02	0.26	غير مقبولة
03	0.283	غير مقبولة
04	0.188	غير مقبولة

05	0.28	غير مقبولة

من خلال الجدول يتضح أن نسبة الفقرات المقبولة والفقرات غير المقبولة كما يلي:

- نسبة الفقرات المقبولة = 20%
- نسبة الفقرات غير المقبولة = 80 %

وعليه يتضح أن معظم فقرات هذا الاختبار لا تمتلك قدرة تمييزية من حيث قدرت بنسبة 80 % من إجمالي الفقرات ككل ، كما أن الفقرات ذات المعاملات التمييزية المقبولة قدرت بـ 20 % وهذه القيمة أقل من القيمة التي حددها المعيار المعتمد والتي تمثل (0.4) لذلك هذا الاختبار غير مقبول من حيث القدرة التمييزية لفقراته .

الجدول رقم (20) يلخص معاملات تمييز فقرات الاختبار التحصيلي رقم (05)

رقم الفقرة	معامل التمييز	الحكم على الفقرة
01	0.205	غير مقبولة
02	0.325	غير مقبولة
03	0.358	غير مقبولة
04	0.175	غير مقبولة
05	0.212	غير مقبولة

أي أن فقرات الاختبار التحصيلي رقم (05) اعتبرت غير مقبولة كلها بالنظر إلى معاملات تمييزها ، لأن المعاملات كانت كلها أقل من المعيار المطلوب الذي حدده **إيبل Ebel** (1965) والذي يحدد أن يكون معامل تمييز الفقرة أكبر من أو يساوي (0.40) ليتم قبول القدرة على أنه ذات قدرة تمييزية مقبولة .

الاختبار التحصيلي رقم (06) :

والجدول رقم (21) يلخص فقرات معاملات تمييز الاختبار التحصيلي رقم (06)

رقم الفقرة	معامل التمييز	الحكم على الفقرة
01	0.235	غير مقبولة
02	0.294	غير مقبولة
03	0.235	غير مقبولة
04	0.205	غير مقبولة
05	0.261	غير مقبولة
06	0.433	مقبولة
07	0.26	غير مقبولة

من خلال الجدول يتضح أن نسبة الفقرات المقبولة

والفقرات غير المقبولة على النحو التالي :

- نسبة الفقرات المقبولة = 14%
- نسبة الفقرات غير المقبولة =86%

وعليه يتضح أن معظم فقرات هذا الاختبار غير مقبولة من حيث القدرة التمييزية لفقراته . حيث نجد أن معاملات تمييز هذه الفقرات أقل من(0.4) المعتمد .

الاختبار التحصيلي رقم (07) :

الجدول رقم (22) يلخص معاملات تمييز فقرات الاختبار التحصيلي رقم (07)

رقم الفقرة	معامل التمييز	الحكم على الفقرة
01	0.166	غير مقبولة
02	0.333	غير مقبولة
03	0.168	غير مقبولة
04	0.304	غير مقبولة
05	0.293	غير مقبولة
06	0.196	غير مقبولة

من خلال الجدول يتضح أن نسبة الفقرات غير المقبولة =100%

أي أن فقرات الاختبار التحصيلي رقم (07) اعتبرت غير مقبولة كلها بالنظر إلى معاملات تمييزها ، لأن المعاملات كانت كلها أقل من المعيار المطلوب.

الاختبار التحصيلي رقم (08) :

الجدول رقم(23) يلخص معاملات تمييز فقرات الاختبار التحصيلي رقم(08)

رقم الفقرة	معامل التمييز	الحكم على الفقرة
01	0.284	غير مقبولة
02	0.105	غير مقبولة
03	0.142	غير مقبولة
04	0.368	غير مقبولة

من خلال الجدول يتضح أن نسبة الفقرات غير المقبولة =100%

أي أن فقرات الاختبار التحصيلي رقم (08) اعتبرت غير مقبولة كلها بالنظر إلى معاملات تمييزها ، لأن المعاملات كانت كلها أقل من المعيار المطلوب .

مناقشة وتفسير نتائج:

يتضح من خلال عرض النتائج أن اغلب فقرات الاختبارات التحصيلية التي تم تحليلها، لا تمتاز بقدرة تمييزية جيدة حسب المعيار المحدد بـ (0.4) لمعامل التمييز الجيد، فالفقرة ذات القدرة التمييزية الجيدة هي الفقرات التي لديها قدرة على التمييز بين الطلاب الذي يتمتعون بقدر اكبر من المعارف والطلاب الأقل قدرة في مجال معين من المعارف، إذن فالفقرات غير القادرة على التمييز قد ترجع أسباب ذلك إلى تأثرها بمستوى السهولة والصعوبة ، حيث يرى **الطريري** (1997) أن القدرة التمييزية تتأثر سهولة وصعوبة الفقرات ، فعندما تكون فقرات الاختبار شديدة الصعوبة أو العكس شديدة السهولة، يؤثر ذلك

على استجابات الأفراد عليها وبالتالي تصبح غير قادرة على التمييز، كذلك وجود الأخطاء في الأسئلة يؤثر على قدرتها التمييزية حيث يذكر **سبع محمد أبو لبدة** أن من المؤثرات على معامل التمييز وجود أخطاء فنية كغموض النص مثلا أو وجود مؤشرات توحي للطلبة بالجواب، أي أن غموض فقرات الاختبارات أو وجود أخطاء بها أو دلائل على الإجابة الصحيحة يؤثر ذلك كله في مقدرة الفقرة على التمييز بين مختلف مستويات الأفراد، فالفقرات الغامضة مثلا ترتفع درجة صعوبتها فيؤثر ذلك على استجابات الأفراد عليها، كذلك نفس الشيء بالنسبة للفقرة التي تحمل دلائل ومؤشرات عن الإجابة الصحيحة فتجعل هذه الفقرة سهلة مما يسمح لجميع الأفراد بالإجابة عليها إجابة صائبة فتفقد هذه الفقرة قدرتها على التمييز.

مناقشة عامة للنتائج :

من خلال عرض وتحليل نتائج الدراسة اتضح ان نسبة 50 % من هذه الاختبارات التحصيلية المعنية بالتحليل تمتاز بالثبات ، بينما كانت كلها ذات صدق تمييزي مقبول، أما بالنظر إلى تحليل فقرات هذه الاختبارات من حيث قدرتها على التمييز ، تم التوصل إلى أن معاملات التمييز لهذه الفقرات كانت اغلبها منخفضة أي أن هذه الفقرات لا تتمتع بقدرة تمييزية مقبولة ، مما يؤثر على بناء هذه الاختبارات ، ويرجح الباحث أسباب ذلك إلى نقص مهارات وكفاءات الأساتذة في عملية إعداد الاختبارات والذي يرجع بدوره إلى عدم تلقيهم التكوين الكافي أثناء فترة إعدادهم ، وهذا ما اتفق مع رأي **محمود عبد الحليم منسي** وآخرون في أن المعلمين على مستوى الوطن العربي لم يتعلموا المقدار الكافي من المعلومات الخاصة بالقياس والتقويم التربوي في فترة إعدادهم لمهنة التعليم بكليات ومعاهد إعداد المعلمين.

كذلك هذا ما أظهرته بعض نتائج الدراسات السابقة كدراسة كل من **سوسن فريد الشياب** (2003) ، **وابتسام بنت فهد بن جابر الحارثي** (2007) في البيئة العربية، وفي البيئة الأجنبية دراسة كل من و **Newman & Sttalling** (1982) و **Hayine** (1992) و **Smith** (2001) والتي أظهرت كلها نقص وتدني كفايات ومهارات المعلمين في عملية إعدادهم للاختبارات التحصيلية هذا من جهة ، ومن جهة أخرى نجد أن هؤلاء الأساتذة أثناء أدائهم لمهامهم التدريسية يلاحظ أن هناك شبه انعدام للدورات التكوينية لتمكين الأستاذ من الإلمام بالقدر الكافي من المعلومات والمهارات المتعلقة بعملية إعداد وبناء الاختبارات التحصيلية الجيدة التي تستوفي الشروط ، كذلك خلو المناشير الوزارية من التعليمات المهمة للأساتذة فيما يخص التحليل الإحصائي لفقرات الاختبارات التي يعدونها فالمتأمل في دليل بناء اختبار مادة علوم الطبيعة والحياة في امتحان البكالوريا (نوفمبر 2010) المنشور من طرف الديوان الوطني الجزائري للامتحانات والمسابقات، يجد أن هذا المنشور لا يتضمن أية إشارة لمعاملات التمييز الواجب توفرها في الاختبارات التحصيلية الجيدة، فنجده فقط اهتم بالشكل العام للاختبار من حيث عدد التمرينات المطلوبة أو الدروس الواجب تغطيتها فقط، مع إشارة بسيطة لموضوع الصدق والثبات دون إعطاء عمليات إجرائية تفيد الأستاذ في كيفية تأكده من صدق وثبات الاختبارات التي يعدها، مما يجعل من الاختبارات التحصيلية المعدة في منظومتنا لا ترقى للمستوى المطلوب و الذي يجب توفره وإنما تبقى هذه الأمور خاضعة للاجتهادات الشخصية من طرف بعض الأساتذة معدي هذه الاختبارات .

قائمة المراجع:

1- أحمد يعقوب النور،القياس والتقويم في التربية وعلم النفس ، دط ، الجنادرية للنشر والتوزيع ، الأردن ،2007 .

2- بوبكر بن بوزيد،إصلاح التربية في الجزائر،رهانات وانجازات،دط،دار القصبة للنشر،الجزائر،2009 .

3- رائد خليل العابدي،الاختبارات المدرسية ، ط 1، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع الأردن ، 2006 .

4- رجاء محمود أبو علام ، مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية ، ط4 ، دار النشر للجامعات، مصر،2004.

5- رمضان أرزيل ومحمد حسونات ، نحو إستراتيجية التعليم بمقارنة الكفاءات ، ج2 دط ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، تيزي وزو ، 2002 .

6- سامي محمد ملحم، مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، ط5 ، دار للنشر والتوزيع الأردن ، 2007.

7- سبع محمد أبو لبدة ، مبادئ القياس النفسي والتقويم التربوي ، ط1 ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، الأردن ،2002 .

8- صلاح الدين محمود علام،القياس والتقويم التربوي في العملية التدريسية،ط1،دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، الأردن،2007

9- عبد الباقي عبد المنعم أبو زيد محمد سعد محمد، برنامج تدريبي مقترح لتنمية كفايات التقويم ، مجلة العلوم التربوية والنفسية ، المجلد4 ، العدد3 ، سبتمبر 2003 تصدر عن كلية التربية،جامعة البحرين.

10- فؤاد سليمان قلادة،الأهداف والمعايير التربوية وأساليب التقويم، ط1 ، مكتبة بستان المعرفة،الإسكندرية ، 2005 .

11- فيصل عبد الله حمد المحمد، فاعلية برنامج تدريبي في تحسين مهارات بناء الاختبارات التحصيلية لدى معلمي العلوم الاجتماعية في دولة الكويت، رسالة ماجستير غ.م، جامعة عمان العربية للدراسات العليا، عمان، 2009.

12- محمد الصالح الحثروبي ، المدخل للتدريس بالكفاءات ، دط ، دار الهدي للطباعة و النشر والتوزيع ، الجزائر، 2002.

13- محمد علي عاشور ، مدى اهتمام أعضاء هيئة التدريس بكليات العلوم مجلة العلوم التربوية والنفسية، المجلد5، العدد1، مارس 2004، تصدر عن كلية التربية، جامعة البحرين.

14- محمود عبد الحليم منسي وأحمد الصالح وناجي محمد قاسم ، التقويم التربوي ومبادئ الإحصاء ، دط ، شركة الجمهورية الحديثة للتحويل وطباعة الورق،الإسكندرية،مصر، 2003 .

REVUE EL-BAHITH

En Sciences Humaines et Sociales

Revue périodique académique Editée par Faculté des Sciences Sociales et Humaines

Directeur d'honneur
Pr. FARHATI Omer
(Directeur de l'université)

Directeur de la Revue:
Dr.TERKI Abderrahmane
(doyen de Faculté des Sciences Sociales et Humaines)

Rédacteur en chef
Dr.CHAFOU radhouane

Comité Editorial
Dr.machri soulaf
Ismahan djbali
Amrani mouad

Numéro 4 / decmber 2014
ISSN 2170-0370 ردمد